حقائق ورقائق
(٨)
أنبياء يبشرون بمحمد
رواية حوارية في إثبات النبوة من خلال بشارات الكتب المقدسة
د. نور الدين أبو لحية
دار الأنوار للنشر والتوزيع

هذا الكتاب

هـذا الكتـاب من الكتب الـتي حـاولت فيهـا – من خلال الأدلة الكثـيرة - أن أبين البراهين الدالة على صدق رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم، وأن كـل ما في الكون يدل عليها.

وهـــو يختص بمـــا ورد في الكتـــاب المقدس من النبـوءات الكثـيرة المتعلقـة برسول الله صلى الله عليه وآلـه وسـلم، والتي حـاول الكثـير من رجـال الـدين أن يتكتموا عليها، أو يصرفوها عن محلها، أو يهونوا من شأنها.

ولذلك فإننـا في هـذه الروايـة حاولنـا أن ننـــاقش تلـــك النبـــوءات من خلال حـوارات ومنـاظرات افتراضـية اعتمـدنا فيهـا على المصـادر الـتي اهتمت بهـذا الجـانب ابتـداء ممـا كتبـه الأولـون من المهتـــدين إلى الإســـلام كعلي بن ربن الطـبري، وانتهـاء بمـا كتبـه المعاصـرون كالشيخ أحمد ديدات وغيره.

حقائق ورقائق

(8)

أنبياء يبشرون بمحمد

د. نور الدين أبو لحية

الطبعة الثانية

2015 – 1436

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة 5
البداية 7
بشارة إبراهيم 27
بركة إسماعيل: 30
حساب الجمل: 36
برية فاران: 39
بشارة يعقوب 47
بشارة موسى 64
البشارة الأولى: 65
البشارة الثانية: 79
بشارة داود 85
البشارة الأولى: 86
البشارة الثانية: 109
البشارة الثالثة: 112
بشارة سليمان 120
العالمية: 127
النصرة: 137
الرحمة: 143
الخلود: 148
بشارة إشعيا 154
هجرة النبي: 156
نصر النبي: 162
رسالة النبي: 171
سمت النبي: 172
ثبات النبي: 173
شريعة النبي: 176
الإنقاذ: 177
الحج والآذان: 181
القوة: 183
تعظيم الشريعة: 186
نبوءة عن مكة: 189
أمية النبي: 194
علامات النبوة: 195

بشارات مكتومة: 200
بشارة إرميا 210
بشارة المسيح 221
الفارقليط: 229
مثل الكرامين: 252
مثل العرس: 258
مثل الزرع: 259
مثل حبة الخردل: 260
مثل العاملين: 260
مثل الكنز: 262
الكامل: 262
الأصغر: 263
بشارات من أسفار الأنبياء 267
بشارة ميخا: 267
بشارة دانيال: 274
بشارة حبقوق: 278
بشارة حجي: 282
بشارة زكريا 283
بشارة ملاخي: 285
بشارة يوحنا: 289
بشارة صفتيا: 294
بشارة حزقيال: 295
بشارات من أسفار العالم 298
الهداية 301

المقدمة

هذا الكتاب من الكتب التي حاولت فيها – من خلال الأدلة الكثيرة - أن أبين البراهين الدالة على صدق رسالة رسول الله ﷺ، وأن كل ما في الكون يدل عليها.

وهو يختص بما ورد في الكتاب المقدس من النبوءات الكثيرة المتعلقة برسول الله ﷺ، والتي حاول الكثير من رجال الدين أن يتكتموا عليها، أو يصرفوها عن محلها، أو يهونوا من شأنها.

ولذلك فإننا في هذه الرواية حاولنا أن نناقش تلك النبوءات من خلال حوارات ومناظرات افتراضية اعتمدنا فيها على المصادر التي اهتمت بهذا الجانب ابتداء مما كتبه الأولون من المهتدين إلى الإسلام كعلي بن ربن الطبري، وانتهاء بما كتبه المعاصرون كالشيخ أحمد ديدات وغيره.

أما بالنسبة للمصادر اليهودية والمسيحية فقد اعتمدنا فيها على الكتاب المقدس المعتمد لديهم، وإن كان هناك فروق بين الطبعات أو التراجم وضعنا ذلك في الهوامش، أو في متن الرواية.

ولهذا لم نعتمد إنجيل برنابا باعتباره محل شك لدى المسيحيين، ولا يصح أن نلزمهم في الاحتجاج بمصادر لا يعتمدونها.

وتدور أحداث الرواية حول زيارة البابا للمؤلف، وهو في حالة إيمانية عالية، ويخبره أنه ـ منذ شبابه ـ تعرض لأشعة كثيرة من شمس محمد ﷺ ، ولكنه مع ذلك يعرض عنه لشبهات، أو لأسباب نفسية... ولكنه في الأخير قرر أن يعتنق الإسلام، ويترك أخاه التوأم ـ الذي كان يملي عليه الشبهات ــ بدله على كرسي البابوية.

والبابا وأخوه التوأم يرمزان للإنسان بشقيه: العقل والنفس ... والحوار في الرواية جميعا بين هذين... والصراع فيها جميعا بينهما.

وقد حكى البابا للمؤلف في هذا الجزء رحلته إلى الشام، حيث التقى فيها بالكثير من المهتدين إلى الإسلام بعد اطلاعهم

على البشارات الواردة في الكتاب المقدس، والتي لا يمكن حملها إلا على رسول الله ﷺ .. وقد جرت بينه وبينهم مناقشات ومناظرات هادئة في هذه الجوانب.

وقد حاولت بقدر الإمكان أن أبسط المادة العلمية الواردة في الرواية حتى يتيسر على الجميع فهمها والاستفادة منها، لأن مثل هذه المعلومات لا يصح أن تبقى محصورة في الدراسات الأكاديمية، ولا بين المختصين من الباحثين فقط، بل ينبغي أن تنزل إلى الناس جميعا، لتخاطب عقولهم وقلوبهم وأرواحهم، فتزيدها يقينا وطمأنينة وإيمانا.

بالإضافة إلى ذلك تعلم كل محب لرسول الله ﷺ وكل حريص على دينه، كيف يجيب المخالف، بل كيف يقنعه ... فهي تبين لهم منهج الحوار مع المخالفين، وتعطيهم من القدرات العلمية، والطرق المنهجية ما لا يملك معه المخالف إلا التسليم... وهدفها من كل ذلك أن تجعل من كل مسلم داعية إلى الله، ومحاميا يذب عن دينه، ويحمي حمى رسوله.

ونحب أن ننبه فقط إلى أن هذا الكتاب الموسوم بـ [أنبياء يبشرون بمحمد] جزء فقط من سلسلة البراهين المثبتة لرسالة رسول الله ﷺ .. وإلا فإن كل سلسلة [حقائق ورقائق] تهدف إلى هذه الغاية، سواء بالبرهنة عليها، أو برد الشبهات التي تثار حولها، أو بمواجهة من يزعمون لأنفسهم أنهم أتباع رسول الله ﷺ مع أنهم لا يزيدونه بسلوكاتهم المشينة وأفكارهم المتطرفة إلا تشويها وتحريفا.

.

البداية

فتحت الباب، فأشرقت شمسان عظيمتان، أما إحداهما فملأت جوانب غرفتي بالنور المضيئ الهادئ الجميل.. وأما الثانيــة، فملأت جوانب نفسي بالسلام والطمأنينة والسعادة.

سـألت الثانيـة: من أنت أيتهـا الشـمس الـتي تنكسـف لمرآهـا الشموس؟

أجابني بكلام يشع كما تشع الأنوار: أنـا لسـت شمسـا.. ولكـني رجل بحث عن الشمس، وأحبها، فلما ظفـر ببعض شـعاعها كسـته ما توهمته شمسا.

قلت: فأي شـمس هـذه الـتي وهبتـك من إشـعاعها مـا أحالـك شمسا، أو قريبا من الشمس؟

قال: إنها شمس محمد.. وأنا لم أظفر إلا ببعض أشعتها.

قلت: أي محمد هذا الذي كان شمسا؟

قال: أهناك محمد غير رسول اللـه؟.. ألم يصـفه اللـه، فقـال : ﴿ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ (الأحزاب:46)؟

قلت: أجل.. ولكن لم خصك بهذه الأشعة دون غيرك؟

قال: لا.. إنه لم يخصني.. كل من يريد أن يظفر بأشعة شمسه نالها.. ألا تـرى الشـمس الـتي تسـقي بأشـعتها الحقـول والمـزارع والجبال!؟

قلت: وكيــف لا أراهــا.. بــل هي تســقي بأشــعتها البحــار والمحيطات.. بـل هي تمتـد إلى الأفلاك الـتي تحيـط بهـا، فتملؤهـا بالدفء والحنان..

قال: فمن تبخل عليه الشمس بأشعتها؟

قلت: الشمس لا تبخل.. ولا تستطيع أن تبخل إذا أرادت.. فـأي صبي يمكنه أن يتحداها أن تحجب أشعتها عنه؟

قال: وهكذا محمد.. لم يكن بخيلا.. بل ظل شمسا تمـد الخلـق بالنور والدفء والحياة والجمال.

قلت: ولكن هناك من يحتجب عن شمس محمد.

قـال: هـو الـذي يحتجب.. أمـا شـمس محمـد فهي ممتـدة لا يتحداها شيء، ولا يمتنع منها شيء.

قلت: أنت لا تعلم.. نحن الآن في عصر لا يتقن شـيئا كمـا يتقن فن وضـع الحجب على الشـمس.. ولا يكتفي بـذلك.. فهـو يسـب

الشمس ويلعنها ويرسم الرسوم الساخرة ليضحك من وجهها الجميل.

قال: ولكن الشمس مع ذلك لا تبالي بعبث العابثين، ولا سخرية الساخرين، فأشعتها الجميلة تظل مرسلة لتقول لهم بحنان: نعم أنتم استهزأتم بي، وسخرتم مني، ولكني مع ذلك أدعوكم لأن تحتموا من البرد الذي تعانيه أرواحكم، والظلمة التي تركد فيها حياتكم.

قلت: إن الأمر لا يتوقف عند هؤلاء الصغار.. لقد امتد الأمر إلى البابا.. بابا الفاتيكان.. ألا تعرفه؟.. ذلك الذي يحمل الصليب ويطوف به العالم.. لقد مد يده إلى الأيادي الآثمة، وراح يشجعها على وقاحتها.. بل راح ينافسهم في السباب والسخرية.

قال: والشمس لن تنحجب عن البابا كما لن تنحجب عن غيره.. أليس البابا خلق من خلق الله!؟.. أليس الله هو الرحمن الرحيم الذي جعل شمس محمد رحمة للعالمين!؟

قلت: بلى.. فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الانبياء:107)

قال: فشمس محمد تشرق على البابا، كما تشرق على غيره.

قلت: ولكنه ملأ قلوبنا أحقادا وضغائن، فكيف تقول هذا؟

قال: ألم يكن هناك أعداء كثيرون لمحمد رموه بما رماه به البابا، وبما لم يرمه به؟

قلت: بلى.. هم كثيرون.. فمن قومه من رماه بالجنون والسحر.. ومنهم من رمى القمامات على جسده الشريف.. ومنهم من مد يده الآثمة ليقتله.

قال: أليس من هؤلاء من نالته أشعة محمد، فنعم بدفئها وحنانها؟

قلت: أجل.. كثيرون هم.. يبدأون بسبه، وينتهون بحبه.

قال: فلم لا يكون البابا مثل هؤلاء.. يكون سبهم مقدمة لحبهم.. ويكون شكهم مقدمة لإيمانهم.. بل لإيمان الملايين الذين يدخلون في دين الله أفواجا؟

قلت: أجل.. ولكن البابا مختلف.. إنه مختلف تماما.. هو يمثل دينا من الأديان يتربع على مساحة هائلة من الأرض.. وهو يظفر لذلك من التقدير والمحبة والجاه ما لا يظفر به جميع ملوك الدينا.. وهو.. ؟

قاطعني قائلا: وهل يمنع كل ذلك من فضل الله أن يمتد إليه

كما امتد لغيره.. ألم يمتد فضل الله إلى السحرة الذين دخلوا بأمنية واحدة هي أن يهزموا موسى.. ولكنهم خرجوا، وقد نالتهم أشعة موسى التي أطفأت الظلمات التي تقبع فيها أرواحهم؟

قلت: صحيح هذا.. وقد ذكره القرآن الكريم، وكرر ذكره.

قال: لم يكرر ذكره إلا لتعتبروا.. فكما أن السحرة يمكن أن يؤمنوا، فغيرهم ممن هو دونهم أو فوقهم يمكن أن يؤمن.. فلا تحجبوا أحدا عن شمس الله التي تمتد إلى الآفاق.

قلت: صدقت في هذا..

قال: فأخبر قومك أن الله التواب الهادي النور الرحيم لا تنحجب شمس نوره ورحمته وهدايته وتوبته عن الكل.. ولو أنك تصورت أن أحدا من الخلق أعظم من أن يناله الله بنوره ورحمته وهدايته وتوبته، فقد اتهمت الله وعظمت المخلوق.

قلت: أجل.. وكل قومي يؤمنون بهذا، ولا يحتاجون مني أن أذكرهم.

قال: هم يذكرون ذلك، ولكنهم يغفلون عنه.

قلت: ما تقصد بغفلتهم؟

قال: أراهم يسلمون للقضايا، وينكرون مستلزماتها، بل ويشاحنون فيها.

قلت: ما تقصد؟

قال: ما كنا نتحدث عنه.. أرأيت لو أنك دعوت قومك إلى استعمال أسلوب آخر مع هؤلاء الجاحدين الذين واجهوا رسول الله بالمحاربة؟

قلت: وما هو هذا الأسلوب؟

قال: أن ترسلوا مثلا لمن رسم الرسوم الساخرة لرسول الله ﷺ رسالة هادئة مضمخة بمسك طيب تقولون له فيها: نحن نعذرك يا أخي.. فقد وصلتك أنباء كاذبة عن الشمس التي نستدفئ بأشعتها.. فلذلك أنت لم تتصرف من منابع الحقد، وإنما تصرفت من منابع الجهل والشبهة، فلذلك ندعوك لأن ترى نبينا، وتتعرض لأشعته، لترى الحقيقة من منابعها.. تصرف كما تصرف السحرة الذين ألقوا حبالهم، فالتقمتها عصا موسى.

ولا تكتفوا بذلك، بل أرسلوا إليهم بدموعكم تعتذرون إليهم بها.

قلت: ما تقول؟.. هم الذين يعتذرون، أم نحن الذين نعتذر؟

قال: لولا تشويهكم صورة نبيكم، وتشويهكم دفء الأشعة التي يرسلها ما وقع الساخرون فيما وقعوا فيه.. لذلك كنتم أنتم سبب

حجابهم.. وكنتم أنتم سبب سخريتهم.. ولـذلك كنتم أنتم سـبب مـا وقعوا فيه من الإثم.. والخلق الذي علمكم إيـاه رسـولكم يـدعوكم إلى الاعتذار لهم.

قلت: فمـا نقـول لهم في اعتـذارنا.. أو مـا عسـاها دموعهـا أن تقول لهم!؟

قال: ألم يقص عليكم ربكم قصة امرأة العزيز؟

قلت: بلى.. فأي حاليها تريد؟

قال: عندما طلب منها الملك أن تدلي بشـهادتها حـول يوسـف عليه السلام.. ماذا قالت؟

قلت: لقد قالت ـ كما ذكـر القـرآن الكـريم ـ :﴿ الْآنَ حَصْـحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِـالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف:51 ـ 52)

قال: فهل كان في كلامها براءة يوسف عليه السلام مما اتهموه به؟

قلت: أجل.. ولذلك لم يرض يوسف عليه السلام أن يخرج قبل أن تثبت براءته.

قال: لم ؟

قلت: حتى لا يتعرض لأي سخرية أو استهزاء.

قـال: فقـد كـانت امـرأة العزيـز الـتي خانتـه هي الـتي أثبتت براءته؟

قلت: أجل..

قال: بنسبة الخيانة إليها لا إليه.

قلت: ذلك واضح، وقد صرحت به الآية.

قال: فكذلك فافعلوا.. ولا تكونوا أقل شهامة من امرأة العزيز.. اخرجوا للعالم.. وقولوا بأعلى صوتكم: اعذرونا يامن تسكنون هـذا العالم.. لقد خنا نبينـا.. لم نسـتطع أن نعطي صـورة حسـنة عنـه.. ولم نف بالعهود التي عهد إلينا بهـا.. فلـذلك لكم أن تسـبونا نحن.. ولكم أن تسخروا منا نحن.. أما نبينا فهو الطهر والصـفاء والصـدق والإخلاص.. ولا يحق لكم أن تسبوا هذه المعاني السامية.

قلت: أنرسل بمثل هذا الكلام لهؤلاء الساخرين؟

قال: أذيعوه على العالم أجمع حـتى لا تكونـوا حجبـا بينهم وبين أشعة محمد ﷺ.

قلت: وهل ترى ذلك مجديا؟

قال: لا يضرك أن يجدي ذلك أو لا يجدي، فالهدايـة بيـد اللـه، لا بيدك ولا بيد غـيرك.. واللـه هـو الـديان.. فلا تزاحمـوا اللـه دينونتـه

لعباده.
قلت: ولكن قلوبنا الفائضة بحب رسول الله.. كيف ترضى أن يدنس أو يسب؟
قال: رسول الله أرفع من أن يسب أو يدنس.. هو كالشمس.. تراها، وتستفيد منها، ولا تعيش من دونها.. ولكنك مع ذلك لا تحلم بأن تصل إليها، فأشعتها ونورها أعظم من أن تصل إليه الأوهام والأحلام.
قلت: أجل.. ولكن الحرارة التي تتقد في قلوبنا تمنعنا من ممارسة ما دعوتني إليه من أساليب؟
قال: أليس المحب مطيعا لحبيبه؟
قلت: أجل.. فلا حب لعاص.. وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران:31)
قال: فقد مارس رسول الله ﷺ هذا الأسلوب مع الذين رموه بما رموه به من صنوف السخرية والاستهزاء.. ألم يرد في السيرة الإخبار عن إسلامهم بعد ضلالهم، وحبهم لنبيهم بعد بغضهم له؟
قلت: صحيح هذا.. والسيرة تمتلئ بأخباره.
قال: ليست السيرة التي تدرسونها فقط.. بل الحياة جميعا.. فمحال على العقل والقلب والروح التي تتعرض لأشعة محمد ﷺ أن ترغب عنها.. إنها أشعة تأسر الكيان كله.
قال ذلك بلهجة ممتلئة أشواقا.. نظرت إليه، وهو واقف أمام باب داري، فاستحييت، وقلت معتذرا: اعذرني.. لقد انشغلنا بالحديث عن رسول الله ﷺ عن واجب إكرامي لك.
قال: ألا تسألني عني؟
قلت: لاشك أنك ولي من أولياء الله..
قال: كل من تعرض لشمس محمد ﷺ نال من ولاية الله وتقريبه ما لم يكن يحلم به.
قلت: فمن أنت منهم؟
قال: البابا..
قلت: أي بابا؟ ... وما بابا؟
قال: بابا الفاتيكان.
قلت: أتسخر مني يا ولي الله؟
قال: معاذ الله أن أسخر من أحد بعد سخريتي من رسول الله ﷺ.. فقد جعلت وفاء توبتي بيني وبين ربي أن لا أسخر من أحد

من خلقه.
كدت أسقط، وأنا أستمع لكلامه، قلت: أحقا ما تقول؟.. أأنت البابا؟.. بابا الفاتيكان.. الذين يقولون عنه (قداسة البابا)
قال: لقد كانت هذه القداسة التي ينسبونها لي هي الحجاب الأعظم الذي حال بيني وبين نور محمد.. ولكني تخلصت منها.. وقد أعطاني الله أشرف وسام بعد تخلصي منها.. لقد أعطاني وسام العبودية.. فأنا الآن عبد الله.. لقد طرحت بطرحي لتلك القداسة جميع الحجب التي كانت تحول بيني وبين الله.. وبيني وبين الكون.. وبيني وبين محمد.
قلت: لا أكاد أصدق ما أسمع..
قال: من عرف الله، وعرف قدر الله، وعرف فضل الله لم يتعجب من شيء..
قلت: ولكن من كان يصدق أن يسلم البابا.. ذلك الذي أقيمت المظاهرات العريضة تندد به، وتحرق صوره..
قال: دعهم يحرقوا صوره.. فهم يحرقون الكبرياء التي كانت تحول بينه وبين أشعة محمد.. لقد قمت بإحراق صوري.. وإحراق ثيابي.. وإحراق كل ذلك الجاه العريض الذي كان يحول بيني وبين منابع النور والهداية والحقيقة.
قلت: ولكني لا أزال أرى البابا يحمل صليبه، ويرتدي طيلسانه.. كيف هذا.. هل أنت شقان.. شق معي.. وشق في الفاتيكان يحكم رعيته التي تمتد في الأقاليم السبعة.
قال: لا.. البابا واحد.. وهو الذي يقف أمامك.
قلت: والآخر.. الذي تنقل لنا وسائل الإعلام صوره.
قال: تلك قصة طويلة.. ولن تعرف آخرها حتى تسمع أولها.
قلت: فهل ستقصها لي؟
قال: أجل.. لقد أمرت بقصها عليك ليسمعها العالم.. لعله يتعرض لأشعة محمد التي تعرض لها البابا.. فيعود إلى الله كما عاد البابا.
قلت: ولكن العالم سينكر هذه القصة.. وسيضحك علي.
قال: لا ينبغي لمن تعرض لأشعة محمد أن يحجبه شيء.. لقد حجبتني الكراسي التي كنت أجلس عليها.. وحجبتني النياشين التي قلدوني إياها.. ولكني الآن حر.. لا يقيدني شيء.
قلت: فمن أمرك بقصها علي؟
قال: من جعله الله سببا لهدايتي.

قلت: فهو يعرفني إذن!؟
قال: لا شك في ذلك.
قلت: فمن هو؟
قال: أنا نفسي لا أعرفه.. لقد كان كالنور الذي نرى به، ولكنا لا نراه.. وإذا أردنا أن نلمسه لم نلمس إلا الهباء.
قلت: زدتني حيرة.
قال: لا حيرة لمن عرفه..
قلت: فصفه لي.
قال: لا يمكن أن أصفه بأكثر مما كان يصف نفسه.
قلت: فبم يصفها؟
قال: بالنقطة التي تحت الباء(1).
قلت: عرفتـه.. إنـه معلمي.. معلم السـلام.. مـا أعظم شـوقي إليه.. كيف تركته؟
قال: هو يأمرك بأن تحمل قلمـك وقراطيسـك، وتكتب كـل مـا أمليه عليك من قصتي.
قلت: سـمعا وطاعـة لمعلمي.. فهلم معي إلى محـل صـالح نجلس فيه، لتحدثني عنك.. وتحدثني عن الأشعة التي تعرضت لها.

***

لست أدري ... هل كانت هذه القصة الـتي حـدثني حـديثها البابـا حلما جميلا رأيتـه وتلـذذت برؤيتـه ... أم هي حلم من أحلام اليقظـة أفرزته حالة الحزن التي عشتتها بعد ما سمعت تصـريحات البابـا ... أم هي قصـة واقعيـة حـدثت لي، لم تفطن لهـا وسـائل الإعلام لتنشرها ... أم هي قصة واقعية لم تحدث بعد، ولكنها سـتحدث بعـد حين؟
ولا يهمني أي واحد من هؤلاء كان ... ولكني أعلم أن البابا وغـير البابا لو مر بتجربة هـذا البابـا الـذي جـاءني وحـدثني، فسـينال من أشعة محمد ﷺ ما شمل العالمين.
وأنا من منطق الأشعة التي نلتها بفضل الله من شمس محمـد ﷺ لا أحب للبابا، ولا لرسامي الرسوم السـاخرة، ولا لمن يبـدعون الفنون في سب محمـد ﷺ، ويقيمـون المسـابقات المغريـة لأجـل ذلك، إلا أن يتعرضوا لأشعة شمسه ﷺ.. وسـيكتفون بـالتعرض لهـا

1) هذه إشارة كان يستعملها كثير من الصالحين للدلالة على العبودية، وقد جعلناها رمزا لمعلم السلام، ولمن تحقق بمعاني السلام الشامل.

عن كل جواب أو جدل.

ومن هذا المنطق أخاطب إخواني الـذين امتلأت قلـوبهم غـيرة على رسـول اللـه لأقـول لهم: لكم أن تغـيروا على رسـول اللـه.. ولكم أن تفعلوا كل ما تنتجه هذه الغيرة من نتـاج.. ولكن لا تفعلـوا شيئا واحدا.. لا لأنه يؤذي هؤلاء الساخرين، ولكن لأنه يؤذي رسـول الله.. لا تقفوا حجابا بين شمس رسـول اللـه وبين هـؤلاء النـاس.. فرسول الله ليس رحمة خاصة بكم.. ولكنه رحمة للعالمين.

***

اتخذنا مجلسا صالحا في البيت.. وراح البابا يغـوص في حديثـه، قال:

كل قصتي تتلخص في ثلاثة نفر: أنا ورجلان.

أما أنا.. فرجل ولد في حضارة تمتلئ بكـل المغريـات.. فعـزف عنها وولى وجهه نحو قبلة العقل والروح والكمال.. فلذلك لم أهتم بمـا يهتم بـه أتـرابي من مغريـات تحـول بينهم وبين البحث عن الحقائق.

ومع ذلك.. فقد كان لي عقل حرون لا يكاد يسلم لشيء.. فهـو يجادل ويناقش ويبحث.. لا يكل في ذلـك، ولا يمـل.. ثم لا يقتنـع إلا بعد أن يرده اليقين الذي لا يشك فيه.. والحـق الـذي لا يمازجـه أي باطل.

البعض يشبهني بالعقل المجرد.. ولكني لا أرى نفسـي كـذلك.. فمع أني إنسان عقلاني بطبعي إلا أن البيئة الدينية والدنيويـة الـتي عشتها جعلت عقلي معقولا عن التسليم.. وهذا ما جعلني أتأخر مع التسليم للحق.. مع توفر كل دواعي التسليم له.

هذا هو أنا.. وهذا سر تعرضي لتلك الأشعة الكثيرة من شـمس محمد.. فقد كان لي من الكثافة ما يتطلب أشعة كثيرة تخرق ذلك الجدار الصلب الذي يجثم على قلبي وروحي.

هذا هو أنا..

أمـا الرجـل الأول، فقـد كـان أخي التـوأم، ولا يعرفـه أحـد من الناس إلا خاصة خاصتي، وقـد كـان لـه من الشـبه بي مـا يجعلـني أشك في نفسـي، بـل أحيانـا أشـعر أني لسـت غـيره، فقـد كـانت خواطرنا تتوارد في المواضيع الواحدة.. ولكن أخي هذا مع ما أكنـه له من احترام كان هو الحجاب الأعظم الذي حـاول كـل جهـده أن يمنـع سـريان أشـعة شـمس محمـد للوصـول إلى نفسـي وقلـبي وعقلي وروحي..

أما الرجل الثاني، فهو صاحبك الذي حدثتك عنه، وقد كان يأتيني، فلا أعلم من أين جاء، ويذهب، ولا أعلم أين انصرف.. وقد كان هو النور الذي دلني على أشعة محمد.. ولم أكن أتحرك إلا بهدايته ودلالته.

هؤلاء هم الذين قامت عليهم حياتي، وهؤلاء هم الذين تدور عليهم رحلاتي التي رحلتها للوصول إلى أشعة محمد.

قلت: عرفت أبطال قصتك.. فمن أين مبدؤها؟

قال: من رؤيا رأيتها.. فأحيانا تتلخص حياة الإنسان في رؤيا.

قلت: صدقت، وقد ذكر الله عن يوسف عليه السلام أن حياته لخصت في رؤياه التي قصها الله تعالى علينا، فقال: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لَأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف:4)

قال: هذه رؤيا يوسف عليه السلام.. أما رؤياي التي انطلقت منها رحلتي، فهي أني رأيت العذارء.. وهي في جمال الشمس، وأنوار القمر، وحلاوة الربيع..

قلت: بورك لك هذه الرؤيا.. فنعم من رأيت.

قال: رأيتها تنظر إلي بنوع من الشفقة والرحمة، وقد كنت حينها أكابد من البرد والظلمة والألم ما لا يتحمله البشر.. صحت فيها مستغيثا: يا مريم المقدسة.. دليني على أشعة الشمس التي تطفئ ظلمتي، وتذهب هذا الزمهرير الذي تكتوي به أعضائي.

فالتفتت إلي، وقالت: ابحث عن الشمس التي بشرت بها الأنبياء، وتحطمت أمام أشعتها الطواغيت.. ومن أفواهها سارت الكلمات المقدسة.

ابحث عن الشمس التي فتحت لها خزائن العلوم، وخرقت لها أسوار الأقدار، وامتلأت القلوب حبا لها، وشوقا إليها.

ابحث عن الشمس التي هي رحمة وعدل وسلام.

ابحث عن الشمس التي تبشرك بحقيقة الوجود وحقيقة الإنسان، وحقيقة الحياة(1).

فلن ينقذك من بردك وظلمتك إلا هذه الشمس.

قلت: من هي هذه الشمس أيتها القديسة المنورة بأنوار الحقائق؟

---

1) في هذه الكلمات إشارة إلى الكتب المتعلقة بهذا الباب من سلسلة [حقائق ورقائق]

قـالت: سـر.. واخلـع نعليك(2).. فسـوف تجـد من يـدلك على الطريق.. فقد جعل الله لكل ضال هاديا.. ولكل جاهل معلما..

قلت: فعلميني أنت..

قالت: لكل معلمه الذي يتعلم منه..

ثم انصرفت.. وقد تركتني محتارا في رؤياي، لا أجد لها تـأويلا.. ولا أجد من ألجأ إليه ليفسرها لي.

في الصـباح جـاءني أخي التـوأم الـذي يشـبهني وأشـبهه، فقصصتها عليه، وسألته عن سـرها، فسـكت برهـة، ثم قـال: ليس هناك غير المسيح.. ولن يخلصـك غـير المسـيح.. فلا تبحث عن أي أشعة.. فليس هناك غير شمسه.

قلت: ولكنها ذكرت أشياء كثيرة.. أشياء كثـيرة لا أراهـا تنطبـق على المسيح الذي أعرفه.

نظر إلي نظرة فيها بعض القسوة، وقال: لا تشـتغل بـالأحلام.. واشتغل بما يقربك من المسيح.. فمن اقترب من المسيح نـال من أشعته ما يحميه من كل ظلمة، ويدفئه من كل برد.

قلت: فكيف أقترب من المسيح؟

قـال: هـو ذا الكتـاب المقـدس أمامـك.. وهي ذي أسـفار القديسـين تمتلئ بهـا مكتبـة بيتـك.. وهي ذي الكنيسـة تعج بالمصـلين.. فالأجـأ إليهـا، وتعلم من المسـيح كيـف تصـل إلى الخلاص..

قلت: ولكـني لا أجـد في نفسـي رغبـة في ذلـك.. فأنـا عقلي بطبعي.. وليس لي من الميل للتدين ما يجعلني أغوص فيما تذكره لي.

قال: لا تنحجب بعقلك.. وسـر نحـو المسـيح ليعلم عقلـك مـاذا يقرأ، وكيف يقرأ.

قلت: أأعزل عقلي؟

قال: إن عزلك عقلك عن المسيح، فاعزله، فلا خـير في عقـل يحول بينك وبين ملكوت الله.

قلت: ولكن عقلي من خلق الله، ومـا طبـع فيـه من علـوم من تعليم الله.

قال: ولكن عقلك قـد تعشـش فيـه الشـياطين، وتنفخ فيـه من الوساوس والأوهام ما يحول بينك وبين الخلاص.

---

2) خلع النعلين إشارة إلى التخلص من كل الحجب التي تحول بين الباحث والحقيقة التي يبحث عنها.

قلت: أترى من يعتمد على عقله لن يصل إلى الخلاص؟

قال: من اعتمـد على عقـل يحجبـه عن المسـيح لن يصـل إلى الخلاص.. فحقائق الإيمان أعظم من أن تسلم لها العقول، أو تصل لها العقول.

قلت: أنا أوافقك في عدم وصول العقل لحقائق الإيمان.. ولكن التسليم لها يحتاج إلى العقل.. وإلا لجأنا إلى الخرافة.

قال: أعظم خرافة هي الركون إلى العقل..

قال ذلك، ثم انصرف.. لسـت أدري هـل اقتنعت بكلامـه، أو لم أقتنع، ولكني وجدت نفسي أسير رغم عقلي لأقـرأ كـل مـا سـطر في مكتبة بيتنا الواسعة.. وكنت إذا ما اشتد علي شـيء، أو أشـكل علي أمر، ألجأ إلى رجال الكنيسة، فيفسرون لي ما أشــكل علي.. وأقتنع بما يقولون، ولا أبالي بما يقول عقلي..

ظللت هكــذا عشــر ســنوات.. وأنــا لا همــة لي إلا البحث في الأسفار، والتعمق في محاولة فهم أسرار المسيحية.

لا أكتمك أني أحب المسيح.. ولكـني لم أكن أشـعر حولـه بمـا يقتضـيه الإيمـان المسـيحي.. لقـد كـان في عقلي من التمـرد مـا يجعلني في معاناة مستمرة.

كنت أشعر أن الألوهية وما تقتضيه من صفات، ومـا تفعلـه من أفعـال أعظم من أن تختصـر فيمـا نعتقـده نحن من إيمـان.. كنت أنظر إلى الكون وامتداده، فأراه أوسع من التصورات التي نحملهـا عنه، وعن الإله الذي يمسك به.

لكني لم أكن أجسر على التصريح بهذا، بل لم أكن أجسر على التفكير به، وكنت أتعذب بذلك الضعف الذي يجعـل روحي تتشـتت شتاتا خطيرا.. فالمنطق الذي زعمت صلته بالإيمـان كـان منقطعـا في نفسي انقطاعا لا يطمع معه في أي وصال.

ذات يـوم جـاءني أخي مستبشـرا، وهـو يقـول: إن البابـا.. بابـا الفاتيكان سيزور قريتنا.. وسنتشرف برؤياه، ولعلنا ننال من بركاتـه ما ننعم به إلى آخر الدهر.

في تلك الأيام كانت قريتنا مزدانة بكـل أنـواع الزينـة، بـل كـان الناس من القرى المجاورة، والمدن المجـاورة، والـدول المجـاورة يحجزون غرفا لهم في قريتنا، مما نشط اقتصادها، وملأها بالحيوية والنشاط.

في ذلك اليوم الموعود الذي ازدانت له السماء والأرض، دخــل البابا قريتنا يتلك الهالة التي تحيط به من الوقار..

كان موكبا فخما اهتزت له القلوب.. وقد كانت التراتيل التي تتردد تملأ القلوب بأشواق عظيمة.. وكنت أرى الرجال الكبار الذي يملأون النفس مهابة صغارا بين يدي البابا، يتزاحمون على رؤيته، والمحظوظ منهم من نال من بركاته.

في ذلك اليوم دخل بعد جديد حياتي..

لقد كنت طموحا.. وكان طموحي هو الذي حال بيني وبين التخصص في الدراسات الدينية.. ولكني اليوم رأيت ما فيه البابا من الجاه الذي لا ينعم به إلا من هو مثله..

لقد طمحت في ذلك اليوم أن أصير بابا.. ولذلك حولت مسار حياتي كلها ليسير نحو هذا الاتجاه.. وقد كان لهذا فضله على تنعمي بالتعرض لأشعة محمد.. وقد كان كذلك الحجاب الذي حال بيني وبينها.

في ذلك المساء، سألت أخي: كيف يصير المرء بابا؟

ضحك، وقال: وهل تريد أن تصير بابا؟

قلت: لا أكتمك.. لقد كان للبابا من الاحترام ما يجعل الكل يحن لمنصبه.

قال: أنت مثلي.. فالبابا هو أقرب الناس إلى المسيح.. إنه وريث بطرس.. وبطرس تلميذ المسيح.. ولذلك أحن لأن أصير بابا.

كان أخي مخلصا في طلبه.. ولكني لم أكن أطلب إلا الجاه الذي ينالني من ذلك المقام الذي يتربع عليه البابا.

قلت: فكيف أصل إلى أن أصير بابا؟

قال: ذلك أمر صعب..

قلت: أهو مستحيل؟

قال: لا.. الصعب ليس مستحيلا.

قلت: فماذا أفعل؟

قال: أولا.. لا بد أن تحوز من العلوم ما يجعلك أهلا لهذا المنصب.

قلت: قد حزت الكثير منها.

قال: لا زال الكثير في انتظارك..

قلت: هذا يسير.. فما غيره؟

قال: أن تصير حواريا.

قلت: كيف أصير حواريا.. وقد مضت السنون الطوال بيننا وبين المسيح؟

قال: تسير في الأرض كما سار الحواريون.. وتقطع المفاوز

والقفار تبشر بما بشر به الحواريون.
قلت: أأتغرب عن أهلي؟
قال: لن تثبت صدقك إلا بتغربك عن أهلك.
قلت: هذا صعب.. ولكني أطيقه.. فماذا أيضا؟
قال: أن تخدم الكنيسة.. فخدمتك الكنيسة تجعلك تترقى في مراتبها.. وهو ما يخول لك الوصول إلى الفاتيكان.. ومنه إلى كرسي البابوية.
قلت: كيف أحصل على هذا؟
قال: لا عليك.. هذا اتركه لي.. وسوف أرتقي بك في درجات الكنيسة ما يجعلك أهلا للوصول إلى ما تحلم به.
قلت: البابا واحد.. فلماذا تسعى لي، ولا تسعى لنفسك.
قال: أنا أنت.. إن وصلت أنت وصلت أنا.. والمجلس الذي تجلس فيه أنت أجلس فيه أنا.. وإذا مرضت أنت خلفتك أنا.. وإذا أفسدت أنت أصلحت أنا .. ألسنا توأمين لا يستطيع أحد مهما أوتي من قوة حدس أن يفرق بيننا.
ضحكت، وقلت: هذا صحيح.
كان ذلك اليوم محطة مهمة في حياتي.. لقد سرت مع أخي إلى الكنيسة، وهناك وظفت وظائف بسيطة فيها.. ثم تدرج بي الأمر، بعد أن لمسوا في الصدق والإخلاص إلى أن كلفوني بالسير لبعض البلاد العربية، بلاد الشام الجميلة.. لأنقذ أقلية من المسيحيين هناك تعرضت لزحف المسلمين.
وقد تعلمت لأجل ذلك اللغة العربية، وأتقنتها، وتعلمت من فنون الحوار ما يجعلني أهلا لهذا الوظيفة.
امتطيت الطائرة السائرة نحو تلك البلاد.. وفيها تم لقائي بالرجل الذي أرسلني إليك، والذي كان يظهر متى شاء، ويختفي متى شاء.
جلست على كرسي في الطائرة، لا أزال أذكر ذلك، ولا أحسب أني أنساه، وقد ولد في نفسي عزم عظيم، وهمة لست أدري سرها.
لقد ذكرت رؤياي لمريم ـ والتي لم تكن تغادر ذهني ـ وصممت على أن أبحث عن سرها، بعد أن سرت في طريق الدين الذي كانت نفسي وعقلي تنفر منه.
وما استتمت هذه العزيمة في نفسي حتى التفت إلى الذي هو بجانبي، فإذا بي أجد صاحبك، مشرقا كالشمس، هادئا كصفحة

الماء التي لم تعبث بصفائها التيارات.
قال لي: وأخيرا.. صممت على البحث عن الأسرار التي ذكرتها لك مريم الصديقة.
قلت: كيف عرفت ذلك؟.. لقد كان هذا الحلم بيني وبين نفسي، ولم أبح به إلا لأقرب الناس إلي، والذي يكاد يكون نفسي.
قال: لا تسأل عن الكيف.. فالكيف عقال عقل العقول عن الوصول إلى الحقائق.
قلت: فهل تراك تستطيع أن تفسر لي حلمي؟
قال: أنا لست مفسر أحلام.
قلت: فلم سألتني عنه إذن؟
قال: لأدلك، فقد رأيتك خلعت نعليك، فسارعت إليك.
قلت: لقد ذكرت لي العذراء هذا.. ولم أكن أفهم ما ترمي إليه.
قال: لقد كانت تدعوك لتخلع كل ما تعلمه من علم ورثته، لتبحث عن الحقائق التي يعقلها العقل، لا التي يرثها.
قلت: أتريد مني العذراء أن أصبح جاهلا؟
قال: كل من تلقى العلم وراثة أو تقليدا، فهو جاهل، ولو اتشح بطيالسة العلماء.
قلت: أراك تريد أن تزين لي ما لا يتزين أبدا.
قال: أرأيت لو دعتك نفسك لأن تكتب شيئا، فهل تكتبه على صفحة بيضاء، أم تكتبه على صفحة ملأتها كتابة؟
قلت: لا شك أني أبحث عن الصفحة البيضاء.
قال: فكذلك عقلك وقلبك لن يفهم الحقائق والعلوم، ولن يذوقها إلا بعد أن يتطهر كما تتطهر الأوراق البيضاء.
قلت: عرفت سر خلع النعلين، فما سر الأسرار التي دعتني العذراء إلى البحث عن صاحبها؟
قال: تلك شمس عظيمة زين الله بها سماء الحقائق، لا تنال بأشعتها شيئا إلا حولته جوهرا من جواهر النور، وياقوتة من يواقيت الهداية.
قلت: فمن هو؟
قال: لقد ذكرت لك أن دوري هو الدلالة، لا التعريف.
قلت: فما الفرق بينهما؟
قال: الدلالة تدعوك إلى البحث والاجتهاد، فتتعرف على الحقيقة بعد أن تعاني الأمرين في الوصول إليها، أما التعريف، فهو تلقين لا يختلف عن التقليد.

قلت: فلم لم تكن معرفا؟
قال: من لم يعـان في البحث عن الحقـائق لم يقـدرها قـدرها، ولم يذقها.. وقد يؤديه الإلف إلى الغفلة عنها.
قلت: صـدقت.. وإني أرى الرجـل الغـني الـذي كسـب المـال بجهده لا يكاد يفرط فيه مع كثرته، بينمـا أرى أولاده الـذين جـاءهم المال لقمة سـائغة، لم يبـذلوا فيـه أي جهـد، لا يكـادون يمسـكونه حتى يبذلوه من غير فائدة.
قال: فقس العلم على المال، وقس الحقيقة على العلم.
قلت: فما هي السبل التي أصل بها إلى تلك الأسرار؟
قـال: بـالبحث والنظـر والاسـتماع.. احـرص على أن يكـون سماعك أكثر من كلامك.. واحرص على أن يكون كلامـك بحثـا عن الحق.. لا جدلا يحول بينك وبين الحق.
قلت: ومن أين لي أن أجـد من أسـتمع لـه.. أتحسـبني ذاهبـا للجامعة لألاقي الأساتذة والطلبة؟
أنا ذاهب إلى عامة.. هم أحد طعام يأكله، أو شراب يشـربه، أو لباس يلبسه.
قال: لن تصل إلى الحقائق حتى تسـمع من العامـة والخاصـة.. ألا تـرى عنايـة اللـه بعبـاده متجليـة في الكائنـات، بـل في أبسـط الكائنات؟
قلت: أجل.. فعناية الله تمتـد لكـل شـيء، وتمـده بمـا يتطلبـه وجوده من حياة
قال: أترى هذه العناية التي وفرت لكل شيء حاجاته تغفل عن أي إنسان؟
قلت: كلا.. لقد أرسل الله ابنه الوحيد لينقذ العـالم.. وهـو أكـبر رمز لعناية الله بعباده.
رأيته وقد اشتد عليه ما سمعه، لكنه حـاول أن يسـتر ذلـك، ثم قال: من أراد أن يعرف الحقيقة، فعليه أن يتخلص من كـل حجـاب يحول بينه وبينها.
قلت: وما هي هذه الحجب؟
قال: الهوى، وطموح النفس، ونوم العقل.
قلت: أينام العقل؟
قال: النائم قد يستيقظ.. والخوف من موت العقل لا من نومه.
قلت: ولكن العقل قد يعقلنا عن المسيح.
قال: وقد يقربنا منه..

قلت: يستحيل هذا.. فالعقل أضيق من أن يعرف أسرار المسيح.

قال: وأسرار المسيح أعظم من أن نفهمها بعقول نائمة أو ميتة.. إننا نصير حينها كالمجانين.

قلت: أنت تخالف ما لقنته من علوم.. فمن أنت؟.. لكأني بي أعرفك.. وكأني بي لا أعرفك.

قال: من بحث فيما لا يعنيه، أوشغل عقله بما لا يغنيه، شغله الفضول عن الأصول، أوقطعه الفضول عن الوصول.

قلت: عن أي أصول.. وعن أي وصول؟

قال: الوصول إليه.. وأصول التعرف عليه.

قلت: على أي عائد تعود الهاء، فإني لم أرك تذكر قبلها شيئا.

قال: الهاء لا تعود إلا إليه.. فكل شيء يشير إليه.

قلت: دعني من كل هذا، فإني لا أكاد أفهم عنك شيئا، وأخبرني من أنت، وما ترمي من حديثك إلي؟

قال: أما السؤال الأول، فلن تطيق الجواب عنه، ومن الحماقة أن أحدثك فيما لا تعقل.

وأما الثاني، فلن تعرفه سره الآن، ولكنك ستعرفه بعد حين.

ما قال هذا حتى جاءت المضيفة تطلب منه أن يعطيها أوراقه، فسار معها.. ولم يعد.

كان أول هدف لي بعد نزولي من الطائرة أن ألتقي بهذا الرجل الغريب.. سألت الكل.. فلم يدلني أحد.. هرعت إلى المضيفة التي طلبته لأسألها عنه، فضحكت، وانشغلت عني..

بشارة إبراهيم

في اليوم الأول خـرجت بـاكرا من الـبيت، وسـرت أتجـول في تلـك البلاد الجميلـة الـتي تمتلئ بـروائح القداسـة الـتي فـاحت بهـا أرواح النبيين.

ظللت فترة الصباح أسـير على غـير هـدى.. وقـد كـان أول مـا أفعله ـ على حسب ما تعلمت ـ هو التعرف على المنطقة، ثم على أهلها.

في منتصف النهار دب الجوع إلى بطني، فسرت طالبا مطعمـا أتغدى فيه.. لكن رجلا يبدو عليه الكرم ناداني طالبا مني أن أتغـدى عنده.

سرت إليه، وحاولت التعرف عليه، قلت له: من أنت؟

قال: عبد الله.. واسمي إبراهيم.

قلت: أأنت مسيحي؟

قال: أجل..

قلت: أنا مثلك.. مسيحي أبا عن جد.

قال: أنا لست مسيحيا فقط.. بل إبـراهيمي أيضـا.. ألا تـرى أن اسمي إبراهيم؟

قلت: كل مسيحي لا بد أن يكون إبراهيميا.. فإبراهيم من أنبياء العهد القديم الذين بشروا بالمسيح.

قال: وبشروا بمحمد..

انتفضت غاضبا، وقلت: ما تقول يا رجل.. كيف تكون مسـيحيا، وتقول هذا؟

رد علي بهـدوء: لأني مسـيحي أقـول هـذا.. فقـد تعلمت من المسـيح الصـدق والإخلاص، كمـا تعلمت من إبـراهيم التضـحية والإسلام..

قلت: تعلمت من إبراهيم الإسلام!؟

قال: أجل.. فإبراهيم هو رمـز الإسـلام الأول.. لقـد ذكـره اللـه تعالى فقال: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَـمَّاكُمُ الْمُسْـلِمِينَ مِنْ قَبْـلُ (الحج: 78)، ورد الله على تنازع الملل لإبراهيم، فقال : مَـا كَـانَ إِبْـرَاهِيمُ يَهُودِيّـاً وَلا نَصْـرَانِيّاً وَلَكِنْ كَـانَ حَنِيفـاً مُسْـلِماً وَمَـا كَـانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (آل عمران:67)

قلت: أراك تكـذب، وأنت تـدعي الصـدق.. وتغـدر وأنت تـدعي

الوفاء.
قال: ما كذبتك، ولا خنتك.
قلت: فلم زعمت أنك مسيحي؟.. وهـل يـترك المسـيحي كتبـه ليقرأ كتابا إنما هو هرطقات وترهات وأساطير؟
قال: رويدك.. فلا ينبغي أن نسخر بشيء لا نعلمـه.. المسـيحية تطلب منا احترام الكل.
قلت: أجل.. ولكن كيف تزعم انتماءك للمسيحية، وأنت تـرطن بنغمة أهل الإسلام؟
قال: أنا مسيحي أجل.. ولم أكذب في ذلك.. وإبـراهيمي.. وهـا أنت تـراني أبحث عن الأضـياف، كمـا كـان يبحث عنهم إبـراهيم.. وفوق ذلك أنا محمدي..
قلت: كيف يجمع المرء بين هذه المتناقضات؟
قال: أنا جمعت ببينها.. بل لم أعرف المسيح إلا بعد أن عـرفت محمدا.. لقد كان محمد هو دليلي إلى المسيح..
اسـمعني يـا أخي.. إن الصـورة الـتي يحملهـا المسـلمون عن المسيح أشرف بكثير من الصورة التي يخملهـا المسـيحيون عنـه.. ولذلك، فالمسلمون أقـرب للمسـيح وأجـدر بـه من الـذين يـدعون انتسابهم للمسيح.
قلت: ما الـذي رغبـك في الإسـلام حـتى تـركت من أجلـه دين آبائك وأجدادك؟
قال: أنـا لم أتـرك دين آبـائي وأجـدادي.. ولكـني صـححت دين آبائي وأجدادي.. أما عن سؤالك.. فإن العمر جميعا لا يفي بالجواب عنه.. ولكني سأحدثك عن سر اختياري لاسم إبـراهيم لأتسـمى بـه بعد الإسلام:
لقد كان إبراهيم هو النبي الذي أعطاني المفتاح الذي أدخل بـه عالم محمد، وهو المصباح الـذي اسـتنرت بـه للوصـول إلى أشـعة محمد.
قلت: كيف ذلك؟.. هل زارك إبـراهيم في الـرؤى كمـا زارتـني العذارء؟
قال: الرؤى تختلط فيها الحقائق بالأوهـام.. ولكنـه تـرك وصـية يقرؤها الكل، ويعرض عنها الكل..
قلت: أين هي؟
قال: في الكتاب المقدس.. الكتاب الذي تقرؤونه وتنتقــون في قراءته، وتفهمونه، وتتملصون من فهمه.

قلت: أين ذلك في الكتاب المقدس؟
قال: في مواضع منه.. وسأذكر لك أمثلة تشير إليه(1).

بركة إسماعيل:

قلت: حدثني.. فلعلك وقعت في شبهة منعتك من فهم أغراض الكتاب المقدس.

قـال: ألم يخـرج إبـراهيم ﷺ من أرض العـراق إلى الأرض المباركة، أرض فلسطين؟

قلت: أجـل.. وتـذكر التـوراة أن عمـره كـان حينـذاك خمسـة وسبعين عاما، ولما يولد له ولد حينها.. وقد بشره الله بعد خروجه، فقال: (أجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكـون بركـة.. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض) (التكوين 12/2 - 3)

قال: فقد وعد إبراهيم ﷺ بأن يبارك له في ذريته.

قلت: أجل.. وما ذكرته من سفر التكـوين يـدل عليـه.. بـل إنـه عندما ابتلى الله إبراهيم بذبح ابنه الوحيد يومذاك، فاستجاب وابنـه لأمـر اللـه، وحينهـا (نـادى ملاك الـرب إبـراهيم ثانيـة من السـماء، وقال: بذاتي أقسمت، يقول الـرب، إني من أجـل أنـك فعلت هـذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة وأكثر نسـلك تكثـيراً، كنجوم السماء وكالرمل الـذي على شـاطئ البحـر، ويـرث نسـلك باب أعدائه) (التكوين 22/1-17)

وقد ظل هذا الوعد بالمباركة مسـتمرا إلى آخـر أيـام إبـراهيم،

---

1) رجعت في هذه البشارات وتفسيرها إلى مراجع كثيرة من أهمها:
1. إظهار الحق لرحمة الله الهندي.
2. الفارق بين المخلوق والخالق لعبدالرحمن باجه جي.
3. البشارة بنبي الإسلام، لأحمد السقا.
4. نبي أرض الجنوب، ع. م / جمال الدين شرقاوى.

ومنها مصنفات المهتدين من أهل الكتاب:
1. الدين والدولة لعلي بن ربّن الطبري.
2. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان.
3. النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية للمتطبب.
4. إفحام اليهود للسموأل بن يحيى المغربي.
5. مسالك النظر في نبوة سيد البشر لسعيد بن الحسن الاسكندراني.
6. محمد ﷺ في الكتاب المقدس لعبد الأحد داود.
7. محمد نبي الحق لمجدي مرجان.
8. محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل أحمد.

وغيرها.

ومنها بعض المواقع التي اهتمت بهذا الجانب، كموقـع (الحـوار الإسـلامي المسـيحي)، وموقع (العلامة أحمد ديدات)، وموقع (ابن مريم عن المسيح الحق).

بالإضافة إلى كتب كثيرة وجدتها في هـذه المواقـع، وخاصـة كتب د. منقـذ بن محمـود السقار الكثيرة، والمنتشرة في هذه المواقع.

فإنه عندما بلغ إبراهيم التاسعة والتسعين تجددت البركة من الله لإبراهيم، وقد جاء في الكتاب المقدس: (قال له: أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً، فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك كثيراً جداً.. أجعلك أباً لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيراً جداً، وأجعلك أمماً، وملوك منك يخرجون، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً..) (التكوين 17/1 - 8).

قال: أليس إسماعيل الذي هو جد محمد من نسل إبراهيم؟

قلت: بلى.. بل هو ابنه البكر.. وقد ورد ذلك في الكتاب المقدس، فعندما أذلت سارة هاجر، فهربت هاجر من وجه مولاتها (قال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها. وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة، وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه: إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه، وأمام جميع إخوته يسكن " (التكوين 16/11 - 12)

قال: لقد بشرها الملاك إذن بابن عظيم يسود على كل أحد، لكنه أحياناً يكون على خلاف ذلك، فيتسلط عليه كل أحد.

قلت: أجل.. وقد ولدت هاجر ابنها إسماعيل فكان بكراً لإبراهيم، كما ورد في الكتاب المقدس: (وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل) (التكوين 16/16)

قال: لقد وعد إبراهيم بالبركة في ذريته، فهل شملت هذه البركة ابنه إسماعيل؟

قلت: أجل.. فقد طلب إبراهيم من الله الصلاح في ابنه إسماعيل، ففي الكتاب المقدس: (قال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك)(التكوين 17/18)، فاستجاب الله له وبشره بالبركة فيه وفي ابن آخر يهبه الله له، فقد بشره بميلاد إسحاق من زوجه سارة فقال: (وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً، أباركها فتكون أمماً، وملوك شعوب منها يكونون.. وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة)(التكوين 17/16-20)

قال: فقد وعد إبراهيم بالبركة في إسماعيل وإسحق.

قلت: أجل.. وقد ولد لإبراهيم أبناء آخرون من زوجته قطورة، لكن الله لم يعده بالبركة فيهم، ففي الكتاب المقدس: (عاد

إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا)(التكوين 25/1-2)

قال: إن كل ما ذكرته من البركات يتفق فيه الكتاب المقدس مع القرآن الكريم.. فالقرآن يقرر بركة وعهداً لإبراهيم في صالحي ذريته من ابنيه المباركين إسماعيل وإسحاق، حيث يقول :﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (الصافات:113)

ولكن هذه البركات ترتبط بصلاح الذرية، لا بمجرد كونهم من نسل إبراهيم، فقد قال تعالى:﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:124)

قلت: وقد ورد في الكتاب المقدس هذا الشرط.. ففي الكتاب المقدس: (سر أمامي وكن كاملاً فأجعل عهدي..)(التكوين 17/1 - 2)، كما قال له:(إبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض، لأني عرفته، لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب، ليعملوا براً وعدلاً، لكي يأتي الرب لإبراهيم بما تكلم به)(التكوين 18/18 - 19)

قال: فأنت تقر إذن بالبركة في كل من ذرية إسماعيل وإسحق..

قلت: أجل.. ولكنها تبدأ بإسحاق دون إسماعيل، وقد ورد في الكتاب المقدس: (ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق، الذي تلده لك سارة في هذا الوقت، في السنة الآتية) (التكوين 17/21)

قال: لا بأس.. لا يضرنا بمن تبدأ، ولا بمن تنتهي.

قلت: أجل.. لا يمكن أن أكابر في هذا.. فإسماعيل بورك كما بورك إسحق.

قال: فقد ظهر من بركات الله على ذرية إسحق كثير من الأنبياء، كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرائيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الجاثية: 16)

قلت: أجل.. فكل أنبياء بني إسرائيل كانوا من ذرية إسحق.

قال: فأين آثار البركة على ذرية إسماعيل الذي وعد في البركة في ذريته؟

قلت: نحن نتفق في أن بركة إسحاق هي النبوة والملك

والكتـاب والكـثرة والغلبـة، والـتي نص عليهـا كتـابكم، ولكن بركـة إسماعيل تقتصر على تكثيره فقط، كما ورد في الكتاب المقـدس: (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنـا أباركـه وأثمـره وأكـثره كثيراً جـداً، اثـني عشـر رئيسـاً يلـد، وأجعلـه أمـة كبـيرة)(التكـوين 17/20)

قال: هذه مكابرة.. فالكثرة وحدها لا تحمل أي بركة.. نعم نحن نقر بأن البركة بدأت بإسحق.. كما نص على ذلك الكتاب المقدس، فلذلك لم يظهر في العرب نبي طيلة الفترة بين إبراهيم ومحمد.

ولكن هذا التأخر لا يعني الإلغاء.. بل هو يعني شيئا أعمق وأكثر دلالة.

قلت: وما هو؟

قال: إن قصر النبوة في ذرية إسماعيل عليه السلام في محمد ﷺ دليل على أهمية هذه الرسالة.. فالبركـة فيهـا قـد جمعت كـل البركـات التي فرقت على أنبياء بني إسرائيل.. هذه ناحية.

وناحية أخرى لها أهميتها هي أنه لو كان في ذرية إسماعيل من كان نبيا لربما اعتقد المكابرون بأن البركات انصـرفت إليـه.. ولكن اقتصار النبوة على محمد ﷺ دليل على أنه هو المبارك الموعود.

فلذلك يقال للمنكرين: دلونا على صدق الوعد الـذي وعـد اللـه به إبراهيم في حق إسماعيل؟

فإنهم لو بحثوا لم يجدوا غيره ﷺ دليلا على هـذه البركـة.. وقـد كان البحث في سلسلة ذرية إسماعيل هو الـذي هـداني إلى هـذا، وهداني بعده إلى الإسلام.

لقد ساد العرب المسلمون الأمم بمحمد ﷺ ودولته، وفيما عـدا ذلك كـانوا أذل الأمم وأضـعفها وأبعـدها عن أن يكونـوا محلاً لبركـة الله، إذ لا بركة في قبائل وثنية تكاثرت على عبادة الأوثان والظلم.

قلت: أراك تؤمن ببعض الكتاب، وتكفر ببعض.

قال: كيف ذلك؟

قلت: لقد نسيت أن تقرأ نصوصـا مهمـة في الكتـاب المقـدس توضح لك هذا الإشكال الذي وقعت فيه.

قال: وما هي؟

قلت: لقـد نص الكتـاب المقـدس على أن الوعـد في إسـحاق وعد أبدي لن ينتقل إلى غـيرهم، فقـد جـاء فيـه: (فقـال اللـه: بـل سارة امرأتك تلد لك ابناً، وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهـدي معـه عهداً أبدياً، لنسله من بعده.. ولكن عهدي أقيمـه مـع إسـحق الـذي

تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية) (التكـوين 17/19-21)، فقد نص على أبدية العهد، أي أنه يظل في بني إسرائيل إلى يوم القيامة.

قال: لقد ذكرت لي أن ذلك مشروط باستقامتهم.

قلت: أجل.

قال: فقـد غـيروا وبـدلوا، وقتلـوا أنبيـاءهم، وأنتم تـذكرون أنهم صلبوا المسيح، فكيف يظل العهد محصورا فيهم؟

قلت: ولكن نص الكتاب المقـدس ذكـر الأبديـة، فقـال: (وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً)

قال: صحيح هذا.. ولكنه مشروط بالصلاح والطاعة.

قلت: وما تقول في لفظ الأبدية.. ألا يفيد الاسـتمرار إلى قيـام الساعة؟

قال: لا.. لا يعني ذلك.. وإن عناه فهو مشروط بالاستقامة.

قلت: اسـأل أي صـبي من الصـبية عن الأبـد، فسـيخبرك أنـه الزمن اللامتناهي.

قال: لن أسأل الصبية، ولكني سأسأل الكتاب المقدس.

قلت: كيف ذلك.. فالكتاب المقدس لن يجيبك إلا بما أجبتك به.

قال: ألم تقـرأ في سـفر الملـوك: (فـبرص نعمـان يلصـق بـك وبنسلك إلى الأبد) (ملوك (2) 5/27)، فهل كان الأبد مقصودا هنا؟

سكت، فقال: لا.. لم يكن مقصودا.. ولـو كـان كـذلك للـزم أن نرى ذريته اليوم أمة كبيرة تتوالد مصابة بالبرص.

أخبرني متى انتهت مملكة سليمان.

قلت: انتهت مملكتـه منـذ مـا يربـو على 2500 سـنة على يـد بختنصر البابلي.

قال: ولكن سفر الأيام يعبر عن تلك الفترة القصيرة التي امتـد فيها ملك سليمان بالأبد، ألم تقرأ فيه: (وقال لي: إن سليمان ابنك، هو يبني بيتي وديباري، لأني اخترته لي ابناً، وأنا أكون لـه أبـاً، وأثبت مملكته إلى الأبد) (الأيام 28/6)

قلت: بلى.. قرأتها.

قال: فـالمراد بالأبديـة هنـا الـوقت الطويـل فحسـب.. وأزيـدك شيئا.. لقد وقتَّ سـفر التثنيـة الأبديـة بمـا يسـاوي عشـرة أجيـال، فقال: (لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الـرب، حـتى الجيـل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعـة الـرب إلى الأبـد، من أجـل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء)(التثنيـة 33/3-4)، فالجيـل الحـادي

عشـر للمـؤابي غـير محـروم من جماعـة الـرب، وهـو دون الأبـد والقيامة.

أخبرني.. في أي بلد يسكن الآن نبوخـذ نصـر، فـإني أرغب في زيارته؟

قلت: ما بالك.. لقد اختلطت عظامه مع تراب الأرض.

قال: فكيف ورد في الكتـاب المقـدس إذن: (فتكلم دانيـال مـع الملك: يا أيها الملك عش إلى الأبد)(دانيال 6/21)؟

سـكت، فقـال: إن الأبـد الـذي أراده الكتـاب المقـدس ليس المقصود منه الأبد اللانهائي، أو الأبد المرتبط بالحياة الدنيا.. بل هـو أبـد مرتبـط بـالفترة الـتي تسـبق البركـة الـتي تظهـر على ذريـة إسماعيل.

وأقـول لـك: إن سـوء فهمكم لمعـنى الأبـد هـو الـذي جعلكم تحجـرون كـل البشـارات الـتي وردت في الكتـاب المقـدس على المسيح مع أنكم تتكلفون في ذلك.

قلت: دعنـا من هـذه، فهـذه البشـارة عامـة لا خاصـة، فهي لم تذكر اسما ولا صفة، بل ولا فردا.. بل هي بركة تشمل شعبا وأمة.. ويمكن تأويل ذلك بسهولة.

قال: أنا لا أريد أن أجادلك في هذا.. ولو أني أعلم أنك تعلم أنه لم يظهر في بني إسماعيل من هو أكثر بركـة من محمـد.. ولكـني مع ذلك أتجاوز هـذا لأدلـك على النصـوص الـتي لا يفهم منهـا غـير محمد.

قلت: محال هـذا.. لقـد قـرأت العهـدين.. ولم أجـد فيهـا اسـم محمد، ولا أي إشارة إليه.

حساب الجمل:

قـال: أتصـدق بمـا يفعلـه اليهـود من الاعتمـاد على حسـاب الجمل(1) في التعرف على النبوءات؟

---

1) حسَابُ الجُمَّل طريقةٌ حسابية تُوضَع فيها أحرف الهجاء مقابل الأرقام، بمعنى أن يأخذ الحرف الهجائي القيمة الحسابية للعدد الذي يقابله وفق جدول معلوم، ويقوم حساب الجُمَّل في اللغة العربية، والذي يسمّى أيضًا حساب الأبجدية، على حروف أَبْجَدْ أو الحروف الأبجدية، وهي: أَبْجَدْ، هوز، حطّي، كَلَمُنْ، سَعْفَص، قَرَشَتْ، ثَخَذْ، ضَظَغْ. ومجموعها ثمانية وعشرون حرفًا؛ تسعة منها للآحاد، وتسعة للعشرات، و تسعة للمئات، وحرف للألف.

فإذا قرأت عن حدث وقع في سنة (جمر)، مثلاً، فهذا يعني في حساب الجمّل أنّ الحدث قد وقع سنة (243)؛ لأن الحرف (ج) يقابله الرقم (3)، والحرف (م) يقابله الرقم (40)، والحرف (ر) يقابله (200). فمجموع الحروف ج + م + ر = 3 + 40 + 200 = 243. فإذا زاد العدد على الألف (ويقابله الحرف غ) وُضع قبل الحرف (غ) حرف مناسب، فالخمسة الآلاف يقابلها (هغ) وهي تساوي (5 × 1000)، وأربعون ألفًا يقابلها (مع)

قلت: هم يفعلون هذا.. وقد يخطئون، وقد يصيبون..

قال: المهم أنه مسلك من المسالك المعتمـدة.. وأنـا لا أذكـره لك إلا تأكيدا لغيره من النبوءات.

ألم تقرأ ما جاء في الجزء الثالث من السـفر الأول من التـوراة أن الله تعالى خاطب إبراهيم عليه السلام، فقال: (وأما في إسـماعيل فقـد قبلت دعـاءك، قـد بـاركت فيـه، وأثمـره، وأكـثره جـدا جـدا)، ففي التـوراة العبريـة ورد النص هكـذا: (ولشـماعيل. شـمعتيخا. هـني. بيراختى. أوتو. وهفريتى. أوتو. وهربيتي. أوتو بماد، ماد)

فهـذه الكلمـة (بمـاد مـاد) إذا عـددنا حسـاب حروفهـا بالجمـل

وتساوي (40 × 1000). وهكذا يكون تركيب أيّ عدد بالحروف التي تلائمه.

ويعتقد اليهود، وخاصة القبَّاليون منهم أن الأبجدية العبرية لها قداسة خاصة، ولها دور في عملية الخلق، وتنطوي على قوى غريبة قوية ومعان خفية، وبالذات الأحرف الأربعة التي تكوِّن اسم يهوه (تتراجرماتون)، فلكل حرف أو نقطة أو شرطة قيمة عددية.

ومن هذا المنطلق، فإن الحروف تنقسم عندهم بصفة عامة إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى الهمزة (رمز الهواء)، والمجموعة الثانية الميم (رمز الماء)، والمجموعة الثالثة الشين (رمز النار). وبإمكان الإنسان الخبير بأسرار القبَّالاه أن يفصل الحروف، ويجمع معادلها الرقمي ليستخلص معناها الحقيقي، كما كان من الممكن جَمْع الحروف الأولى من العبارات، وأن يُقرَأ عكساً لا طرداً ليصل المرء إلى معناها الباطني، وكانت هناك أيضاً طريقة الجماتريا.

وبذلك تصبح كلمات التوراة مجرد علامات، أو دوال، تشير إلى قوى ومدلولات كونية وبنى خفية يستكشفها مفسر النص الذى يخترق الرداء اللفظي ليصل إلى النور الإلهي الكامن. (انظر: الموسوعة العربية العالمية، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، لعبد الوهاب المسيري)

ونحب أن ننبه هنا إلى أن هناك حروفا اختلف في أرقامها يهود المشرق ويهود المغرب، والجدول التالي يذكر الرقم المعترف به عند يهود المشرق، أولا، ثم عن يساره الرقم المعمول به عند يهود المغرب، مع اعتبار أنَّ اللغة العبرية القديمة لا تحتوى على الستة أحرف الأخيرة (ثخذ ضظغ):

					9	8
ص		ف		ع		س

30	1	9	70	6	5	4
0-1000	000-	00-800	0	00	00	00

وقد أشرنا إلى هذا هنا لأننا سنعود إلى اعتبار هذا النوع من الحسابات في الإشارات التالية.

وجدناه اثنين وتسعون، وذلك عدد حساب حروف (محمد) ﷺ فإنه أيضا اثنان وتسعون.

قلت: أنا لا أؤمن بهذا كثيرا.. فقد يكون مصادفة، فلماذا يرد مُلغّزاً مع إمكانية إيراده واضحا؟

قال: هذا أسلوب من أساليب الكتاب المقدس في نبوءاته.. بالإضافة إلى هذا، فإنه لو صرح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة، كما أسقطت غيره من النصوص الصريحة.

بل يمكن أن يقال ـ على ما نعتقده من التحريف الذي مارسه اليهود مع هذه الكتب ـ بأن الله تعالى قد صرح به من قبل أن تغير التوراة، واليهود هم الذين غيروا الاسم الصريح بالرمز في مدينة بابل، ليعرفوه هم أنفسهم إذا جاء، ويسهل عليهم جحد نبوته إذا جاءهم بما لا تهوى أنفسهم.

قلت: أنت ترمي الغيب بسهام الظنون.. فكل ما تذكره من هذا الباب لا مستند له.

قال: لا.. لدي مستنداتي في ذلك، وقد كان السموأل(1)، وهو أحد أحبار اليهود المهتدين إلى الإسلام قد نبه إلى ذلك، ومثله فعل الحبر المهتدي عبد السلام في رسالته (الرسالة الهادية)

وقد ذكر هؤلاء أن اسم (محمد) ﷺ قد ورد في التوراة، في سياق بركة إسماعيل عليه السلام بحساب (الجمل) ليعرف الناس أنه بظهوره يبدأ ملك بني إسماعيل.

قلت: لهم أن يقولوا ما يشاءون.. ولكني امرؤ صاحب منطق وعقل، وما كان لي أن أستسلم لمثل هذه الأوهام.. فبحساب الجمل تستوي الترهات والأباطيل مع الحقائق والمعارف.

قال: لا بأس.. لن ألح عليك في الاقتناع بهذا.. ولكني سأذكر لك إشارة أخرى تتعلق ببشارة إبراهيم، لن يفهم منها إلا محمد.

قلت: هاتها.. لنزيل عنك شبهتها.

قال: أو قل: لنتعلم منك علومها.. فلا يصح لمسيحي يخلص لمسيحيته أن يتكبر بما يعلمه.

قلت: قل قولك، ودعني من نصائحك، فلولا ثقتي في ديني ما قلتها لك.

---

1) هو شموئيل بن يهوذا بن أيوب، الذي سمى نفسه بعد إسلامه : (السموءل بن يحي)، فقد ذكر في كتابه (بذل المجهود في إفحام اليهود) تحت عنوان : الإشارة إلى اسمه ﷺ :« وحساب الجمل عرف في الأمم القديمة، وهو الحساب بالحروف الأبجدية، فكل حرف أبجدي يُرمز له برقم. وتكمن أهميته في عدم كشف الخصم للأسرار » [انظر تفصيل ذلك في كتاب البشارة بنبي الإسلام لأحمد حجازي السقا: 1/135]

برية فاران:

قال: أتعرف برية فاران؟

قلت: وكيف لا أعرفها.. ألم أقل لـك: إني رجـل دين.. لقـد ورد ذكرها في التوراة، فقد جاء فيها أنـه بعـد فطـام إسـحاق، هـاجرت هاجر وابنها وأنها (مضت وتاهت في برية بئر سبع، ولما فرغ المـاء من القربة طرحت الولد تحت إحـدى الأشـجار.. ونـادى ملاك اللـه هاجر... قومي احملي الغلام، وشـدي يـدك بـه، لأني سـأجعله أمـة عظيمة، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر مـاء.. وكـان اللـه مـع الغلام فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسـكن في بريـة فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر) (التكوين 21/17-21).

قال: فقد سكن إسماعيل ببرية فاران.

قلت: هذا ما تنص عليه التوراة.

قال: أنا لن أجدلك في مكان فاران، فسـتجد من يـدلك عليهـا، ولكن.. ألم يرد التبشير بنبوءة تظهر فيها؟

قلت: أجل.. فقد جاء في الفصل العشرين: (أن الرب جـاء من طور سينين، وطلع لنا من ساعير، وظهـر من جبـل فـاران، ومعـه عن يمينه ربـوات القديسـين فمنحهم العـز، وحببهم إلى الشـعوب، ودعا بجميع قديسيه بالبركة)

قال: هذه بشارة صريحة لا تنطبـق إلا على محمـد ﷺ.. ولكـني لن أشرحها لك هنا.. فأنا إبراهيمي.. ولكـني أريـد أن أقنعـك فقـط بأن برية فاران محل من محال النبـوة.. وأن ذريـة إسـماعيل الـتي استوطنت فاران محل صالح لها.

قلت: فنلـترك هـذه الإشـارة للبحث.. فمـا كـان لي أن لزمـك بقولي، وما كان لك أن تلزمني بقولك.

قال: اسمح لي أن أسألك سؤالا له علاقة بمحل البشارة.

قلت: سل ما بدا لك.

قال: ألا تتحدث التوراة عن قصـة أمـر اللـه إبـراهيم بـذبح ابنـه الوحيد؟

قلت: بلى.. وقد جاء في القصـة التوراتيـة: (خـذ ابنـك وحيـدك الــذي تحبــه إســحاق، واذهب بــه إلى أرض المريــا.. فلمــا أتيــا الموضـع... لا تمـد يـدك إلى الغلام، ولا تفعـل بـه شـيئاً، لأني اللـه علمت أنـك خـائف اللـه فلم تمسـك ابنـك وحيـدك عـني... فـدعا إبراهيم ذلك الموضع: (يهوه يراه) حتى إنـه يقـال اليـوم: في جبـل

الرب يرى.. يقول الـرب: إني من أجـل أنـك فعلت هـذا الأمـر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة....) (التكوين 22/1 - 18)

قال: هل تعتقد حقيقة أن هذا النص لم يحرف؟

قلت: أنا لا أعتقد بتحريف نص في الكتاب المقدس.

قال: إن هذا النص لو نزعت منه اسـم إسـحق المقحم إقحامـا على من ينطبق؟

قلت: ما كان لي أن أنزع لفظا ورد في الكتـاب المقـدس، وإلا كنت محرفا.

قال: بورك لـك في حرصـك على كتابـك.. ولكن أخـبرني: هـل حصل في يوم من الأيام أن كان إسحق وحيدا لإبراهيم عليه السلام؟

ترددت قليلا، ثم قلت: لا..

قال: وليس لك أن تقول غير ذلك.. فقد كان إسماعيل وحيـداً لإبراهيم أربع عشرة سنة.

صـمت قليلا، ثم قلت: ولكنـه كـان ابنـا لجاريـة، ولم يكن ابنـا لسارة.

قال: فهل ينفي ذلك عنه كونه ابنا لإبراهيم؟

قلت: لا..

قال: فأنت تقر إذن بما قلت لك..

قلت: ومع ذلك يظل ابن جارية.

قال: مع ما يحمله قولك من عنصرية مقيتة إلا أني أسلم لـك.. لقد كان إسماعيل ابن جارية.. فهل تنتفي عنه البكورية لأجل ذلـك حسب الكتاب المقدس؟

قلت: لا.. لا تنتفي عنه، فمنزلة الأم لا تؤثر في بكورية الابن ولا منزلتـه، وقـد جـاء في التـوراة: (إذا كـان لرجـل امرأتـان إحـداهما محبوبة، والأخرى مكروهة، فإن كان الابن البكـر للمكروهـة، فيـوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقـدم ابن المحبوبـة بكـراً على ابن المكروهة البكر. بل يعرف ابن المكروهة بكـراً ليعطيـه نصـيب اثنين في كل ما يوجد عنده، لأنه هو أول قدرته لـه حـق البكوريـة) (التثنية 21/15 - 17)

قال: بالإضافة إلى هذا، فإن إبراهيم تزوج من هاجر.

لم أحر جوابا، فقال: ومما يبطـل أن يكـون الـذبيح إسـحاق مـا عرفنا من قبل من أن إبراهيم قد وعد فيه بالبركة والذرية منه قبل ولادته، وأنه سيكون كعـدد نجـوم السـماء(1) فـالأمر بذبحـه لا ابتلاء

1) (انظر التكوين 17/21)

فيه، لأنه يعلم أنه سيكون لهذا الابن نسل مبارك (1)..

سكت قليلا، ثم قلت: وما فائدة كل هذا التحقيق.. ومـا علاقتـه بالبشارة؟

قال: أردت أن أقول لـك بـأن في التـوراة إشـارة صـريحة إلى المحل الذي كان فيه إسماعيل، والـذي وعـد فيـه بالبركـة، وهـو لا ينطبق إلا على مكة، البلد الذي ولد فيه محمد.

قلت: كيف هذا؟

قـال: لقـد حـرف الـذين ورثتم منهم الكتـاب اسـم الـذبيح، فأدرجوه إدراجا في نص لا يحتمل غير إسماعيل.. ثم حرفـوا اسـم المكان المعظم الذي جرت فيـه أحـداث القصـة، فسـمتها التـوراة السامرية (الأرض المرشدة).. وسمتها التـوراة العبرانيـة (المريـا)، ولعله تحريف لكلمة (المروة)، وهو اسم لجبل يقع داخـل المسـجد الحـرام في مكـة المكرمـة اليـوم، أي في المكـان الـذي درج فيـه إسماعيل.

بالإضافة إلى هذا، فقد اتفـق النصـان العـبري والسـامري على تسمية ذلك الموضع (جبـل اللـه)، ولم يكن هـذا الاسـم مسـتخدماً لبقعة معينة حينذاك.. لذا اختلف اليهود في تحديد مكانه اختلافاً بيناً فقال السامريون(2): هو جبل جرزيم(3)، وقال العـبرانيون: بـل هـو

---

1) وهو ما صرح به المسيح حسب إنجيل برنابا الذي نذكره هنـا من بـاب الاسـتئناس، فقد جاء فيه:« قال لـه التلاميـذ: يـا معلم هكـذا كتب في كتـاب موسـى: إن العهـد صـنع بإسحاق؟ أجاب يسوع متأوهاً: هذا هـو المكتـوب، ولكن موسـى لم يكتبـه ولا يشـوع، بـل أحبارنا الـذين لا يخـافون اللـه. الحـق أقـول لكم: إنكم إذا أكملتم النظـر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا.. كيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسـماعيل ابن سبع سنين) (برنابا 44/1 ـ 11)، وفي التوراة المتداولة أن بينهما أربعة عشرة سنة. (انظر التكوين 16/16، 21/5)

2) (السامريون): كلمة معربة من كلمة «شوميرونيم» العبرية، أي سكان السامرة. ويُشار إليهم في التلمود بلفظة «كوتيم» وتعني «الغرباء»، وكان يوسيفوس يسميهم الشكيميين نسبةً إلى «شكيم» (نابلس الحالية). أما هم فيطلقون على أنفسهم «بنو يسرائيل»، أو «بنو يوسف»، باعتبار أنهم من نسل يوسف. كما يطلقون على أنفسهم اسم «شومريم»، أي «حفظة الشريعة»، باعتبار أنهم انحدروا من صلب يهود السامرة الذين لم يرحلوا عن فلسطين عند تدمير المملكة الشمالية عام 722 ق.م، فاحتفظوا بنقاء الشريعة.

وهناك نقط اتفاق بين السامريين واليهود الحاخاميين قبل ظهور القبَّالاه وحركات الإصلاح الديني اليهودي، فكلا الفريقين يؤمن بالله الواحد وباليوم الآخر والملائكة، لكن السامريين احتفظوا بقدر أكبر من الوحدانية التي تراجعت في اليهودية إلى أن اختفت تماماً تقريباً. وقد تبنوا الجزء الأول من الشهادة الإسلامية وهو « لا إله إلا الله »، وكانوا يشيرون إلى الخالق بلفظة «إل»، أو «ألا» القريبة من كلمة «الله»، ولكنهم كانوا أيضاً يسمونه «يهوه». كما كانوا يؤمنون بأن موسى نبي الله الأوحد وخاتم رسله وبأنه تجسيد للنور الإلهي والصورة الإلهية.

جبل أورشليم الذي بني عليه الهيكل بعد القصة بعدة قرون(1).

قلت: ما فائدة ذكر الخلاف في هذه المسألة؟

قال: الخلاف في مسألة مهمة مثل هذه يدل على أن كلا الموضعين ليس هو المحل المقصود، بل قد ورد عن المسيح ما يدل على هذا.. فعندما دخلت عليه امرأة سامرية، وسألته عن المكان الحقيقي المعد للعبادة، أفصح لها المسيح أن المكان ليس جبل جرزيم السامري، ولا جبل عيبال العبراني الذي بني عليه الهيكل.. وقد ورد النص هكذا في يوحنا:(قالت له المرأة: يا سيد أرى أنك نبي، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون أن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه، قال لها يسوع: يا امرأة صدقيني، إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهود. ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له، الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا) (يوحنا 4/19-24)

قال: وما المكان الذي تراه لذلك؟

قلت: التحقيق فيها أن قصة الذبح جرت في الأرض المرشدة، وهي أرض العبادة، وهي مكة أو بلاد فاران، واختلافهم دليل على

والكتاب المقدَّس عند السامريين هو أسفار موسى الخمسة، ويُضاف إليها أحياناً سفر يشوع بن نون.وهو ـ في عقيدتهم ـ منزل من عند الله، وهم لا يعترفون بأنبياء اليهود ولا بكتب العهد القديم. بل إن أسفار موسى الخمسة المتداولة بينهم تختلف عن الأسفار المدونة في نحو ستة آلاف موضع (ويتفق نص التوراة السامرية مع الترجمة السبعينية في ألف وتسعمائة موضع من هذه المواضع، الأمر الذي يدل على أن مترجمي الترجمة السبعينية استخدموا نسخة عبرية تتفق مع النسخة السامرية).وهم ينكرون الشريعة الشفوية، شأنهم في ذلك شأن الصدوقيين والقرّائين (ومن هنا التشابه بين الفرق الثلاث في بعض الوجوه).كما أنهم يأخذون بظاهر نصوص التوراة.

ويُعَدُّ السامريون جماعة شبه منقرضة. فهم أصغر جماعة دينية في العالم، فعددهم لا يتجاوز خمسمائة، يعيش بعضهم في نابلس، ويعيش البعض الآخر في حولون (إحدى ضواحي تل أبيب)(انظر: الموسوعة اليهودية، للمسيري)

3) جريزيم: جبل صخري يطل على الوادي الذي تقع فيه شكيم (نابلس فيما بعد). ويواجه جبل عيبال على ارتفاع 2849 قدماً فوق سطح البحر، و700 قدم فوق مدينة نابلس. وقد بُني فوق جريزيم أقدم هيكل للعبرانيين، ثم جاء داود ﷺ فأبطله وعطله بعد أن نقل عاصمته إلى القدس.

وجريزيم جبل مقدَّس عند السامريين؛ بنوا فوقه هيكلهم ليحجوا إليه، واستمروا في تقديم القرابين عليه حتى بعد أن هدم يوحنا هيركانوس هيكلهم عام 128 ق.م. وقد أعادوا بناءه إلى أن هدمه الرومان في النهاية عام 67 ق.م. (انظر: الموسوعة اليهودية، للمسيري).

1) بقي هذا الاختلاف من أهم الاختلافات التي تفرق السامريين عن العبرانيين، وقد استمر في حياة المسيح، كما سنرى.

صحة ذلك، واتفاقهم على اسم المكان بجبل الـرب صـحيح، لكنهم اختلفوا في تحديـده، وقـد ربطـوه بتسـميات ظهـرت بعـد الحادثـة بقرون عدة، وتجـاهلوا الـبيت المعظم الـذي بـني في تلـك البقعـة حينذاك، ويسمى بيت الله كما سمي الجبل الـذي في تلـك البقعـة جبل الله.

وقد قال ميخا النبي عن مكة والبيت الحرام وعن إتيـان النـاس للحج عند جبل عرفات: (يكون في آخر الأيام بيت الرب مبنيـاً على قلل الجبال، وفي أرفع رؤوس العوالي يأتين جميع الأمم، ويقولون: تعالوا نطلع إلى جبل الرب) (ميخا 4/1-2)

كما تحدثت المزامير عن المدينة المباركة التي فيهـا بيت اللـه، والتي تتضـاعف فيهـا الحسـنات، فالعمـل فيهـا يعـدل الألـوف في سواها، وقد سماها باسمها (بكة)، فجاء فيها: (طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك، سلاه، طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم، عابرين في وادي البكاء(1) يصيرونه ينبوعـاً، أيضـاً ببركـات يغطـون مـورة، يـذهبون من قـوة إلى قـوة، يـرون قـدام اللـه في صهيون، يا رب إله الجنود اسمع صلاتي وأصغ يا إله يعقوب، سـلاه، يا مجننا انظر يا الله والتفت إلى وجه مسيحك، لأن يوماً واحـداً في ديارك خـير من ألـف، اخـترت الوقـوف على العتبـة في بيت إلهي على السـكن في خيـام الأشـرار)(المزامـير 84/4-10)، فـذكر أن اسمها بكة، وترجمته إلى وادي البكاء صورة من التحريف.

قلت: وما الفرق بين بكة وبين وادي البكاء؟

قال: فرق عظيم.. فبكة اسم لمكة البلد الذي ولد فيـه محمـد، وقد جاء في القرآن الكريم ذكرهـا بهـذا الاسـم، كمـا قـال تعـالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكـاً وَهُـدىً لِلْعَـالَمِينَ﴾ (آل عمران:96)

قلت: ولكن ما الـذي جعلهم يعـدلون عن اسـم بكـة إلى اسـم وادي البكاء؟

قال: لا أريد أن أخـوض في المقاصـد والنيـات.. فاللـه هـو رب النيات والمقاصد، وهو الديان الذي يحاسب عليها، ولكني أقول لك بأن التصحيف والتغير في الأسماء كثير عنـد الترجمـة بين اللغـات، بل بين الطبعات، فاسم (باربـاس) مثلا في الترجمـة البروتسـتانتية

---

1) في الترجمة الإنجليزية:through the valley of Ba'ca make it a well، والنص كما جاء في ترجمـة الكاثوليـك كالتـالي :« يجتـازون في وادي البكـاء، فيجعلونـه ينـابيع مـاء، لأن المشترع يغمرهم ببركاته، فينطلقون من قوة إلى قوة، إلى أن يتجلى لهم إله الآلهـة في صهيون » (83/7-8)

هو في نسخة الكاثوليك (بارابا)، وكذا (المسيا، ماشيح) و(شـيلون، شيلوه) وغير ذلك كثير.

***

ما قال هذا حتى جاءنا الغداء، فـدعاني إلى أكلـه، وأكـل معي، وقد كان هشوشـا بشوشـا، يلح علي في الأكـل من أنـواع الطعـام الطيب الذي حضره لي، وهو يرسـل النكت بين ذلـك.. وكـأنني لم أكن أختلف معه، أو يختلف معي.

بعد انتهائي من الأكل، وتصميمي على العودة إلى الفندق الذي آوي إليه، مد يده إلي يدي، وصافحها بحرارة، وهـو يقـول: سـررت بمعرفتك.. وأسأل الله أن يقيض لك من يعرفك به، ويدلك عليه.

وأخبرك قبل أن تنصرف بـأن محمـدا ﷺ الـذي لم أملـك إلا أن أؤمن به، أخبر عن هذه العلاقة التي تربطـه بـإبراهيم، فقـال: (إني عند الله لخـاتم النبـيين، وإن آدم لمنجـدل في طينتـه، وسـأخبركم بأول أمري: أنا دعـوة إبـراهيم، وبشـارة عيسـى، ورؤيـا أمي الـتي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور سـاطع أضـاءت منـه قصـور الشام)(1)

بل أخبر القرآن الكريم كتاب المسلمين المقدس على أن اللـه دعا لتلك البلاد الـتي ولـد فيهـا محمـد ﷺ بـأن يكـون فيهم رسـول منهم، قال تعالى: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُـولاً مِنْهُمْ يَتْلُـو عَلَيْهِمْ آيَاتِـكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (البقـرة: 129)

انصرفت عنه.. وقد كـان ذلـك بدايـة الحـيرة.. وكـان في نفس الوقت بداية إشراقة النور الـتي هبت علي من شـمس محمـد ﷺ.

---

1) رواه أحمد.

بشارة يعقوب

في اليـوم الثـاني، قـررت أن أسـير إلى بعض المستشـفيات لزيارة المرضـى، والتعـرف عليهم.. فالمرضـى أرق النـاس قلوبـا، وأكثرهم حبا للخلاص واسـتعدادا لـه، وقـد لقنت من الأسـاليب مـا يملأ المرضى لهفة لسماعي، وحرصا على اتباعي.

رأيت رجلا في المستشـفى ملقى على سـريره، وكأنـه يجـود بنفسه، هرعت إليه، وسألته عن حالـه، فتكلم بصـوت تختلـط فيـه الحياة بحشرجة الموت، وقال لي: اسـمعني جيـدا.. إنـني في آخـر لحظات حياتي، وقد أرسـلك اللـه لي، لأنطـق أمامـك بمـا عجـزت طول عمري عن النطق به.

قلت: هون عليك يا أخي.. فلعل الله يمد في عمـرك.. ولعلـني أستطيع أن أنقذك بما أستطيع أن أنقذك به.

قال: لا.. لم يبق من عمـري إلا مقـدار هـذه الكلمـات الـتي لم يسمعها مني غيرك.. فلا تشغل نفسك بشيء.

قلت: من أنت أولا؟

قال: أنا يعقوب.. ولا يهمك من أي قبيلة أنا.. ولا من أي بلد..

قلت: أنت يهودي على ما يبدو.

قال: كنت يهوديا، ثم بان لي عوار اليهودية وتحريفهـا، فهـرعت إلى المسيحية، علني أجد عند عبدة المسيح ما لم أجده عند عبـدة العجل.

قلت: لا شك أنك وجدت ما تبحث عنه عندهم؟

قال: لا.. لقد ضل هؤلاء، كما ضل أولئك.

قلت: فأنت لا دين لك إذن..

قال: قد كنت قبل ساعة لا دين لي.. لكـني الآن سـأموت على خير دين، وأصدق دين.

قلت: أي دين هذا الذي آثرته على كل الأديان؟

قال: دين محمد..

أصابتني رعشة، وقلت: ما الذي تقوله؟

قـال: أصـدقك.. لقـد كنت من أحبـار اليهـود.. وعلمي بالكتـاب المقدس وبلغات الكتاب المقدس لا يضاهيه أحد.. لقد كنت مرجعـا في هذا الباب.. ولهذا عرفت الإسلام.

قلت: أعلمك بدينك وبلغات دينك هي التي أوصلتك للإسلام؟

قال: أجل.. وقد صدق كتاب المسلمين عندما قال : فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (يونس:94)

قلت: وما في هذه الآية مما فهمته؟

قال: هذه الآية تشير إلى أن هذه المعرفة مرتبطة بمن يقرؤون الكتاب ويعلمونه، لا بمن يهجرونه ويتركونه.. بل ورد في آية أخرى أن هؤلاء أكثر معرفة به من معرفتهم بأبنائهم، كما قال تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (البقرة:146)

قلت: فأنت الآن تعرف محمدا أكثر من معرفتك لأبنائك؟

قال: أجل..

قلت: فما الذي حجبك عن إظهار إسلامك إلى هذه اللحظة؟

قال: لقد كان لي أخ توأم، وكان يغريني بالجاه العريض.. والمناصب الرفيعة.. والأموال الكثيرة.. إنه ما ذكره القرآن الكريم عندما قال : فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (لأعراف:169)

قلت: فأين أخوك التوأم الآن؟

قال: هو غائب الآن.. لا أرجعه الله.. لقد كان الصخرة التي حجبت قلبي عن الخروج من كهف الظلمات الذي سجنت فيه طول حياتي.

قلت: فكيف بدا لك أن تترك كل ذلك الآن؟

قال: لقد كنت مارا على هذا الوادي، فسمعت من الغيب قارئا يقرأ ما قرأته عليك، فتحركت في نفسي همة تدعوني للترفع عن هذه القيود التي تحبسني عن السير إلى ربي، والتنعم بالدخول تحت لواء نبيه.

قلت: ولكنك تذكر أنه لم يبق من عمرك إلا هذه اللحظات، فكيف تزعم أنك تسير إلى الله؟

قال: من رزقه الله القبول، رزق في طرفه عين من الأمداد ما لا تفي به الأعمار.. ألم تسمع قوله ﷺ: (والذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم

ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكـون بينـه وبينهـا إلا ذراع، فيسـبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)[1]

قلت: فما الذي في كتابـك، وفي لغـات كتابـك ممـا دلـك على محمد ودين محمد؟

قال: أنا اسمي يعقوب..

قلت: لقد ذكرت لي ذلك.. ولا أدري علاقة اسمك بالبشارة.

قال: لقد سمعت قرآن المسلمين يذكر وصية ليعقوب، يوصـي فيها أولاده بالإسلام، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعـالى: أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِسْـحَاقَ إِلَهـاً وَاحِـداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (البقرة:133)

قلت: أجل.. لقد مر بي هذا النص.. ولكن ما علاقته بالبشارة؟

قال: هذا النص يخبر عن اهتمام يعقوب بدين أبنائه من بعده.

قلت: هـذا واضـح.. وأنـا لا أريـد الحـديث عن هـذا.. أريـدك أن تحدثني عن بشارة يعقـوب الـتي دعتـك إلى محمـد.. لعـل لي من العلم ما ينفي عنك ما يرتبط بها من شبه.

قال: هل قرأت بشارة يعقوب بشَّيَّالوه (שילה)؟

قلت: وكيف لا أقرؤها وأنا رجل دين قضى مـع الأسـفار سـنين طوالا.. لقد ورد في العهد القديم عن وصية يعقوب لبنيه قبل وفاته في سفر التكوين (49/10): (ثم دعا يعقـوب بنيـه، وقـال اجتمعـوا أبـارك فيكم، وأخـبركم بمـا ينـالكم في آخـر هـذه الأيـام، اجتمعـوا واسمعوا ذلك يا بني يعقوب، واقبلوا من إسرائيل أبيكم.. لا يـزول القضيب من يهوذا، والرسـم من تحت أمـره، إلى أن يجئ شـيلوه، وإليه تجتمع الشعوب)[2]

1) البخاري ومسلم.

2) ترجم هذا النص في الترجمات العربية الأربع المعاصرة كما يلي:

نسخة فانديك المعتمدة ط 1977	نسخة كتاب الحياة ط 1988
لا يـزول قضـيب من يهـوذا ومشـترع من بين رجليه حـتى يـأتى شـيلون ولـه يكـون خضوع شعوب.	لا يـزول صـولجان الملـك من يهـوذا ولا مشـترع من صـلبه حـتى يـأتى شـيلوه (ومعنـاه : من لـه الأمـر) فتطيعـه الشعوب.
نسخة الكاثوليك ط 1993	نسخة الآباء اليسوعين ط 1991
لا يـزول الصـولجان من يهـوذا ولا عصـا السـلطان من صـلبه إلى أن يتبـوأ فى شيلوه [1] من له طاعة الشعوب. (1).. إلى أن يتبوأ في شيلوه (مدينة بين بيت إيـل وشـكيم) أو: إلى أن يـأتى من له الصولجان.	لا يـزول الصـولجان من يهـوذا ولا عصـا القيـادة من بين قدميـه إلى أن يـأتى صاحبها [1] وتطيعه الشعوب. (2).. النصّ ومعناه موضوعا جدل. يـدور الكلام على مجىء شخص تكتنفه الأسرار وتطيعـه الشـعوب. فـالنبوءة تنتظـر ملكـا

قال: ما هي الكلمة التي تسترعي الانتباه في هذه البشارة؟
قلت: لا شك أنها كلمة (شيالوه)، فهي كلمة غريبة، بل هي كلمة فريدة في العهد القديم، ولا تكرر في أي مكان آخر فيه.
قال: إذن.. من هذه الكلمة نحاول أن نبحث على من تصدق البشارة؟
قلت: ولماذا تتعب نفسك في البحث عنها؟.. وهي منطبقة كنار على علم على المسيح.
قال: أي مسيح؟.. مسيحكم أم مسيح اليهود.. ألا تعلم أن اليهود ـ أيضا ـ ينتظرون مسيحا؟
قلت: أجل وأعلم أنهم يفسرون هذه اللفظة على مسيحهم.. بل هم يضعون في ترجماتهم التفسيرية المعروفة بـ (الترجوم) ـ كترجوم أونقيلوس والترجوم الفلسطيني، والترجوم المنسوب إلى يوناثان، وترجوم مخطوطات قمران ـ محل كلمة (شيلوه) اسم المسيح (ماشيحا)
ولكن كل ذلك غير صحيح.. شيلوه المراد هنا هو المسيح.. مسيحنا.. المخلص الذي خلصنا على خشبة الصليب.
قال: ألا ترى أنك تتكلف في هذا التفسير؟
قلت: كيف ذلك؟
قال: اقرأ البشارة جيدا.. ألم يرد فيها: (لا يزول القضيب من يهوذا، والرسم من تحت أمره، إلى أن يجئ شيلوه، وإليه تجتمع الشعوب)؟.. أتدري ما المراد بالقضيب؟
قلت: أجل.. هو صولجان الحكم، وقد استبدلت هذه الكلمة في بعض الترجمات بكلمة (الصولجان).
قال: فهذه البشارة ـ إذن ـ تتحدث عن رجل يملك؟
قلت: أجل.. هذا هو الظاهر.. بل قد جاء فيها (الرسم من تحت أمره)أي أنه مبيِّن القانون ومفسِّره ومشِّرعه.
قال: فأنت تقر إذن بأن هذه البشارة لا تنطبق على المسيح؟
قلت: كيف؟

وعلماء المسيحية مقرون بعجزهم عن تفسير محتواها وفحواها لغويا وتاريخيا، بل والاعتراف الصريح بأنَّ قراءة نصّ النبوءة من الأصل العبرانى القديم متعذر لفقدان قواعد قراءة هذه اللغة القديمة ومفرداتها من قبل زمن بعثة المسيح ﷺ بحوالى خمسة قرون كاملة، وهذه اللغة العبرانية القديمة تختلف عن اللغة العبرية الماصورتية المشكلة المعروفة حالياً، والتى انتهوا من وضع قواعد قراءتها وتشكيلها فى القرن العاشر الميلادى، أى من بعد أن انتهى المسلمون من تشكيل القرآن الكريم.
انظر: نبي أرض الجنوب، وانظر لمزيد من التفصيل: قاموس الكتاب المقدس العربى نشر دار الثقافة ص 536.

قال: لم يكن المسيح يملك.. ألم يهرب المسيح من تمليكه لما طلبوا ذلك؟

قلت: بلى.. وقـد جـاء في يوحنـا: (لمـا علم أنهم مزمعـون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده)(يوحنا 6/15).

قـال: ليس ذلـك فقـط، بـل إنـه لمـا ادعى عليـه اليهـود عنـد بيلاطس أنـه يقـول عن نفسـه بأنـه ملـك نفى ذلـك، وتحـدث عن مملكة روحية مجازية غير حقيقية فقال: (مملكتي ليسـت من هـذا العالم، لو كانت مملكـتي من هـذا العـالم لكـان خـدامي يجاهـدون لكي لا أسلم إلى اليهود) (يوحنا 18/36)

قلت: هذا صحيح.. ولكنها مع ذلك قد تنطبق على موسى..

قلت هذا، ولم يكن لي من نية إلا صرفه عن محمد ﷺ، فقد بدأ الشك يدب في نفسـي من صـدق النبـوءات الـتي كنت أسـلم لهـا تسليما مطلقا.

نظـر إلي بنـوع من السـخرية الخفيـة، وقـال: لعلـك لم تقـرأ البشارة.. تثبت جيدا منها.. إن هذه البشـارة تنص على أنـه بمبعث هذا النبي يزول الملك من إسـرائيل.. بـل ترفـع الشـريعة.. فكيـف تقول بأن موسى هو الذي تحقق فيه ذلك.. ألا تـرى خطـورة مثـل هذا الرأي؟

قلت: أجل.. لو سلمنا بأن موسى هو الذي تحقق بهذا الوصـف لكـان كـل من عـداه مـدعيا.. فالشـريعة لم تقطـع بموسـى، بـل قطعت بالمسيح.

قال: ولم تقطع بالمسيح.. ألم تقرأ الإنجيل؟

قلت: بلى..

قال: ألم تقرأ فيه أنه ما جاء لنقض الناموس؟

قلت: هذا صحيح.. فقـد جـاء في (مـتى 5/17): (لا تظنـوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل)

قال: ليس ذلك فقط، بل قد ورد في نص البشـارة أنهـا ترتبـط بشخص تخضع له الشعوب، لا شعب إسرائيل فقط، مـع أن جميـع أنبياء بني إسرائيل لم يرسلوا لغير بني إسرائيل.

قلت: إلا المسيح.

قال: حتى المسيح.. ألم تقرأ ما ورد في الأناجيل.. لقد جاء في متى: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضـالة) (مـتى 15 / 24)؟

قلت: أرى أنك بهذا القول تريـد أن تصـرف هـذه البشـارة عن جميع بني إسرائيل.

قال: أجل .. عن جميعهم، حتى عن سليمان الـذي كـان ملكـا.. فإنه لم يزل بوجوده ملك بني إسرائيل، ولا شريعتهم.

قلت: فعلي من ترى انطباق هذه البشارة إذن؟

قال: أرى أن هذه البشـارات تنطبـق على بشـارات أخـرى لهـا نفس الدلالة، وكلها تجتمع على التبشير بمخلص واحد.

إن هذا المبشر به هو نفسه الذي بشـرت بـه هـاجر وإبـراهيم: (يده على كل واحد) (التكوين 16/12).

وهو نفسه الذي قال عنه النبي حزقيال: (يأتي الذي لـه الحكم فأعطيه إياه) (حزقيال 21/27).

بل هو نفسه الذي بشر به المسيح حين قال متحـدثا عن نسـخ الشـرائع بشـريعة هـذا المبشـر بـه: (لا تظنـوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمـل، فـإني الحـق أقـول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يـزول حـرف واحـد أو نقطـة واحـدة من النـاموس حـتى يكـون الكـل)(مـتى 5/17-18)، فهـذا المبشر به هو الكل الذي له الكل..

قلت: لقد ذكرتني بقول آخر في تفسير لفظـة (شـيلوه)، فمن أهم الأقوال التي وردت فيها أنهـا ليسـت اسـما لشـخص، بـل هي مصـحفة عن كلمـة (شـلو)، وتعـني (الـذي لـه) أو (الـذي حفظت الأشياء لـه).. وقال بعضهم بـل هي (شي لو)، وتعني (هدية الله)..

ونحن ـ معشر المسيحيين ـ لا نرى في هذا الكل الذي له الكـل غير المسيح.

قال: أتريد أن تعود بنا إلى نفس مـا ذكرنـا.. ألم يخـبر المسـيح أنه لم يأت لينقض الناموس.. ولم يأت ليقيم ملكا؟

قلت: أجل.. صحيح، قد ذكرنا هذا.

قال: فكيف تنطبق هذه البشارة عليه إذن؟

قلت: فكيف تنطبق هذه البشارة على محمد؟

قال: أنت تعلم أنه لا أحد في الدنيا تنطبق عليـه هـذه البشـارة غير محمد.

قلت: لا أعلم ذلـك.. ولـو أعلم مـا سـألتك.. بـل لـو كنت أعلم لاتبعتك في دينك، وما انتظرت حتى أصـل إلى هـذه المحـل الـذي أنت فيه.

قال: وأخوك التوأم أتراه يرضى.. إن التـوائم لا يرضـون.. سـل

كل من له أخ توأم ليخبرك بالحقيقة.
قلت: وأنت.. أين أخوك التوأم؟
قال: لقد أخبرتك بغيبته.. لا أرجعه الله.. ولو لم يغب ما نطقت أمامك بمثل هذه الكلمات.
قلت: حدثني بهذه البشارة.. ودع أخي.. فهو ينعم بكل صحة وعافية.
قال: حاول أن تفهم البشارة أولا، وما تستلزمه البشارة، لتستطيع أن تجد لها المحل المناسب لها.
لقد ذكرت البشارة أن الصولجان والمشرع، أي الحكم والشريعة سيظلان في سبط يهوذا طالما لم يظهر شيلوه.
وهذا يفند ادعاء اليهود بأن الشيلوه لم يظهر، لأن الصولجان الملكي والخلافة تخصان ذلك السبط، وقد انقرضا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً.
ليس ذلك فقط.. بل إن اليهود مضطرون أن يقبلوا واحداً من الخيارين:
إما التسليم بأن شيلوه قد جاء من قبل، وأن أجدادهم لم يتعرفوا عليه.
و أن يتقبلوا أن سبط يهوذا لم يعد موجوداً، وهو السبط الذي ينحدر منه شيلوه.
ليس ذلك فقط.. بل إن النص يتضمن ــ بصورة واضحة ومعاكسة جداً للاعتقاد اليهودي والمسيحي ــ أن شيلوه غريب تماماً على سبط يهوذا وبقية الأسباط، لأن النبوة تدل على أنه عندما يجيء شيلوه، فإن الصولجان والمشرع سوف يختفيان من سبط يهوذا، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان شيلوه غريباً عن يهوذا، فإن كان شيلوه منحدراً من يهوذا، فكيف ينقطع هذان العنصران من ذلك السبط.
بل إن النص يدل على أنه لا يمكن أن يكون شيلوه منحدراً من أي سبط آخر، لأن الصولجان والمشرع كانا لمصلحة إسرائيل كلها، وليس لمصلحة سبط واحد.
وهذا لا يقضي فقط على ادعاء اليهود، بل هو يقضي قبل ذلك، ومع ذلك، على الادعاء بأن المسيح هو شيلوه، لأن المسيح منحدر من يهوذا من جهة أمه.
قلت: فقد ترجمها آخرون ترجمات أخرى لن تنطبق على محمد بأي حال من الأحوال.

قال: فبم ترجموها؟

قلت: لقــد ترجموهــا (حــتى يَجيء الهــدوءِ النّهــائي) (final tranquility)، وقريب منها ما ترجمها به آخر، فذكر أنها (حـتى يـأتي السلام الأخير)، ومعنى ذلك أنها مصحفة عن (شَـلْواه) الـتي تعـني الهدوء والسلام.

قال: وذلك لا يتحقق إلا في محمد.

قلت: بـل ذلـك لا يتحقـق إلا في المسـيح.. فقـد كـان السـلام الأخير الذي نعمت به البشرية.

قال: ولكنكم تزعمون أن التلاميذ من بعده كانوا رسلا.. فكيـف يكون السلام الأخير؟

ثم إن المسيح وتلاميذه من إسرائيل، وقد عرفنـا أن النبـوءة لا يمكن وقوعها على بني إسرائيل.

قلت: فكيف ترى انطباقها على محمد.. ودينه دين حرب لا دين سلام؟

قال: السلام في دينه هو الأصـل.. والحـرب ضـرورة تبحث عن السلام.. لقد ورد في كتاب المسلمين :﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَـاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (لأنفال:61)

قلت: وورد فيه :﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ (البقرة: 191)

قال: لماذا تقطع الآية من سياقها.. إن الآية تتحـدث عن مبـادئ السلام العظمى، لقد قال الله تعـالى:﴿ وَاقْتُلُـوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُـوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَـدُّ مِنَ الْقَتْـلِ وَلا تُقَـاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَـذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:191)

فالآية الكريمـة تـبرر قتـالهم بالـدفاع عن النفس.. ولا يمكن أن يتحقق بالسلام من له تكن له القوة على الدفاع عن نفسه.

قلت: ولكن الإسـلام يـأمر بقتـل المقـاتلين وغـيرهم، ألم تقـرأ كتابهم، فقد ورد فيه :﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ (التوبة: 36)

قال: أنت مغرم بتقطيع النصوص.. ألا تعلم أن التقطيـع انتقـاء، وأن الانتقـاء تحريـف.. لقـد قـال اللـه تعـالى في الآيـة :﴿ وَقَـاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ (التوبة: 36)

ثم إن الكافـة الـتي تحرصـون عليهـا هنـا ورد مثلهـا في الأمـر بالسلم، فقد قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة:208)

ثم إن الله تعالى بين علة الحرب التي تبحث عن السلام، فقال : لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (الممتحنة:8)، فالآية تأمرنا بمسالمة المسالمين بل والإحسان إليهم.. ثم تأتي الآية بعدها بالنهي عن مسالمة المجرمين، قال تعالى: إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (الممتحنة:9)

قلت: أليس في ذلك ظلما !؟.. لقد أمرنا المسيح بمحبة أعدائنا.

قال: لا.. ليس ظلما.. أنت بين موقفين: إما أن تنصر الضحية، وإما أن تنصر الجلاد.

قلت: قد أنصر كليهما.

قال: نعم.. عندما تنهى الجلاد عن جلده يكون ذلك نصرا له ونصرا للضحية، ولكنه إن لم يستجب.. ماذا تفعل؟.. هل تترك الضحية للجلاد بحجة حبك للسلام، أم أنك تفعل ما فعله موسى حين نصر الإسرائيلي؟

لقد علل القرآن الكريم سر القتال، وأبان عن مقاصده، فقال : أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (الحج:39 ـ 40)

قلت: دعنا من هذا.. ولأسلم بعض ما ذكرت.. ولكن مع ذلك، فقد ذكر آخرون أنها مشتقة من الفعل (نشل) الذي يعني (طرد، ونفى)، ومن ثم ترجمها إلى (حتى يأتي المنفي until the exile comes)

قال: وهذا لا ينطبق إلا على محمد.. لأن المسيح ـ كما تزعمون ـ صلب في بلده.

أما محمد ﷺ فقد خرج من بلاده فارا بدينه، بعد أن اتفق الملأ من المشركين على جميع ما أبدعته عقولهم من صنوف المكر، قال تعالى: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (لأنفال:30)

ولم يهاجر وحده، بل هاجر معه أكثر أصحابه.. بل إن المهاجرين يمثلون المسلمين الأول الذين تعرضوا لجميع أنواع الاضطهاد.

ولا أظنك تحتاج إلى أي توثيق تاريخي لهذا.. فهو منقول بالتواتر.. بل نصت عليه آيات كتاب المسلمين المقدس، وهو منقول بأعظم أسانيد التواتر وثوقا.

قلت: ولكن بعضهم اعتبر (شيلوه) اسما لمكان معين، لذلك جاء في بعض الترجمات:(لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه حتى يأتي الى شيلوه)، وفي ترجمة انكليزية: (حتى يأتي الرجال إلى شيلو)

قال: إن علمي بلغات الكتاب المقدس يحيل هذا الاحتمال.. ذلك أن كلمة شيلوه تتكون من أربعة أحرف عبرية هي: (شين)، (يود)، (لاميد)، (وهي)، وتوجد بلدة اسمها شيلوه ولكن لا يوجد فيها حرف (يود)، ولذلك لا يمكن أن يكون الاسم مطابقا أو مشيراً للبلدة.. فالكلمة حيثما وجدت تشير إلى شخص وليس إلى مكان.

بالإضافة إلى ذلك، فإن العلماء المتخصصون ضعفوا هذا الرأى، واستدلوا لذلك بأنَّ الواقع التاريخى لبنى إسرائيل يدحض وجود أهمية كبرى لمثل بلدة شيلوه هذه.. بل فوق ذلك نصوا على خطأ تلك الترجمة، وشككوا فى صحتها.

قلت: لقد ذكرت لي أنك عالم لغات.. فما المعاني التي ترجحها لهذه الكلمة؟

قال: اثنان.

قلت: فما أولهما؟

قال: أن تكون الكلمة سريانية مكونة من كلمتي (بشيتا) و(لوه)، ومعنى الأولى منهما: (هو) أو (الذي)، والثانية (لوه) معناها (له)، ويصبح معنى النبوءة حسب ترجمته المفسرة: (إن الطابع الملكي المتنبئ لن ينقطع من يهوذا إلى أن يجيء الشخص الذي يخصه هذا الطابع، ويكون له خضوع الشعوب)

قلت: فما الثاني؟

قال: أن تكون الكلمة محرفة من كلمة (شيلواح) ومعناها: (رسول الله) كما يعبر بالكلمة مجازاً عن الزوجة المطلقة لأنها ترسل بعيداً، وتفسير الكلمة بالرسالة مال إليه القديس جيروم، فترجم العبارة: (ذلك الذي أرسل)

بالإضافة إلى هذا، فقد رأيت أن كلمة (شيَّالوه) العبرية تعادل

الصيغة العربية رسول الله عند حسابها بحساب أبى جاد[1] المعمول به عند اليهود. فمجموع أرقام حروفها يساوى 362 وهو هو مجموع أرقام الصيغة العربية رسول الله 362.

***

صمت قليلا، ثم قال: لقد عرفت منزلة النبي يعقوب عند المسلمين.. أتدري ما منزلته عندكم؟

قلت: هو نبي عظيم من أنبياء بني إسرائيل.

قال: ألا تعتبرونه سارقا للبركة؟.. إنكم تجعلون كل تلك البركات التي نزلت على إسرائيل وبيت إسرائيل مبنية على الغش والاحتيال.. أليس كذلك؟

صمت، فقال: سأقرأ عليك من الكتاب المقدس ما يذكرك بهذا.

قال: أول جريمة تنسبونها ليعقوب هو احتياله على أخيه، واشتراؤه ما لا يمكن أن يشترى.. ألم يشتر منه البكورية؟

صمت، فأخذ يقرأ: (فكبر الغلامان، وكان عيسو إنسانا يعرف الصيد إنسان البرية ويعقوب إنسانا كاملا يسكن الخيام، فأحب اسحق عيسو لأن في فمه صيدا. وأما رفقة فكانت تحب يعقوب، وطبخ يعقوب طبيخا فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا، فقال عيسو ليعقوب: أطعمني من هذا الأحمر لاني قد اعييت. لذلك دعي اسمه أدوم، فقال يعقوب: بعني اليوم بكوريتك، فقال عيسو: ها أنا ماض إلى الموت، فلماذا لي بكورية، فقال يعقوب: احلف لي اليوم فحلف له فباع بكوريته ليعقوب، فأعطى يعقوب عيسو خبزا وطبيخ عدس، فأكل وشرب وقام ومضى، فاحتقر عيسو البكورية)(تكوين: 25/27 ـ 34)

صمت قليلا، ثم قال: وثاني جريمة هي أنكم تنسبون له الغش والاحتيال على أبيه.. نبي الله إسحق.. أليس كذلك؟

صمت، فقال: أنتم تقرؤون في الكتاب المقدس، وتتعلمون على يديه هكذا..

أخذ يقرأ: (وحدث لما شاخ اسحق وكلّت عيناه عن النظر انه دعا عيسو ابنه الاكبر وقال له يا ابني. فقال له هانذا، فقال: إنني قد شخت ولست اعرف يوم وفاتي. فالآن خذ عدتك جعبتك

---

1) أرقام حروف العبارتين حسب حساب الجمَّل المعروف بحساب أبى جاد :
شيَّالوه (ش ى ى ا ل و هـ) : 300 + 10 + 10 + 1 + 30 + 6 + 5 = 362
رسول الله (ر س و ل ا ل ل هـ) : 200 + 60 + 6 + 30 + 1 + 30 + 30 + 5 = 362.

وقوسك واخرج الى البرية وتصيّد لي صيدا. واصنع لي اطعمة كما احب وأتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت وكانت رفقة سامعة اذ تكلم اسحق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيدا ليأتي به. وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة: إني قد سمعت اباك يكلم عيسو اخاك قائلا: ائتني بصيد واصنع لي اطعمة لآكل واباركك امام الرب قبل وفاتي، فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما انا آمرك به.. اذهب الى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيّدين من المعزى. فأصنعهما أطعمة لابيك كما يحب،فتحضرها إلى ابيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته.

فقال يعقوب لرفقة امه: هوذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس ربما يجسّني أبي، فاكون في عينيه كمتهاون وأجلب على نفسي لعنة لا بركة.

فقالت له أمه: لعنتك عليّ يا ابني اسمع لقولي فقط واذهب خذ لي، فذهب وأخذ وأحضر لأمه. فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب.

وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى. وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها فدخل إلى أبيه وقال: يا أبي. فقال: هانذا. من انت يا ابني، فقال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكرك. قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك.

فقال اسحق لابنه: ما هذا الذي اسرعت لتجد يا ابني. فقال ان الرب الهك قد يسّر لي.

فقال اسحق ليعقوب: تقدم لاجسّك يا ابني. أأنت هو ابني عيسو أم لا؟

فتقدم يعقوب إلى اسحق ابيه. فجسّه وقال الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو.

ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه فباركه، وقال: هل انت هو ابني عيسو، فقال: أنا هو.. فقال: قدم لي لآكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي. فقدّم له فأكل. وأحضر له خمرا فشرب.

فقال له اسحق أبوه: تقدم وقبّلني يا ابني.

فتقدم وقبّله. فشم رائحة ثيابه وباركه، وقال: انظر. رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب، فليعطك الله من ندى السماء. ومن

دسم الارض. وكثرة حنطة وخمر، ليستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائـل. كن سـيدا لاخوتـك. وليسـجد لـك بنـو أمـك. ليكن لاعنـوك ملعونين. ومباركوك مباركين.

وحدث عندما فرغ اسحق من بركة يعقوب ويعقـوب قـد خـرج من لدن اسحق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيده، فصنع هـو أيضـا أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه: ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك.

فقال له اسحق أبوه: من أنت. فقال: أنا ابنك بكرك عيسو.

فارتعد اسحق ارتعادا عظيما جدا، وقال: فمن هو الذي اصـطاد صيدا، وأتى بـه إليّ فـأكلت من الكـل قبـل أن تجيء وباركتـه. نعم ويكون مباركا.

فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومـرة جـدا. وقال لأبيه باركني أنا ايضا يا أبي.

فقال: قد جاء اخوك بمكر واخذ بركتك.

فقال: ألا إن اسمه دعي يعقوب. فقد تعقبني الآن مرتين. اخــذ بكوريتي وهوذا الآن قد اخذ بركتي. ثم قال: أما أبقيت لي بركة.

فأجاب اسحق وقال لعيسو: إني قد جعلتـه سـيدا لـك، ودفعت اليه جميع إخوته عبيدا وعضدته بحنطة وخمر. فماذا أصـنع إليـك يـا ابني.

فقال عيسو لأبيه: ألك بركة واحدة فقط يا أبي. باركني أنا أيضا يا أبي. ورفع عيسو صوته وبكى.

فأجـاب إسـحق أبـوه وقـال لـه: هـوذا بلا دسـم الأرض يكـون مسـكنك. وبلا نـدى السـماء من فـوق. وبسـيفك تعيش. ولأخيـك تستعبد. ولكن يكون حينما تجمح أنك تكسر نيره عن عنقك.

فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركه بهـا أبـوه. وقال عيسو في قلبه قربت أيام مناحة أبي. فأقتل يعقوب أخي.

فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر. فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له هـوذا عيسـو أخـوك متسـلّ من جهتـك بانـه يقتلك. فالآن يا ابني اسمع لقـولي وقم اهـرب الى اخي لابـان الى حاران. وأقم عنده اياما قليلة حتى يرتـد سـخط أخيـك. حـتى يرتـد غضب اخيك عنـك وينسـى مـا صـنعت بـه. ثم أرسـل فآخـذك من هناك. لماذا اعدم اثنيكما في يوم واحد)(تكوين: 27/1 ـ 45)

اعذرني إن كنت قد قرأت لك النص بطولـه.. أتـرى مثـل هـذا السلوك سلوك أنبياء ينبغي أن يقتدى بهم.

ليس ذلك فقط.. أنتم تتهمون يعقـوب بمصـارعة اللـه، ألسـتم تروون في سفر التكوين، وفي الإصحاح [32 ـ 22]:(قال الرب لنبيه يعقوب حين صارعه، ورأى أنه لم يتغلب عليه:(أطلقـني، فقـد طلع الفجر) فأجابه يعقوب : لا أطلقك حتى تبـاركني. فسـأله : مـا اسـمك؟ فأجـاب : يعقـوب. فقـال : لا يـدعى اسـمك في مـا بعـد يعقوب، بل إسرائيل _ ومعناه: يجاهد مع اللـه _ لأنـك جاهـدت مـع الله والناس وقدرت. فسأله يعقوب : أخبرني مـا اسـمك؟ فقـال : لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك.ودعـا يعقـوب اسـم المكـان فنيئيل إذ قال : لأني شاهدت الله وجها لوجه وبقيت حيا)

قلت: لست أدري لم تذكر لي هذه النصوص في هذا المحل؟

قال: لأنكم تتصورون أن النبـوة والبركـة يمكن أن تتلاعبـوا بهـا كمـا تشـاءون.. فتهبونهـا لمن ترضـون عنـه، وتنزعونهـا عمن تسخطون عليه.

النبوة وبركات الله لله.. لا لنا.. ولا لكم.. فسلموا لله.. وأسلموا لله..

وأنا في هـذه اللحظـات الأخـيرة من عمـري انجلت بين عيـني الحقائق.. ولذلك سأموت مسـلما للـه.. فرحـا بهـذا الإسـلام الـذي عشت طول عمري أحن إليه.

ما قال ذلك حتى لفظ آخر أنفاسه.. والبسمة تغمر فاه، والنـور يشرق من محياه.

أما أنا فانصرفت بحيرة جديدة.. وببصيص من النور اهتديت بـه بعد ذلك لشمس محمد ﷺ.

بشارة موسى

في اليـوم الثـالث قـررت أن أزور أصـحاب الأشـغال الشـاقة.. أولئـك الـذين يحتـاجون إلى الخلاص من العنـاء الـذي تمتلئ بـه حياتهم.

سـرت إلى الغابـة، فـرأيت حطابـا يختـار أغصـانا ذات أشـكال خاصة، ليقطعها، فقلت له: هل لي أن أساعدك؟

قال: لا.. ولن تستطيع.. فهذه حرفة تلقيتها أبا عن جدا..

قلت: وما تصنع؟

قال: أصنع العصي.. أنا موسى.. لئن ارتبط اسم موسى النـبي بالعصا التي كان يحملها، فقد ارتبط اسمي بالعصي التي أصنعها.

أعطاني الفرصة للتحدث معه، فقلت: نعم الاسم الذي تحمله.. لقد بشر موسى بالخلاص الذي سيأتي.

قال: كل الأنبياء بشروا بالخلاص.. الخلاص هو حلم البشرية.

فرحت لتجاوبه، فقلت: كل من سعى للخلاص ناله.

قال: وكل من ناله نعم به.

قلت: فهل نلته؟

قال: ومالي لا أناله.. إن فضل الله أوسع من أن يغفل عني.

قلت: فأنت مسيحي إذن.

قال: نعم.. أنا مسيحي.

قلت: أنت مثلي إذن.

قـال: كيـف عـرفت تماثلنـا؟.. ونحن من بلاد مختلفـة.. ومن أعراق مختلفة.

قلت: نواحي المثلية بيننا كثيرة.. أنت تفكر بالخلاص، وأنا أفكـر به.. وأنت مسيحي، وأنـا مسـيحي.. وأنت تنعم بالإيمـان وأنـا أنعم به.

قـال: صـدقت.. هنـاك أشـياء كثـيرة تجمعنـا.. فلـذلك نحن متماثلان، ولا يحول بين تماثلنا ما يتوهمه الناس من مفارقات.

قلت: فهلم نبشر بالخلاص الذي جاءنا به المسيح.

قال: ليس لي من دور في الحياة إلا التبشير بالخلاص.

فـرحت كثـيرا، وقلت: نعم الرجـل أنت.. فهيـا نتـذاكر مـا قـال المسيح.

قال: أنا موسى.. ولذلك سأذكرك بقول قالـه موسـى ينعت بـه طريق الخلاص.

قلت: لا بأس.. فما قال؟

البشارة الأولى:

قال: عندما نزل موسى من جبل الطور بعد ما كلمه ربه قال مخاطباً بني إسرائيل:(قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي. وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصِر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه) (التثنية 18 / 17 - 22)(1)

قلت: أراك تحفظ النص عن ظهر قلب.. قل من يحفظ نصوص الكتاب المقدس.

قال: وكيف لا أحفظه.. لقد كان هذا النص هو سبب هدايتي، وتنعمي بأشعة الخلاص.

قلت: صدقت.. لقد ذكر هذا النص بطرس في سياق حديثه عن المسيح، فقال: (فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون في كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب، وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده، جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام) (أعمال 3/22 - 26)

---

1) هكذا ورد نص النبوءة في النسخ المختلفة من الكتاب المقدس:

نسخة فانديك المعتمدة ط 1977	نسخة كتاب الحياة ط 1988
أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِن وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثلَكَ. وأَجعلُ كلامى فى فمه فيُكلِّمُهُم بكل ما أوصيه. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمعُ لكلامى الذى يتكلَّمُ به باسمى أنا أُطالبهُ.	لهذا أقيم لهُمْ نَبِيًّا مِن بين إخوَتِهِم مِثلَكَ وأضع كلامِى فى فمه، فيخاطبهم بكل ما آمُرُهُ به. فيكونُ أنَّ كل من يعْصِى كلامِى الذى يَتَكلَّمُ به باسمى، فأنا أحَاسِبَهُ.
نسخة الكاثوليك ط 1993	نسخة الآباء اليسوعين ط 1991
سأُقيمُ لهُمْ نبِيًّا مِن بين إخوَتِهِم مِثلَكَ وأُلقِى كلامى فى فمِه. وكل مَن لا يسمعُ كلامى الذى يَتَكلَّمُ به باسمى أُحاسِبُهُ عليهِ.	سأقيم لهم نبِيًّا مِن وَسْطِ إخوَتِهِم مِثلكَ، وأجعلُ كلامى فى فمه، فيخاطبهم بكل ما آمُرُه به. وأى رَجُلٍ لم يَسْمَعْ كلامى الذى يَتَكلَّمُ به باسمى، فإنِّى

قـال: أتـرى أن بطـرس يـرى أن نبـوءة موسـى متحققـة في شخص المسيح؟
قلت: أجل.. لا شك في ذلك.. وهكذا يؤمن كل مسيحي.
قال: ولكن هذا النص عنـدما عرضـته على عقلي لم أفهم منـه هذا.
قلت: كيف.. لا تترك عقلك يعقلك عن المسيح.
قال: لا تخف.. فهذا النص لم يذكر المسـيح.. وبالتـالي لا حـرج علينا في أن نفهم منه ما نشاء من النبوءات بحثا عن الحقيقة التي كان المسيح يدعو إلى البحث عنها والاتصال بها.
ألم يكن المسيح يقول: (إن ثبتم في كلمتي، كنتم حقا تلاميذي، وتعرفون الحق، والحق يحرركم) (يوحنا:8/31 ـ 32)؟
اشتد إعجابي به، فاسترسلت معـه في الحـديث، فقـد ناسـبت طريقـة تفكـيره الطريقـة الـتي بـدأت بهـا حيـاتي، ثم تخليت عنهـا بالقناعات التي سربها إلي أخي.
قال لي: لماذا يصر الشارحون على أن المراد بـالنبوة المسـيح مع أنه لم يذكر بالاسم في هذا الموضع.. كما لم يـذكر بالاسـم في غيره؟
قلت: النبوءة وصف تصـويري لأمـور سـتحدث في المسـتقبل، ولذلك لا تلتزم ذكر الاسم، وإنما تذكر ما يدل على المسمى.
قال: لم؟
قلت: حتى لا يظهر الأدعياء، فلو سمى المسيح باسـمه، لادعى الكل ذلك.
قال: فما هو الطريق لمعرفة النبوءة وانطباقها على من نـرى أنها انطبقت عليه؟
قلت: من خلال تعبيرات النص.
قال: فهل ترى هذا النص يصف المسيح وصفا دقيقا؟
قلت: أجل.. وهكذا كل النبوءات؟
قال: فهلم نختار كلمة من النص.. لعلها أهم كلماته.. إنها كلمـة (مثلك) ما تعني هذه الكلمة؟
قلت: هي واضحة.. تعني أن المسيح مثل موسى.
قال: فهل كان المسيح مثل موسى؟
قلت: أجل.. لقد كان موسى يهوديا، وكذلك كان المسيح..وكان موسى من بني إسرائيل، وكذلك كان المسيح.
قال: إن ما ذكرته من أمـور متشـابهة لا ينحصـر في المسـيح..

بل إن النبوءة في هذه الحالة تكون أكثر انطباقـا على أي نـبي من أنبياء العهد القديم: سليمان، وأشعيا، وحزقيـال، ودانيـال، وهوشـع، ويوئيل، وملاخي، ويوحنا وغيرهم.. ذلك أنهم جميعا يهـود مثلمـا هم أنبياء، فلماذا لا تكون هذه النبوءة خاصة بأحد هؤلاء الأنبياء؟

صمت، فقال: إذن نحتاج إلى البحث عن وجوه أخرى للتشابه.. فهل هناك وجوه أخرى للتشابه بين المسيح وموسى؟

صمت قليلا، ثم قلت: لا أذكر الآن وجوها أخرى للتشابه.

قال: بل لا توجـد وجـوه أخـرى للتشـابه.. بـل إن الفـوارق بين المسيح وموسى أكثر من أن تنحصر.

قلت: كيف ذلك؟

قال: إن المسيح ـ بمقتضـى العقيـدة المسـيحية(1) ــ هـو الإلـه المتجسد، ولكن موسى لم يكن إلها، أهذا حق؟

قلت: نعم.

قال: بمقتضى العقيدة المسيحية، فإن المسـيح مـات من أجـل خطايا العالم، لكن موسى لم يمت من أجـل خطايـا العـالم.. أهـذا حق؟

قلت: نعم.

قـال: بمقتضـى العقيـدة المسـيحية، فـإن المسـيح ذهب إلى الجحيم ثلاثة أيام.. ولكن موسـى لم يكلـف بالـذهاب الى الجحيم.. أهذا حق؟

قلت: نعم.

قال: هل كان لموسى والدان؟

قلت: أجل.. فقد جاء في سفر الخروج: (وأخـذ عمـرام بوكابـد عمته وزوجة له فولدت له هارون وموسى (خروج:20:6)

قال: فهل ولد موسى ولادة معجزة مثل المسيح؟

قلت: لا.. لقد ولد ولادة طبيعية.

قال: فهل تزوج موسى؟

قلت: أجل.. وأنجب أولادا.

قال: والمسيح.. هل تزوج؟

قلت: كلا.. لقد ظل أعزب طول حياته.

قال: فالنص إذن لا ينطبق على المسيح.

قلت: هو لا ينطبق عليه في كل النواحي.. فأنا وأنت متمـاثلان،

---

1) نحن نذكر في هذه الرسائل العقيدة المسيحية من باب التعميم بغض النظر عن اختلاف المدارس والطوائف المسيحية في ذلك.

ولكنا نختلف في أشياء كثيرة.. فالتماثل لا يعني التطابق.

قال: لا بـأس.. فهلم نبحث في كلمـة أخـرى.. فهـذه الكلمـة لا تزيد النبوءة إلا بعدا عن المسيح.

قلت: هيا نبحث في النبوءة عن كلمة أخرى.

قال: لقد ورد في النبوءة: (أقيم لهم نبياً)، فهـل كـان المسـيح نبيا؟

قلت: لا.. المسيح أرفع من ذلك.

قال: نعم.. المسيح إله.. بل هو عند الأرثوذكس هو الله نفسه.

صمت، فقال: فكيف يقول لهم: أقيم نبياً؟

صمت، فقال: فلننظر في النبـوءة إلى كلمـة أخـرى لعـل فيهـا النبراس الذي يهدينا إلى حقيقة هذه النبوءة.

قلت: لا بأس.

قال: لقد ذكرت النبوءة أنـه من غـير بـني إسـرائيل، فلـذلك لا يمكن أن تصدق على المسيح بحال من الأحوال.

قلت: أين هذا؟

قال: لقد ورد في النبوءة أن هذا النبي من بين إخوتهم أي أبناء عمومتهم.. لقـد ورد فيهـا:(من وسـط إخـوتهم)(1)، وعمومـة بـني إسرائيل هم بنو عيسو بن إسحاق، وبنو إسماعيل بن إبراهيم.

قلت: فـرق كبـير بين العمومـة والأخـوة.. فبنـو عيسـو وبنـو إسماعيل أعمام بني إسرائيل.

قال: من المعهود في التـوراة إطلاق لفـظ الأخ على ابن العم، ألم تقرأ قول موسى لبني إسرائيل: (أنتم مارون بتخم إخوتكم بنـو

---

1) يـرى المسـيحيون أن ثمـة إشـكالاً في النص التـوراتي (التثنيـة 18/17-22) يمنـع قول المسلمين، فقد جاء في مقدمة سياق النص أن اللـه لمـا كلم موسـى قـال :« يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي.... قد أحسـنوا في مـا تكلمـوا: أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك »(التثنية 18/15 ـ 18) فقد وصفت النبي بأنه « من وسطك » أي من بـني إسـرائيل، ولـذا ينبغي حمـل المقطـع الثـاني من النص على مـا جـاء في المقطع الأول، فالنبي « من وسطك » أو كما جاء في بعض التراجم « من بينك» أي أنـه إسرائيلي.

لكن التحقيق يـرد هـذه الزيـادة الـتي يراهـا المحققـون تحريفـاً، بـدليل أن موسـى لم يذكرها، وهو يعيـد خـبر النـبي على مسـامع بـني إسـرائيل، فقـال :« قـال لي الـرب قـد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسـط إخـوتهم مثلـك »(التثنيـة 18/17-18)، ولـو كانت من كلام الله لما صح أن يهملها.

كما أن هذه الزيادة لم ترد في اقتباس بطرس واستيفانوس للنص كما جاء في أعمال الرسل قال بطرس :« فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سـيقيم لكم الـرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون في كل ما يكلمكم به » (أعمـال 3/22)، وقـال اسـتفانوس :« هـذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل: نبياً مثلي سـيقيم لكم الـرب إلهكم من إخـوتكم، لـه تسمعون »(أعمال 7/37)، فلم يذكرا تلك الزيـادة، ولـو كـانت أصـلية لـذكرت في سـائر المواضع.

عيسو)(التثنية 2/4).. وجاء نحوه في وصف أدوم، وهو من ذرية عيسو: (وأرسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك أدوم، هكذا يقول أخوك إسرائيل: قد عرفت كل المشقة التي أصابتنا) (العدد 20/14)، فسماه أخاً، وأراد أنه من أبناء عمومة إسرائيل.

قلت: صحيح هذا.. ولا يمكن أن أكابر فيه.. ولكن ما الذي تريد أن تقوله؟

قال: أنا لا أريد أن أقول شيئا.. ولكني أريد للنبوءة أن تقول.. ألم نتفق إلى اللجوء إلى العقل؟

قلت: أجل..

قال: إن هذه النبوءة تدل على أن هذا الموعود من غير بني إسرائيل.

قلت: كيف استنتجت ذلك؟

قال: لقد ذكرت هذه النبوءة أن من خصائص هذا النبي أنه مثل لموسى.

قلت: لقد فرغت من الحديث عن المثلية.

قال: لقد نص الكتاب المقدس على أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى.

قلت: أجل.. فقد ورد في التثنية: (ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه) (التثنية: 34/10)

قال: بل في التوراة السامرية ما يمنع صراحة قيام مثل هذا النبي فقد جاء فيها: (ولا يقوم أيضاً نبي في بني إسرائيل كموسى الذي ناجاه الله) (التثنية 34/10)

قلت: والمسيح؟

قال: ألم نتفق أنه ليس نبيا.. وحتى لو كان نبيا فإن المفارقات بينه وبين موسى أكثر من أن تنحصر.

قلت: فعلى من ترى انطباق هذه النبوءة إذن؟

قال: إن البحث العقلي يدعونا إلى البحث فيمن ادعى النبوة من نسل عيسو وإسماعيل لنرى انطباق مدى انطباق النبوءة عليه.

قلت: ليس هناك في هذا النسل إلا محمد الذي يزعم المسلمون نبوته.

قال: فدعنا نطبق هذه النبوءة عليه.

قلت: لا بأس.. لا حرج في أن نجرب ذلك.

قال: ألا يتشابه محمد مع موسى في كل ما ذكرناه من نـواحي التشابه؟
قلت: ولكنه لم يكن إسرائليا.
قال: لقد عرفنا أن التماثل لا يعني التطابق.
قلت: إن أردت ميلادهما الطبيعي، وزواجهما، ونحو ذلك.. فهمـا متماثلان.
قال: وفي غيرهما أيضا يتماثلان.. وهلم نبحث في ذلك.
قلت: لا بأس.. فاذكر لي نواح أخرى للتشابه.
قال: ألم يكن محمد وموسى كلاهما صاحبا شريعة؟
قلت: أجل.. ولكن شريعة موسى إلهية، وشريعة محمد بشرية.
قال: لا ينبغي أن نستعجل.. نحن الآن نبحث بالعقـل.. ولا ينبغي أن نخلط الأمور التي تحول بيننا وبين الحقيقة.
قلت: لا بأس.. نعم كلاهما له شريعة.. سواء كـانت صـحيحة أو مدعاة.
قال: من صفات محمد أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، والوحي الذي يأتيه وحي شفاهي، يغاير ما جاء الأنبيـاء قبلـه من صـحف مكتوبـة، بينما كان المسيح قارئاً كما في لوقا(انظر لوقا 16/4-18).
قلت: هذا صحيح.
قال: وهو ما تشير إليه النبوءة صراحة، فقد جاء فيهـا: (وأجعـل كلامي في فمه)
صمت، فقال: ألا يتهم الناس محمـدا بأنـه جـاء بالسـيف خلافـا للمسيح؟
قلت: بلى.. ولولا السيف ما انتشر الإسلام.
قال: دعنا من هذا الآن.. نحن الآن نتحدث عن نقطة معينة، فلا ينبغي أن نحجب العقل عنها.
قلت: نعم.. لقد جاء محمد بالسيف.
قال: وموسى..
قلت: أجل.. لقد جاء بالسيف.
قـال: ألم يكن كلا من موسـى ومحمـد زعيمين، بالإضـافة إلى النبـوة الـتي مارسـا مـا تتطلبـه من وظـائف بغض النظـر عن كـل حقيقة أو دعوى؟
قلت: بلى.. لقد كـان موسـى يملـك هـذا السـلطان، فقـد أمـر بأعدام عباد العجل كما في (خروج:32: 26)
قال: وكذلك كان لمحمد سلطان في الحكم بين الناس.. وهــل

كان للمسيح مثل هذا السلطان؟
قلت: لا.. فللمسيح سلطان من نوع آخر.
قال: إذن هو لا يشبه موسى في هذا..
قلت: أجل.
قال: هل جاء المسيح بشريعة جديدة؟
قلت: كلا.. بل كـان يحـاول دائمـا أن يثبت لليهـود الـذين كـانوا يتهمونه بالتجديف بأنه لم يأت بشـريعة جديـدة، فيقـول: (لا تظنـوا أني جئت لانقض الناموس أو الانبيـاء، مـا جئت لأنقض بـل لأكمـل) (متي 5: 17)
قال: وموسى.. هل جاء بشريعة جديدة؟
قلت: أجل.. فقد جاء موسى بالوصايا العشرة وطقوس جديدة شاملة لهداية الناس.
قـال: ومثـل ذلـك محمـد، فقـد جـاء إلى شـعب يمتلئ جهالـة بشريعة لا زلنا نراها، ونرى أثراها، وهي ـ كمـا يـزعم المسـلمون ـ تشمل جميع مناحي الحياة.
قلت: هذا صحيح.
قال: فموسى ومحمد يتشابهان في هذا؟
قلت: أجل..
قال: بل ليس هناك من ينطبق عليـه هـذا الشـبه غـير موسـى ومحمد..
صمت، فقال: أخبرني.. كيف كان رحيل المسيح من الدنيا؟
قلت: أنت تعلم ذلك.. لقد صلب المسيح من أجل الفداء.
قال: ومحمد وموسى؟
قلت: لقد ماتا ميتة طبيعية.
قال: فالمسيح ليس مثل موسى في هذا، ولكنه مثل محمد.
صمت، فقـال: فلننتقـل إلى عبـارة أخـرى وردت في النبـوءة.. لقد ورد فيها:(من وسط اخوتهم، مثلك) أليس هذا الخطاب موجــه من موسى لشعبه من الإسرائيليين؟
قلت: بلى..
قال: فعندما تقول النبوءة من (إخوتهم)، لا يصدق هذا الوصـف إلا للعرب.
قلت: كيف ذلك؟
قال: أنت تعلم أنه كـان لابـراهيم زوجتـان سـارة وهـاجر.. وأن هـاجر ولـدت لابـراهيم ولـدا، هـو الابن البكـر لابـراهيم كمـا يقـول

الكتـاب المقـدس: (ودعـا ابـراهيم اسـم ابنـه الـذي ولدتـه هـاجر اسماعيل)(التكوين16 :15).. وقد وهب الله ابراهيم ابنا آخـر من سارة اسماه اسحاق.

قلت: هذا صحيح.

قـال: إذا كـان اسـماعيل واسـحاق ابنـاء الوالـد نفسـه، وهـو إبراهيم، وهو ما يقوله الكتاب المقـدس، إذن همـا أخـوان.. وهكـذا فإن الشعوب التي نشأت من سلالتهما، اخوة بـالمعنى المجـازي.. أي أن أبناء إسحاق الـذين هم اليهـود، وأبنـاء إسـماعيل الـذين هم العرب إخوة.

قلت: لا يمكنك أن تقول ذلك.. بل هما شعبان لا أخوان.

قال: لقد نص الكتاب المقـدس على هـذه الحقيقـة، فقـد جـاء فيـه: (وأمـام جميـع إخوتـه يسـكن)(تكـوين16 :12).. وعن وفـاة إسماعيل تقول التوراة: (وهـذه سـنو حيـاة إسـماعيل، مئـة وسـبع وثلاثون سنة، وأسلم روحه ومات وانضـم الى قومـه، وسـكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيئ نحو أشور، أمام جميع إخوته) (تكوين 25: 17)

فأبناء إسماعيل هم إخوة لأبناء اسحاق.. ولهذا فإن محمـدا من قوم هم إخوة بني اسرائيل، فهو من سلالة اسماعيل.

بل إن تطبيق نصوص التوراة على هذه النبوءة يجعلهـا لا تشـير إلا لمحمد، فـالتوراة لم تقـل: (من بين أنفسـهم)، بـل قـالت: (من وسط إخوتهم)

قلت: فأنت مقتنع بأن هذه النبوءة إذن تتوجه لمحمد؟

قال: اصبر علي.. ألم نتفق على البحث العقلي المحايد؟

قلت: بلى ..

قال: فلا ينبغي أن نتخذ موقفا من هذه النبوءة حتى نكمـل كـل ما ورد فيها.. فلعل فيها من الشبهات ما ينفي توجهها لمحمد.

قلت: أنصفت في هذا.

قال: تقـول النبـوءة: (أقيم لهم نبيـا من وسـط إخـوتهم مثلـك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه بـه)(التثنيـة 18:18).. لقـد عرفنـا إلى الآن العبـارة الأولى:(أقيم لهم نبيـا من وسـط إخوتهم مثلـك)، فلنحـاول فهم العبـارة الثانيـة: (وأجعـل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به)

قلت: فما ترى في ذلك؟

قال: لقد عرفنـا أن أولى من تنطبـق عليـه العبـارة الأولى هـو

محمد.. فلذلك هيا ننظر هل تنطبق عليه العبارة الثانية أم لا.
قلت: فما ترى؟
قال: ماذا يزعم المسلمون عن كتابهم؟
قلت: هم يزعمون أنه كلام الله.. ولكنهم يكذبون في ذلك.
قال: دعنا من التكـذيب والتصـديق.. فنحن الآن نعرضـهم على محك العقل.
قلت: لا بأس.. اسأل ما بدا لك.
قال: وهل يتضمن كلام الله الذي جاء به محمد ـ على حـد زعم المسلمين ـ وصايا للرب؟
قلت: أجل.. إن السيرة التي ينقلها المسـلمون عن نـبيهم تـدل على أنه عندما بلغ من العمر أربعين عاما.. حين كان يتعبد في غـار حراء، نزل إليـه الملاك جبريـل وأنـزل عليـه القـرآن كتـاب محمـد المقدس.
قال: هل هذا فقط ما أنزل إليه؟
قلت: لا.. لقد ظل ثلاثة وعشرين سـنة، يـزعم أن هـذا الـوحي يوحى إليه.
قـال: إن هـذا الثبـات طـول هـذه المـدة ينبغي أن يسـتوقف العقل.. ألا يمكن أن يكون ثباته هذا دليلا على صدقه؟
قلت: لا.. فالثبات نراه على الباطل، كما نراه على الحق.
قال: ولكنه ادعى النبـوة والاتصـال باللـه، بـل تكلم مخـبرا عن الله، فكيـف يتركـه اللـه، ألم يـرد في النبـوءة أن من صـفات هـذا النبي أنه لا يقتل، بل يعصم الله دمه عن أن يتسلط عليه السـفهاء بالقتل، فالنبي الكذاب عاقبته (يموت ذلك النبي)، أي يقتل(1).
وهـذا يزيـد النبـوءة بعـدا عن المسـيح على حسـاب اعتقـاد المسيحيين.. فالمسيح قتل، أما محمد، فقد ظل حيا يدعو إلى دينه إلى آخر حياته.
صمت، فقال: لا بأس.. ألا زال الـوحي الـذي قـال محمـد بأنـه أوحي إليه موجود؟
قلت: بلى.. وهو القرآن، كتـاب المسـلمين.. ولكن فيهـا أمـورا عن القتال وغير ذلك تدل على أنه ليس كلام الله.
قال: دعنا من ذلك الآن.. نحن الآن نبحث في صدق النبوءة.
قلت: أرى أنها إلى الآن تنطبق من حيث الظاهر عليه في هـذه

---

1) بالرجوع إلى التراجم القديمة للنص نرى أن ثمة تحريفاً وقع في الترجمة، فقد جـاء في طبعة 1844م :« فليقتل ذلك النبي »، ولا يخفى سبب هذا التحريف.

الناحية.

قال: لا تتسرع.. فلنسمع عبارات أخرى لعلها تصرف النبوءة عنه.

قلت: نعم.. لا ينبغي التسرع في مثل هذا.

قال: لقد ورد في النبوءة أن هذا النبي يتمكن من تبليغ كامل دينه.

قلت: أجل.. فقد ورد فيها:(يكلمهم بكل ما أوصيه به)

قال: فهل أكمل المسيح جميع وصاياه؟

قلت: لا.. لقد رحل المسيح، ولديه الكثير مما يود أن يبلغه إلى تلاميذه، لكنه لم يتمكن من بلاغه، لكنه بشرهم بحصول ذلك من بعده، فقال: (إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به) (يوحنا 16/12-13)

قال: أما محمدا، فلم يقل هذا.. لقد ورد في كتابه أنه أكمل دينه، وبلغ كل ما أمر بتبليغه(1)، لقد جاء في القرآن : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً (المائدة: 3)

صمت، فقال: ناحية أخرى في النبوءة جديرة بالاهتمام.. ولكن قبل أن أسوقها لك، أجبني: هل توعد المسيح من لم يسمعوا كلامه، أو غيرهم بأي لون من ألوان الوعيد؟

قلت: لقد كان المسيح مملوءا بالرحمة التي تمنعه من هذا الوعيد.. فهو لم يتوعد حتى قاتليه، فكيف بأولئك الذين لم يسمعوا كلامه، لقد قال لوقا في سياق قصة الصلب: (فقال يسوع: يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون) (لوقا 23/34)

قال: ولكن النبوءة تقول: (ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبه)، وقد فسرها بطرس، فقال: (ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه)

قلت: فهل تحقق هذا الجزء من النبوءة في محمد؟

قال: أجل.. فقد ورد في النصوص التي جاء بها أنه نبي واجب

---

1) وقد وصفه المسيح في نبوءة البارقليط، التي سيأتي الحديث عنها، فقال :« وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلّمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يوحنا 14/26).

السمع والطاعة على كل أحـد، ومن لم يسـمع لـه تعـرض لعقوبـة الله.

بل إن ذلك هو ما حصل بجميع أعدائه، حيث انتقم الله من كـل من كذبه من مشركي العرب والعجم.

قلت: ولكن هذا ما ينفر النفس عنه.

قـال: لا يهمـك أن تنفـر نفسـك أو تقبـل، بـل يهمـك أن تقنـع عقلك.. فلا ينبغي أن نملي على الله صفات من يرسله إلينا.

قلت: ولكن المسيح يجذب العقول والنفوس.

قال: ألم تقرأ ما قال المسيح في نبوءة الكرامين؟.. لقد قـال: (ومن سـقط على هـذا الحجـر يترضـض، ومن سـقط هـو عليـه يسحقه)(مـتى 21/44)، فهـو الحجـر الصـلب الـذي يفـني أعـداءه العصاة.

إنه نفسه الذي بشـر بمقدمـه النـبي دانيـال: (وفي أيـام هـؤلاء يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً، ومَلِكها لا يُترك لشـعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالـك، وهي تثبت إلى الأبـد، لأنـك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب)(دانيال 2/21 - 45)

قلت: أرى أنك اقتعت بهذه النبوءة، واتبعت محمدا.

قال: أجل.. وأنا لأجل ذلك في سعادة من أجـل انسـجام عقلي مع روحي مع نفسي.

قلت: ولكنـك ذكـرت لي أنـك مسـيحي.. أتتخـذ الكـذب مطيـة للتلاعب بي.

قال: لم أكذبك في ذلك.. لقد ولدت مسيحيا.. لكن هذه النبوءة أضافت إلى إيماني بالمسيح إيماني بمحمد.. بل إنها عمقت إيماني بالمسيح وصححته من الأوهام التي ألصقها قومنا به.

قلت: أمن أجل نبوة واحدة تتحول عن إيمانك؟

قال: أنا لم أتحول عن إيماني.. بل صححته ودعمتـه.. ثم كيـف تحتقر نبوءات الله..

صمت، فقال:ومع ذلك فإن لي أختا لها نطق بها فم ذلك النـبي المبارك.

قلت: فما هي؟

البشارة الثانية:

قال: قبيل وفاة موسى ساق خبراً مباركاً لقومه بني إسـرائيل، فقد جاء في سفر التثنية:(هذه البركة التي بارك بهـا موسـى رجـل

الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة، فأحب الشعب، جميع قديسيه في يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك)(التثنية 33/1-3)

وقد أكد هذه النبوءة النبي حبقوق، حيث قال: (الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته، قدامه ذهب الوبأ، وعند رجليه خرجت الحمى، وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم) (حبقوق 3/3-6)

قلت: أراك تقرأ النصوص قراءة مختلفة.. فما في نسخي يختلف عما أوردته.

قال: أنت تعلم ما يفعله قومي وقومك من التلاعب بالترجمات.. ولست أدري سر ذلك، ولا أريد أن أتهمهم بشيء:

لقد جاء في الترجمة السبعينية: (واستعلن من جبل فاران، ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه، فوهب لهم وأحبهم، ورحم شعبهم، وباركهم وبارك على أظهاره، وهم يدركون آثار رجليك، ويقبلون من كلماتك. أسلم لنا موسى مثله، وأعطاهم ميراثاً لجماعة يعقوب)

وفي ترجمة الآباء اليسوعيين: (وتجلى من جبل فاران، وأتى من ربى القدس، وعن يمينه قبس شريعة لهم)

وفي ترجمة 1622م: (شرف من جبل فاران، وجاء مع ربوات القدس، من يمينه الشريعة)

ومعنى ربوات[1] القدس أي ألوف القديسين الأطهار، كما في ترجمة 1841م:(واستعلن من جبل فاران، ومعه ألوف الأطهار، في يمينه سنة من نار)

قلت: فكيف تنطبق هذه النبوءة على محمد؟

قال: في هذا النص تتحدث البشارة عن الأماكن التي سيظهر فيها وحي الله إلى أنبيائه، وهي تدعو بذلك إلى البحث عنها، أما الأول، فهو جبل سيناء، حيث كلم الله موسى.. وأما الثاني، فهو ساعير، وهو جبل يقع في أرض يهوذا كما في (يشوع 15/10)،

---

1) استخدام ربوات بمعنى ألوف أو الجماعات الكثيرة، معهود في الكتاب المقدس: (ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه)(دانيال7/10)، ومثله قوله :(كان يقول: ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل)(العدد 10/36)، فالربوات القادمين من فاران هم الجماعات الكثيرة من القديسين، الآتين مع قدوسهم الذي تلألأ في فاران.

وهو محل ظهور المسيح.. وأما الثالث، فهو جبل فاران(1).

قاطعته قائلا: وهي منطقة موجودة بجنوب فلسطين(2).

قال: إن وجـود منطقـة اسـمها فـاران في جنـوب فلسـطين لا يمنع من وجود فاران أخرى هي تلك التي سكنها إسماعيل، وقامت الأدلة التاريخية على أنها الحجاز، حيث بنى إسماعيل وأبوه الكعبـة، وحيث تفجـر زمـزم تحت قدميـه، وهـو مـا اعـترف بـه عـدد من المؤرخين كالمؤرخ جيروم واللاهوتي يوسبيوس اللـذان شـهدا بـأن

---

1) وردت كلمة فاران اثنى عشر مرة فى أسفار العهد القديم من نسخة فانديك العربية المعتمدة لدى الكنائس العربية. أماكنها كالآتى : تك (14 : 6 ؛ 21 : 21) ؛ عدد (10 : 12 ؛ 12 : 16 ؛ 13 : 3، 26) ؛ تثنية (1 : 1 ؛ 33 : 2) ؛ 1 صموئيل (25 : 1) ؛ 1 ملوك (11 : 18، 18) ؛ حبقوق (3 : 3)

ونجد الكلمة تأتى مسبوقة بالحرفين (هـ ر) أى هار فاران (הר פארן) فى كل من (تك 14 : 6 ؛ تثنية 33 : 2 ؛ حبقوق 3 : 3)

وكلمة هار يقول عنها علماء اللغة العبرية أنها صيغة مختصرة من الجذر هرر (הרר)، وهو جذر غير مستخدم فى العبرية، وتجدهم يترجمون معنى هار إلى جبل فيقولون جبل فاران كما جاء فى (تثنية 33 : 2 ؛ حبقوق 3 : 3). وتجدهم يترجمون معناها أحيانا إلى كلمة بطمة فيقولون بطمة فاران كما جاء فى (تك 14 : 6) وشتان ما بين الجبل و البطمة فى المعنى، فهذا حجر وذاك زرع نباتى..!!

وفى الإنجليزية يترجمونها إلى إيل فاران (El-Paran) وقد سبق ذكر معنى كلمة إيل التى يترجمونها فى النسخ العربية إلى اسم الجلالة الله، فيكون منطوق العبارة فى نصّ تك (14 : 6) هو فاران الله. أى أنَّ اسم ذلك المكان ينسب إلى اسم الله سبحانه وتعالى.

كما نجد أنَّ كلمة فاران فى النصوص (تك 21 : 20؛ عدد 10 : 12 ؛ 12 : 16 ؛ 13: 26 ؛ تثنية 1 : 1 ؛ 1 صموئيل 25 : 1) تأتى مسبوقة بالكلمة العبرية مدبار (חידבר) بمعنى برية. وسكن إسماعيل وأمه هاجر في مدبار فاران (חידבר פארן) أى برية فاران، وليس على هار فاران (הר פארן) أى جبل فاران.

وبالمناسبة فإنهم لا يقولون هار سين أى جبل سيناء كما قالوا هار فاران أى جبل فاران، وإنما يقولون مدبار سين أى برية سيناء و مدبار فاران أى برية فاران. فهناك إذًا فى العبرية جبل فاران و برية فاران ولا يوجد فيها جبل سيناء وإنما الموجود برية سيناء و سيناء فقط ويعنون بها الجبل، وفى العبرية الحديثة يطلقون كلمة سين على كل شبه جزيرة سيناء.

ونجد الكلمة فاران تأتى علما على اسم مكان بدون إضافة إليها كما جاء فى نص (1 ملوك 11 : 18 مكرر) (أنَّ هدد هرب هو ورجال أدوميون من عبيد أبيه معه ليأتوا مصر، وكان هدد غلاما صغيرا. وقاموا من مديان وأتوا إلى فاران وأخذوا معهم رجالا من فاران وأتوا إلى مصر)

أمَّا عن معنى كلمة فاران ومكانها فإنَّ معظم القواميس والموسوعات الكتابية لا تذكر شيئا عن معناها، وكل أقوالهم تنحصر فى بيان موقعها الجغرافى المُضَلل المزعوم فى سيناء المصرية.

ولكن بالرجوع إلى القواميس اللغوية المتخصصة للكتاب المقدس نجد أنَّ الكلمة فاران تذكر أنها صحراء العربية، ويقصدون بطرف خفى أنها صحراء وادى عربة الواقعة شرقى سيناء كما ورد فى كثير من القواميس الكتابية..!!

إلا أنهم يرمون للقارىء المسلم ببعض المعانى والكلمات أمام كلمة فاران مثل قولهم glorify-self) أى المكان المُعَظم فى ذاته أو المكان المُمَجَّد فى ذاته. (انظر: نبي أرض الجنوب)

فاران هي مكة.

قلت: شهادتهما لا تلزم غيرهما.

قال: إن جبل فاران هو الجبل الذي سكنه إسماعيل، كما قالت التوراة عن إسماعيل:(كان الله مع الغلام فكبر.وسكن في البريــة، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في بريـة فـاران، وأخـذت لـه أمـه زوجة من أرض مصر)(التكوين: 21/20-21)

وقـد انتشـر أبنـاؤه في هـذه المنطقـة، فقـد جـاء في التـوراة: (هؤلاء هم بنو إسماعيل.... وسكنوا من حويلة إلى شـور)(التكـوين 25/16 -ـ 18)، وحويلة كمـا جـاء في قـاموس الكتـاب المقـدس منطقة في أرض اليمن، بينما شـور في جنـوب فلسـطين.. وعليـه فإن إسماعيل وأبنـاؤه سـكنوا هـذه البلاد الممتـدة جنـوب الحجـاز وشماله، وهو يشمل أرض فاران التي سكنها إسماعيل.

قلت: دعنـا من هـذا.. لقـد ذكـر موسـى هـذه البشـارة بصـيغة الماضي، وهي بالتالي لا يصح انطباقها على محمد.

قال: أنت تدري بأن من عادة الكتب الإلهية اسـتعمال الماضـي في معـنى المسـتقبل(1)، ألم تـر أنـه أخـبر عن عيسـى في هـذه البشارة كذلك بصيغة الماضي، فـإن قبلت هـذه البشـارة في حـق عيسى، فهي في حق محمد ادعى للقبول.

قلت: ولكن النص أخبر عن مجيء الرب.. لا عن مجيء النبي..

قال: يقصد بهـذا التعبـير في اصـطلاح الكتب المقـدس الـدين، فجاء الرب معناها ظهر دينه ودعي إلى توحيـده.. بالإضـافة إلى أن لفظة (رب) قد تقع على موسى وعيسى ومحمـد، وهي مسـتعملة بهذا الإطلاق في اللغة السريانية والعربية فتقول العرب رب البيت، بمعنى صاحب البيت ويقـول السـريان لمن أرادوا تفخيمـه: (مـار)، ومار بالسريانية هو الرب.

---

2) يزعم بعضهم أن فاران الواردة في هذه البشارة هي التي بقرب جبل سيناء، وهذا ليس صحيحا، ففاران تلـك هي بريـة فـاران كمـا أفـادت عنهـا التـوراة. وهنـا ذكـر جيلاً... ودعيت تلك فاران بسبب أنها ظليلة من الأشجار.

ولفظة فاران عبرية تحتمل الوجهين، فإذا ذكرت البرية لزم أنها ظليلة، وإن ذكر الجبل ينبغي أن يفهم بأنه جبل ذو غار، وفي هذه البشارة ذكر جبل فعلم أنه جبـل فـاران الـذي فيه المغـارة. كمـا أن لفظـة فـاران مشـتقه من فـاري بالعبريـة وعربيتهـا: المتجمـل. أي المتجمل بوجود بيت الله. وهذه الجبال قد تجملت ببيت الله.

1) التعبير عن الأمور المستقبلة بصيغة الماضي معهود في لغة الكتاب المقدس. يقول اسبينوزا :« أقدم الكتاب استعملوا الزمن المستقبل للدلالة على الحاضر، وعلى الماضي بلا تميـيز كمـا اسـتعملوا الماضـي للدلالـة على المسـتقبل... فنتج عن ذلـك كثـير من المتشابهات »

وفي القرآن الكريم كثير من ذلك، فالله تعالى يقـول عن السـاعة : أَتَى أَمْـرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (النحل:1)

وقد يراد بها: (الله)[2]ويكون معناها ظهور دينه.

قلت: لقد أخبر النص عن آلاف القديسين، والذين تسميهم بعض التراجم (أطهار الملائكة).. فمتى شهدت فاران مثل هذه الألوف من الأطهار؟

قال: هذا دليل آخر على هذه النبوءة.. فلنبحث في تاريخ فاران.. هل شهدت من القديسين كما شهدت في عهد محمد، وعهود أتباعه..

صمت، فقال: أعلم ما تقولون في هذا النص.. أنتم تلوون عنقه لتقولوا بأن المراد منه الحديث عن أمر قد مضى يخص بني إسرائيل، وأنه يتحدث عن إضاءة مجد الله وامتداده لمسافات بعيدة شملت فاران وسعير وسيناء.

قلت: هذا ما نفهم من النص.

قال: لو كان هذا هو المراد من النص لما كان نبوءة..

أما نحن فنرى فيه شهادة بنبوة المسيح، كما أن فيه شهادة بنبوة محمد، الذي أتى ومعه الآلاف من الأطهار مؤيدين بالشريعة من الله عز وجل.

وأزيدك على هذا أن هذه النبوءة ورد مثلها في القرآن الكريم، فالله تعالى يقول: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (التين:3)، فالمواطن الثلاثة تجتمع في هذه السورة، كما تجتمع في نبوءة موسى.

قال هذا.. ثم انصرف لعيدانه يجمعها..

أما أنا فقد عدت بحيرة جديدة إلى غرفتي.. وببصيص من النور اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد ﷺ.

---

2) أورد المهتدي الإسكندراني هذه البشارة باللغة العبرية، ثم ترجمها إلى اللغة العربية ونص ترجمته هكذا :« جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران، وظهر من ربوات قدسه عن يمينه نور وعن شماله نار، إليه تجتمع الأمم، وعليه تجتمع الشعوب »وقال :« إن علماء بني إسرائيل الشارحين للتوراة شرحوا ذلك وفسروه بأن النار هي سيف محمد القاهر، والنور هي شريعته الهادية »

بشارة داود

في اليـوم الرابـع خـرجت من بيـتي بـاكرا لأتجـول في شـوارع القرية الخالية، وأرى جمـال السـكون، وهـو يلـف بيوتهـا البسـيطة الجميلة.

لكني ما سرت قليلا حتى سمعت صوتا نديا، كأحسن ما تسـمع من الأصوات، وسمعت بجانبه صوت مطرقـة.. فتعجبت من هـذين الصوتين وامتزاجهما مع ذلك السكون..

اقتربت من مصـدر الصـوت، فـرأيت رجلا.. هـو كهـل في قـوة الشباب، يرتل مزمورا من مزامير داود، ويطـرق في نفس الـوقت بمطرقته على حديد يصلحه في محل الحدادة الذي يعمل به.

اقــتربت منــه، فقلت: كيــف تجمــع بين هــذين الصــوتين المتناقضين: صوتك الجميل الندي الذي ترتل الطـير صـداه، وتميـد الجبال بألحانه، بصوت هذه المطرقة المـزعج الـذي يوقـظ النـائم، ويزعج الحالم.

قال: أنـا داود.. وقـد كـان من فضـل اللـه علي أن أمـدني بمـا سمعت من صوت رخيم، وأمدني معه بقـوة يلين لي معهـا الحديـد (1).

قلت: أراك تلغز بداود النبي.. فما علاقتك به؟

قال: أكبر من علاقة الأخ بأخيه، والمحب بحبيبـه، والابن بأبيـه.. هو النبي الذي انتشلني من ظلمات كثيرة إلى نور الله.

قلت: فأنت على دين داود؟

قـال: نعم.. لقـد كـان داود مفتاحـا فتح اللـه بـه علي أبـواب الحقائق، فدخلت منه، فعرفت منها ما ملأني بالنور والحياة.

قلت: ولكني لم أسمع أن هناك من يدين بـدين داود.. ولا أعلم أن هناك دينا ينسب إليه.

قال: دين الأنبيـاء واحـد.. ومن سـار خلـف أي نـبي، فقـد سـار خلف الجميع.. كل واحـد منهم يـدلك على غـيره إلى أن تصـل إلى مصدر النور.

قلت: فما الذي جعلك ترغب في داود، وترغب عن غيره؟

قال: نعم أنا رغبت في داود.. ولكني لم أرغب عن غـيره.. لقـد

---

1) كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ (سبأ:10).

كان داود هـو المفتـاح الـذي فتح لي بـه، والنـور الـذي عـرفت بـه الحقائق التي كان يحملها الأنبياء، ويبشرون بها.

قلت: أي مفتاح وجدته عند داود، جليت لك به الحقائق؟

قال: ما كنت أرتل فيه؟

قلت: أجـل.. لقـد كنت أسـمعك تقـرأ مزامـير داود، ولكـني لم أتبين ما كنت تقرأ، فقد شغلتني مزامير صوتك عن مزامير داود.

البشارة الأولى:

قال: لقد كنت أقرأ ما جاء في المزمور (110/1-6)، فقد جـاء فيه: (قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، يرسل الرب قضيب عزك من صهيون، تسلط في وسـط أعدائك شعبك، فتـدب في يـوم قوتـك في زينـة مقدسـة.. أقسـم الرب ولن يندم: أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق. الـرب عن يمينك، يحطم في يوم رجزه ملوكـاً يـدين بين الأمم، ملأ جثثـاً، أرضاً واسعة سحق رؤوسها)

قلت: الآن فقط فهمت ما ترمز إليه.. لقد كان داود هـو دليلـك إلى المسيح.. صدقت.. إن مـا قرأتـه ينطبـق على المسـيح تمامـا، فالمسيح من ذرية داود.

قال: نعم.. لقد بشر داود بالمسيح.. ولكن هـذا المزمـور يبشـر بشمس أخرى هي أعظم من جميع الشموس.. أشرقت ذات يـوم على الأرض، ولا تزال مشرقة إلى اليوم، وقد من الله علي بالتنعم بأشعتها المنيرة الدافئة.

قلت: من تقصد؟

قال: محمد.. إنه شمس الهداية.. وهو الـذي بشـر بـه داود في ذلك المزمور.

قلت: لك أن تحب محمدا، ولك أن تتبع دينه، ولكن ليس لك أن تحرف كتابنا المقدس.. إذا شئت أن تحرف كتابـا مقدسـا، فحـرف كتابكم، كتاب المسلمين.

قال: لقـد كنت مسـيحيا.. وكـان كتـابي هـو كتـاب المسـيحيين المقدس.. وقد كنت طيلة عمري أرتله بخشوع.. وكـانت لي عـادة أن أبتغي الفأل من فتح الكتـاب لأرى أي موضـع سـيفتح لي فيـه.. وكان من حكمة الله ونوره الذي جذبني إليه أن لا يفتح لي الكتـاب المقدس بكـل كتبـه ورسـائله إلا على ذلـك المزمـور الـذي يبشـر بمحمد.

قلت: إن المزمور يبشـر بالمسـيح.. ألم تقـرأ مقولـة بطـرس،

الــذي فســر النبــوءة بالمســيح، فقــال: (لأن داود لم يصــعد إلى السموات، وهو نفسه يقول: قـال الـرب لـربي: اجلس عن يميـني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فليعلم يقيناً جميع بيت إسـرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسـيحاً) (أعمـال: 2/29-37)؟

فكيف تفهم منه أنت أن البشارة بمحمد؟

قال: لقد درست العهد الجديد، ورأيت فيه نصـا قاطعـا، علمت من خلاله أن البشارة لا تصح إلا في محمد.. أما بطـرس، فـإن مـا ذكره فهم فهمه، لا وحي أوحي إليه، وهـو معـذور في ذلـك الفهم، فقد شغف كتاب الأناجيل بنبوءات العهد القديم، فعمدوا في تكلـف ظاهر إلى تحريف معاني الكثير من النصوص، ليجعلوا منها نبوءات عن المسيح، إن محبتهم للمسيح هي التي دعتهم إلى ذلك.. وحبك للشيء يعمي ويصم..

ألم تقرأ ما كتبه بولس في رسالته إلى العبرانـيين، حيث حـول بشارة الله لداود بابنه سليمان إلى المسيح مع أن النص لا يساعده على ذلك.. اسمع ما يقول بولس: (كلمنـا في هـذه الأيـام الأخـيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكـل شـيء.. صـائراً أعظم من الملائكـة، بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم، لأنه لمن من الملائكة قال قـط: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك، وأيضاً أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً) (عبرانيين 1/5).

فقد اقتبس بولس العبارة الواردة في سـفر صـموئيل الثـاني (7/14)، وجعلها نبوءة عن المسيح، ففيـه: (أنـا أكـون لـه أبـاً، وهـو يكون لي ابناً)، فقد ظن بولس أن هذه العبارة نبوءة عن المسـيح، فنقلها في رسالته.

إلا أن هذا الاقتباس غير صحيح، فالنص جاء في سياق الحـديث إلى داود، فقد أمر الله النبي ناثان أن يقـول لـداود: (فهكـذا تقـول لعبدي داود..متى كملت أيامك واضـطجعت مـع آبائـك أقيم نسـلك الذي يخرج من أحشائك، وأثبت مملكته، هو يبني بيتاً لاسـمي، وأنـا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد، أنا أكون له أباً، وهـو يكـون لي ابنـاً، وإن تعوج أودبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم..كذلك كلم ناثان داود)(صموئيل (2) 7/8-17).

فالمتنبئ عنه يخرج من أحشـاء داود، وليس من أحفـاده، وهـو يملك على بني إسرائيل بعد اضطجاع داود مع آبائه أي موتـه، وهـو باني بيت الله، وهو متوعد بالعذاب إن مال عن دين الله، وكل هـذا

قد تحقق في سليمان كما ورد في النصوص.

بل قد ورد التصريح بأن اسم صاحب تلك النبوءة هـو سـليمان، خلافا لما فهمه بولس، فقد جاء في سـفر أخبـار الأيـام الأول قـول داود: (هو ذا يولد لك ابن، يكون صـاحب راحـة، وأريحـه من جميـع أعدائه حواليه، لأن اسمه يكون سليمان، فأجعل سلاماً وسكينة في إسرائيل في أيامه، هو يبني بيتاً لاسمي، وهو يكون لي ابناً، وأنا لـه أباً، وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد)(الأيام (1) 22/9)

قلت: دعنا من تلك النبوءة.. وعد بنا إلى هذه النبوءة.. أنا رجل دين.. فأي نص قاطع هذا الذي دلك على أن البشـارة ليسـت كمـا ذكر بطرس؟

قـال: ألم تقـرأ مـا ورد في مـتى من إبطـال المسـيح لليهـود قـولهم، وإعلامهم أن القـادم لن يكـون من ذريـة داود، ففي مـتى: (كـان الفريسـيون مجتمعين، سـألهم يسـوع: مـاذا تظنـون في المسيح؟ ابن من هو؟ قالو له: ابن داود، قـال لهم: فكيـف يـدعوه داود بالروح رباً قائلاً: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضـع أعداءك موطئاً لقدميك، فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيب بكلمة)(متى 22/41 - 46)

وفي مـرقس: (فـداود نفسـه يـدعوه ربـاً. فمن أين هـو ابنـه) (مرقس 12/37)

ونفس النص ورد في لوقا، فقد ورد فيه: (كيف يُـقال للمسـيح أنه ابن داود، وداود نفسـه يقـول في كتـاب المزامـير:(قـال الـرب لـربي: اجلس عن يمـيني حـتى أجعـل أعـداءك موطئـا لقـدميك)، فداود نفسه يدعو المسيح ربا، فكيف يكون المسيح ابنـه؟)(إنجيـل لوقا:20 : 42)

قلت: أنت لم تفهم مراد المسيح.. إن هـذا القـول من الأقـوال الـتي نسـتدل بهـا على طبيعـة المسـيح.. ألا تـرى أن داود يطلـق الربوبية على المسيح في هذا النص؟

قال: أأنت تقول هذا؟

قلت: أقول هذا كما يقوله كـل مسـيحي.. وهـو الحقيقـة الـتي ينطق بها كل حرف من حروف النص.. فداود يـدعو المسـيح ربـا.. ألا تقرأ قوله: (قال الرب لربي)؟

قال: فلنبدأ بنفي ما تدعيه من ألوهية للمسـيح في هـذا النص.. ثم ننتقل إلى صـدق البشـارة على محمـد.. سأسـلم لـك جـدلا أن المبشر به في هذا النص هو المسيح.. فهل ترى فيه مـا يـدل على

ألوهيته؟

قلت: أجل.. النص واضح، لقد جاء فيه: (قال الرب لربي)

قال: عبارة المزامير تقول: قال الرب، أي الله لربي ــ أي المسيح على حسب ما تعتقد، وعلى محمد على حسب ما أعتقد ـ: (اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطأً لقدميك)، وبناء على هذه الجملة لا يمكن أن يكون المقصود من كلمة ربي الثانية هو الله أيضا، وذلك لأن المعنى سيصبح عندئذ: قال الله لِلّه اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك.. وكيف يجلس الله عن يمين نفسه؟

قلت: هذا الكلام مبني على طبيعة المسيح.

قال: لا بأس.. إذا كان ربي الثانية إلهاً فإنه لا يحتاج لأحد حتى يجعل أعداءه موطئا لقدميه، بل هو نفسه يسخر أعداءه بنفسه، ولا يحتاج إلى من يسخرهم له.

صمت، فقال: مخاطبة الله لإله آخر تعني وجود إلهين اثنين، وهذا يناقض العقيدة التي تتبنونها.. فأنتم تعتبرون الثلاثة واحدا.

قلت: لا بأس.. ولكن كيف سمى داود المسيح ربا؟

قال: إذا اعتبرنا اختلاف الترجمات تفاسير للكتاب المقدس، فإن الإشكال سيزول بسهوله.. هذه البشارة هي الفقرة الأولى من المزمور رقم 110، ولفظها ــ كما في الترجمة الكاثوليكية الحديثة ـ:(قال الرب لسيّدي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك)(1)

فما عبر عنه المسيح بلفظة ربي، هو في الحقيقة بمعنى سيدي.. ولذلك نجد أن الترجمات العربية المختلفة للعهد الجديد، خاصة القديمة منها كانت تستخدم لفظة السيد في مكان لفظة الرب، ولفظة المعلم في مكان لفظة رابِّي.

قلت: أنت تهرب إلى اختلاف الترجمات.

قال: لا بأس.. فلنبق على كلمة (ربي).. ولنذهب إلى الأناجيل لنرى استخدامات كلمة (الرب) فيها.. هل ترى الأناجيل تقصر هذه الكلمة على الله؟

أدركت ما يرمي إليه، فحاولت أن أتملص من الإجابة قائلا: أنت تريد أن نتشتت في بحار الكتاب المقدس.. ولن نفهم بذلك هذه البشارة، ولا غيرها.

قال: لن تفهم الكتاب المقدس إلا بالكتاب المقدس.. أجبني،

---

1) العهد القديم، ص 1269.

فلي حق عليك في أن تجيبني عن سؤالي.
قلت: نعم.. الكتاب المقـدس بعهديـه يسـتعمل لفظـة (الـرب) بمعنى السيد والمعلم.
قال: بل ورد تفسيرها في الأناجيل بذلك، فقـد جـاء في إنجيـل يوحنا [1 : 38]:(فقالا: ربي! الذي تفسيره يا معلم، أين تمكث؟).. وجاء فيه أيضا: [20 : 16]:(قال لها يسوع: يا مريم! فالتفتت تلك و قالت له: ربوني! الذي تفسيره يا معلم)
قلت: ذلك صحيح.
قال: ليست الأناجيل فقـط هي الـتي اسـتخدمت هـذه الكلمـة بهذا المعنى.. بل إن القـرآن الكـريم ــ مـع تشـدده في نفي ذرائـع الشرك ـ استخدم هذه اللفظة بهـذا المعـنى، فقـد جـاء فيـه : يَـا صَـاحِبَيِ السِّـجْنِ أَمَّا أَحَـدُكُمَا فَيَسْـقِي رَبَّهُ خَمْـراً (يوسـف: 41)، وجاء فيه : وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَـاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (يوسف:42)
قلت: فما المراد من تلك العبارة إذن؟
قال: إن ما يريده المسيح من عبارته تلك ـ إن سـلمت لـك من أن المراد منها هو المسيح ـ هو تذكير اليهـود بمقامـه العظيم قـائلا لهم: كيف تعتـبرون المسـيح مجـرد ابنٍ لـداود، مـع أن داود نفسـه اعتبر المسيح الآتي المبشِـر بـه، والـذي سـيجعله اللـه دائنـا لبـني إسرائيل يوم الدينونة : ربَّاً له: أي سيدا له ومعلما؟!
قلت: فالنبوءة بهذا لا تنطبق على محمد.
قال: لا.. لقد كنت أوضح لك فقط سوء ما فهمته وفهمه قومك من اعتبار المسيح إلها.. أما انطبـاق البشـارة على محمـد.. فـذلك مما لا شـك فيـه، بـل إن النص يكـون أكـثر وضـوحا بتطبيقـه على محمد.
قلت: ولكن المسيح صرح باسم المسيح في البشارة، كمـا في لوقا، فقد ورد فيه: (كيف يُقال للمسيح أنـه ابن داود، وداود نفسـه يقول في كتاب المزامير:(قال الرب لربي: اجلس عن يميني حـتى أجعل أعداءك موطئا لقـدميك)، فـداود نفسـه يـدعو المسـيح ربـا، فكيف يكون المسيح ابنه؟)(إنجيل لوقا:20 : 42)
قـال: أنت تعلم أن اسـم (المسـيح) لم يختص بـه المسـيح بن مريم وحـده، وإنمـا هـو وصـف أطلـق في الكتـاب المقـدس على هارون وداود وإشعياء وغيرهم..
وذلك لأن كلمـة (مسـيح)أصـلها عـبري (مشـيح)، وتعـني (من

مسحه الله) أي جعله مسيحا، وكلفـه بـإبلاغ رسـالة إلى النـاس، و جعله رسولا.. أي أن معنى كلمة المسيح بالعبرية الرسول.

ألم تقـرأ مـا ورد في (المزمـور 89 :21) من قـول اللـه : (وجدت داود عبدي بدهن قدسي مسـحته)؟.. فـداود ــ حسـب هـذا النص ـ مسيح مسحه الله، ومثل ذلـك مـا في (المزمـور 18/50): (والصانع رحمة لمسيحه لداود)

ومثـل ذلـك مـا ورد في (سـفر إشـعياء 45:1): (يقـول الـرب لمسيحه إشعياء لكورش الذي امسكت بيمينه لادوس امامه اممـا)، فإشعياء، نبي الله إلى بني اسرائيل ــ حسـب هـذا النص ــ مسـيح أيضا.

و في (سفر اللاويين 6:20): (هـذا قربـان هـارون وبنيـه الـذي يقرّبونه للرب يوم مسحته) فهارون ــ حسـب هـذا النص ــ مسـيح أيضا.

بل إن هـذا الاسـم لم يطلـق على الأنبيـاء وحـدهم في الكتـاب المقدس.. بل نراه يطلق على الملوك:

فقد سمي كورش ملك فارس مسيحاً، كما في إشـعيا: (يقـول الرب لمسيحه لكورش) (إشعيا 1/45)

وشاول الملك سمي مسيحاً، إذ لمـا أراد أبيشـاي قتـل شـاول، وهو نائم نهاه داود (فقـال داود لأبيشـاي: لا تهلكـه فمن الـذي يمـد يده إلى مسيح الرب ويتبرّأ) (صموئيل (1) 7/26-9)

بـل سـمي الكهنـة مسـحاء، ففي سـفر المزامـير: (لا تمسـوا مسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي)(المزمور 105/15)، واقرأ حديث سفر الملوك عن الكهنة المسحاء كما في (الملوك (2) 1/10)

فهذا اللقب الشريف ليس خاصاً بالمسيح، بل هو لقب يستحقه النبي القادم لما يؤتيه الله من الملك والظفر والبركـة الـتي فـاقت بركة الممسوحين بالزيت من ملوك بني إسرائيل.

أم أنـك تـرى أن الملـوك الظمـة، والكهنـة الخونـة، أحـق بهـذا الاسم من محمد؟

التفت إلي، فرآني صامتا، فقال: اسمع إلي.. وأجبـني.. ولا تفـر من الحقيقـة.. لقـد كنت مثلـك أفـر من الحقـائق بالجـدل إلى أن عرفت أن الحق لا مهرب منه.

أجبني: هل كان المسيح يدعى ابن داود أم لا؟

قلت: أجل.. فالمسيح ـ حسب متى ولوقا هـو من ذريـة داود ـ ولهذا كثـيراً مـا نـودي (يـا ابن داود)، كمـا في مـتى(1/1،ـ 9/27)،

ولوقا (19/38)
قال: بورك فيك.. فهذا النص يفهم من هذا المنطلق.
قلت: لم أفهم.
قال: أجبني.. كيف يسمي الرجل ابنه، هل يسميه ابنـا، فيقـول له: (ابني)، أم يقول له: (سيدي)؟
قلت: في حال العاديـة يـدعوه: (ابـني) إلا إذا كـان سـيدا رفيـع الجاه، فقد يدعوه: (سيدي)
قال: أنت تجادل.. إن الابن يظل ابنا حتى لو صار سيدا..
استحييت من نفسي، فقلت: أجل.. ولكن ما الذي ترمي إليه؟
قال: لقد قلت لك: إن النص يفهم من هـذا.. فالمسـيح أراد أن يصحح للفريسيين خطأهم في تصورهم أن المسيح من ذريـة داود، فاستخدم معهم هذا الأسـلوب، حيث بـدأهم، فقـال: (مـاذا تظنـون في المسيح، ابن من هو؟)، فقالوا له: ابن داود، فقال لهم: (فكيف يدعوه داود بالروح رباً قـائلاً: قـال الـرب لـربي: اجلس عن يميـني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه رباً فكيـف يكون ابنه؟)(متى 22/41-45)
لقد كان جواب المسيح مسكتاً، فقد اعتبر أن القــادم ليس من ذرية داود بدليل أن داود جعله سيده، والأب لا يقول ذلك عن ابنه.
صمت، فقال: لا بأس.. سنترك هذا لنرى وجها آخــر من وجــوه دلالة هذه النبوءة.. ولنعد إلى حديث المسيح.
أجبني: هل ادعى المسيح أنه المسيح المنتظر؟
قلت: لقد عرف الجميع أن يسوع هو المسيح المنتظر.
قــال: لم أســألك عن موقــف الجميــع.. ســألتك عن موقــف المسيح، فهل ادعى المسيح أو قال لتلاميـذه: إنـه المنتظـر.. فقـد يظن الناس جميعا شيئا في شخص هو منه براء.
قلت: الظاهر من النصوص عدم ادعـاء المسـيح لـذلك.. أنت لا تعرف المسيح.. لقد كان عظيم التواضع إلى حـد بعيـد.. حـتى أنـه كان يطلق على نفسه (ابن الإنسان)
قال: التواضع لا يلغي البيان.. أنا أعلم أنك تريد أن تفـر بقولـك هذا.. لكني سأورد لك من النصوص ما ينص على هـذا.. لقـد سـأل المسيح تلاميذه ذات يوم عما يقوله الناس عنه، ثم سألهم: (فقــال لهم: وأنتم من تقولون إني أنا؟)، فأجـاب بطـرس وقـال لـه: أنت المسيح، فـانتهرهم كي لا يقولـوا لأحـد عنـه، وابتـدأ يعلّمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً، ويرفض من الشيوخ ورؤسـاء الكهنـة

والكتبة ويقتل)(مرقس 8/29-31)

إن هذا النص يدل دلالة قاطعة على أن الذي ينتظره اليهـود لم يكن هو المسيح الذي كان بين أيديهم.

قلت: كيف فهمت ذلك من النص؟

قال: النص واضح.. لقد نهر المسيح تلاميذه، ونهاهم أن يقولـوا ذلك عنه، وأخبرهم بأنه سيتعرض للمؤامرة والقتل، وهو عكس مـا يتوقع من المسيح الظافر المنتصر الذي تنتظرون، والـذي يوقنـون أن من صـفاته الغلبـة والظفـر والديمومـة، لا الألم والمـوت، لـذا (أجابه الجمع: نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد، فكيف تقول أنت: إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان، من هو هـذا ابن الإنسان)(يوحنا 12/34)

وفي رواية لوقا تأكيد ذلـك، فقـد جـاء فيهـا: (فأجـاب بطـرس، وقال: مسيح الله، فانتهرهم، وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد، قـائلاً: إنه ينبغي أن ابن الإنسان يتألم)(لوقا 9/20-21)

قلت: ولماذا لا تفهم من ذلك أنه قصد الحذر من نشر ذلك بين اليهود؟

قال: لا.. لم يقصد المسيح ذلك.. بل كيف تقول ذلك، وقد أخبر المسيح تلاميذه عن تحقق وقوع المؤامرة والألم، وعليـه فلا فائـدة من إنكار حقيقته لو كان هو المسيح المنتظـر، لكنـه منعهم لأن مـا يقولونه ليس هو الحقيقة.

ومع ذلك.. فليس هذا هـو النص الوحيـد الـذي يفيـد ذلـك، لقـد حرص المسيح على نفي هذه الفكرة مرة بعد مرة، فقـد جـاء في يوحنا: (فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قـالوا: إن هـذا هـو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم، وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضـاً إلى الجبـل وحـده) (يوحنا 6/14-15)

أجبـني لمـاذا هـرب المسـيح؟.. إن كـان هـو المنتظـر، فلمـاذا هرب؟

صمت، فقال: هرب، لأنه ليس الملـك المنتظـر، وهم مصـرون على تمليكه لما يرونه من معجزاته، ولما يجدونه من شـوق وأمـل بالخلاص من ظلم الرومان.

ليس ذلك فقط، بل إن النصوص الدالة على هذا كثيرة:

فذات مرة قال فيلبس لصديقه نثنائيل:(وجدنا الـذي كتب عنـه موســى في النــاموس والأنبيــاء يســوع ابن يوســف الــذي من

الناصرة)، فجاء نثنائيل إلى المسيح وسأله، وقال لـه: يـا معلّم أنت ابن الله؟ أنت ملك إسرائيل؟ أجـاب يسـوع وقـال لـه: (هـل آمنت لأني قلت لك: إني رأيتك تحت التينة، سوف تـرى أعظم من هـذا) (يوحنا 1/45-50)، فقد أجابه بسؤال، وأعلمـه أنـه سـيرى المزيـد من المعجزات، ولم يصرح له أنه الملك المنتظر.

وفي بلاط بيلاطس نفى أن يكون الملك المنتظـر لليهـود، كمـا زعموا وأشاعوا:(أجاب يسوع: مملكتي ليست من هـذا العـالم، لـو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهـدون لكي لا أسـلّم إلى اليهـود، ولكن الآن ليسـت مملكـتي من هنـا)(يوحنـا 18/36)، فمملكتـه روحانيـة، في الجنـة، وليسـت مملكـة اليهـود المنتظـرة، المملكة الزمانية المادية، التي يخشاها الرومان.

لذلك ثبتت براءته من هذه التهمة في بلاط بيلاطس الذي سأله قائلاً: (أنت ملك اليهود؟ فأجابـه وقـال: أنت تقـول، فقـال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: إني لا أجـد علّـة في هـذا الإنسـان)(لوقـا 23/2-4)، فجوابه لا يمكن اعتباره بحـال من الأحـوال، فهـو يقـول له: أنت الذي تقول ذلك، ولست أنا.

ليس هذ فقط.. بل إن هناك علامـة أخـرى للمنتظـر لا تتحقـق في المسيح وردت بها الأناجيل، أرجو أن تجيبني عنها..

قلت: لقد وعدتك بأن أجيبك على كل ما تسألني عنه.

قال: هل كان المسيح معروفا لتلاميذه، ولليهود أم لا؟

قلت: بلى.. لقد كان معروفا بينهم، وقد ورد في يوحنا: (فنـادى يسوع وهو يعلّم في الهيكل قائلاً: تعرفونني، وتعرفون من أين أنـا، ومن نفسي لم آت، بل الذي أرسـلني هـو حـق، الـذي أنتم لسـتم تعرفونه، أنا أعرفه لأني منه وهو أرسـلني.. فـآمن بـه كثـيرون من الجمع)(يوحنا: 7/25-30)

قال: أكمـل النص.. مـا بالـك تقطعـه، مـا بالـك تقـرأ :﴿ فَوَيْـلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (الماعون:4)، وتنسى الصفة التي استحقوا به الويل.

أكملت قائلا :(.. وقالوا: ألعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا؟)

قال: لقد قطعت أهم جـزء في النص.. لقـد ذكـر المسـيح أنـه رسول من عند الله، وأنه ليس الذي ينتظرونه، فذاك لا يعرفونه.

وقد آمن به الذين كلمهم، وفهموا أنـه ليس المسـيح المنتظـر، كمـا ورد في يوحنـا: (فـآمن بـه كثـيرون من الجمـع وقـالوا: ألعـل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا؟)(يوحنا

(31-7/30
بل ثمة من عرف أنه ليس المنتظر مستدلين بمعرفتهم بأصل المسيح ونسبه وقومه، بينما المنتظر القادم غريب لا يعرفه اليهود، كما جاء في يوحنا: (قال قوم من أهل أورشليم: أليس هذا هو الذي يطلبون أن يقتلوه، وها هو يتكلم جهاراً، ولا يقولون له شيئاً، ألعل الرؤساء عرفوا يقيناً أن هذا هو المسيح حقاً؟ ولكن هذا نعلم من أين هو، وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو) (يوحنا 7/25-27)، ذلك أن المسيح غريب عن بني إسرائيل.

قلت: عد بنا إلى بشارة داود.. أرانا تهنا عنها.

قال: لا .. لم نته.. لقد ورد في البشارة الإشارة إلى الملك العظيم القادم الذي يأتي مع هذا النبي المبشر به، وقد عرفت أن المسيح لا يمكن أن يصبح ملكاً على كرسي داود وغيره.

قلت: لم؟

قال: لأن الكتاب المقدس صرح بذلك.. فالمسيح يذكر أن مملكته ليست في هذا العالم، فقد قال لبيلاطس: (مملكتي ليست في هذا العالم)(يوحنا 18/36)، وهو يشير بهذا إلى مملكته الروحية، أو إلى مملكته الدنيوية بعد نزوله إلى الأرض كما أخبرنا بذلك نبينا، وهو في ذلك الحين لا ينزل إلا ليقضي على الخرافات التي ارتبطت باسمه.

بالإضافة إلى هذا.. فإن المسيح من من ذرية الملك الفاسق يهوياقيم بن يوشيا.. أليس هو أحد أجداد المسيح؟

أدركت ما يرمي إليه، فطأطأت رأسي خجلا، وقلت: أجل.

قال: لا يمكنك أن تنكر ذلك، فقد ورد في سفر الأيام الأول: (بنو يوشيا: البكر يوحانان، الثاني يهوياقيم، الثالث صدقيا، الرابع شلّوم، وابنا يهوياقيم: يكنيا ابنه، وصدقيا ابنه)(الأيام (1) 3/14-15)، فيهوياقيم جد للمسيح حسب روايات الكتاب المقدس.. ولا يضر إسقاط متى له، فقد ذكر يكنيا حفيده، ثم تلاه بأبيه يوشيا.

قلت: أعلم هذا.. ولعل هذا غفلة من النساخ لا خطأ من متى.

قال: هو تحريف.. سواء كان من متى أو من غيره.. وهو تحريف له خطره، فليس الأمر متعلقا بجد من الأجداد.. بل متعلق بجد له علاقة بنبوءة من النبوءات.. أتركها لك لتذكرها.

أدركت ما يرمي إليه، لكني لم أجد بدا من ذكرها، فقلت: نعم.. لقد جاء في إرميا: (قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا: لا يكون له جالس على كرسي داود، وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد

ليلاً..)(إرميا 36/30)
قال: فقد نص هذا النص على أن اللـه حـرم الملـك على ذريـة يهوياقيم، فكيف تزعمون أن المسيح من ذريـة يكينيـا ابن الفاسـق يهوياقيم.. وكيف تزعمون أن الذي سيملك، ويحقـق النبـوءات هـو المسيح؟!
سكت قليلا، ثم قال: دعنـا من يهويـاقيم.. ولنـذهب إلى سـيرة المسيح.. فهي أدل على حقيقة المسيح، وحقيقة دوره الـذي أنيـط به.
ألا ترى أن سيرة المسيح تصيح بملء فيهـا لتقـول لكم: لسـت الملك المخلص الذي تنتظرونه؟
ألا ترى أن المسيح لم يملك على بني إسرائيل يوماً واحداً، وما حملت رسالته أي خلاص دنيوي لبني إسرائيل، كـذلك النـبي الـذي ينتظرونه، بل كثيراً ما هرب خوفاً من بطش اليهود.. فكيـف يكـون هو مخلصهم؟
ألم تعلم أن المسيح كان يدفع الجزيـة للرومـان، وقـد ورد في مـتى قولـه:(ولمـا جـاءوا إلى كفـر نـاحوم تقـدم الـذين يأخـذون الدرهمين إلى بطرس، وقالوا: أما يوفي معلمكم الدرهمين؟ قـال: بلى، فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلاً: ماذا تظن يا سمعان، ممن يأخذ ملـوك الأرض الجبايـة أو الجزيـة أمن بـنيهم أم من الأجـانب؟ قال له بطرس: من الأجانب، قال لـه يسـوع: فـإذاً البنـون أحـرار، ولكن لئلا نعثرهم اذهب إلى البحر، وألـق صـنارة، والسـمكة الـتي تطلع أولاً خذها، ومتى فتحت فاها تجد أستاراً، فخذه وأعطهم عني وعنك)(متى 17/24-27).. فكيف تخضع الشعوب لمن هذا حاله؟
إن المسيح رفض أن يكون قاضياً بين اثـنين يختصـمان، فكيـف تزعمون له الملـك والسـلطان؟.. ألم يـرد في الإنجيـل المقـدس: (قال له واحد من الجمع: يا معلّم، قل لأخي أن يقاسمني الميراث، فقال له: يا إنسان من أقـامني عليكمـا قاضـياً أو مقسّـماً!؟)(لوقـا 12/13-14)؟
قلت: إن كل هذا يصب في كمالات المسيح.
قال: وأنا لم أقل غير ذلك.. لقد انتدب المسـيح لوظيفـة أداهـا أحسـن أداء، لقـد كـان خاتمـة أنبيـاء بـني إسـرائيل الممهـد لنـبي الإسلام.. فلذلك ارتبطت رسالته بهذا الجانب..
أما النبي المبشر به في بشارة داود، فهو نـبي ملـك، تـدين لـه الشعوب وتخضع.. فهو الذي نطقت بـه نبـوءة داود القائلـة: (تقلـد

سيفك على فخذك أيها الجبار، جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم.. اركب من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف، نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك، شعوب تحتك يسقطون، كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك) (المزمور 45/1 - 6)

وهو نفس النبي الذي أخبر عنه يعقوب، فقال:(يأتي شيلوه، وله يكون خضوع شعوب)(التكوين 49/10)

التفت إلي، فرآني حائرا فيما أجيبه، فقال: لا تحسبني ـ يا أخي ـ أنقص قدر المسيح بقولي هذا.. ولكني أذكر الحقيقة الجميلة التي امتلأ بها المسيح.

لست أدري كيف خطر على بالي أن أقول له: ولكن.. ألم تسمع النبوءة التي ذكرها الملاك لمريم، فقد قال لها: (ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية)(لوقا 1/33)؟

ضحك، وقال: بلى.. وبورك فيك فقد ذكرتني ما كنت ناسيا.. ولكنك في تذكيري كما قيل: يبحث عن حتفه بظلفه.

قلت: ما تقصد.. لقد أخبر الملاك مريم بأنه يعطيه ملك أبيه داود.

قال: وذكرت البشارة أنه يملك على بيت يعقوب إلى الأبد.

قلت: فأنت تسلم لي إذن.

قال: بل أنت الذي تسلم لي.

قلت: لم أفهم.

قال: قارن بين البشارتين: بشارة الملاك، وبشارة داود ويعقوب وغيرهما.

قلت: من أي ناحية؟

قال: لن أدعك في ارتباكك.. لقد أخبر الملاك مريم أن المسيح سيملك على بيت يعقوب فحسب، فقد قال:(ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد)، فغاية ما يمكن أن يملك عليه هو شعب إسرائيل.

بينما نصت النبوءات الأخرى على أن النبي الموعود (له يكون خضوع شعوب) (التكوين 49/10)، و(شعوب تحتك يسقطون) (المزمور 45/5)، والشعوب تدل على كل الشعوب، لا على شعب إسرائيل وحده.

قلت: ولكن ألا يمكن أن تكون جميع هذه البشارات مرتبطة

بالمسيح في عودته الثانية؟

قال: لعلك لم تقرأ الكتاب المقدس.. أو لعلك لم تظفــر بمعلم يحل لك ألغازه؟

قلت: لا.. لقــد قرأتــه، ومن رجــال لا أرى لهم أمثــالا في هــذه البلاد.

تنفس الصعداء، ثم قال: نعم.. أعرفهم.. لكل منهم توأم يتحكم فيه.. ويلغي عقله بسببه.

اســمعني جيــدا لأذكــرك بمــا غفلت عنــه.. إن وعــد اللــه لبــني إســرائيل بالملــك القــادم على كرســي داود ــ كمــا ينص الكتــاب المقدس ـ وعد مشروط بطاعتهم لله وعملهم وفق مشــيئته، كمــا أخبرهم الله بقوله: (إن نقضتم عهدي.. فإن عهدي مــع داود عبــدي يُنقض، فلا يكون له ابن مالكاً على كرسيه)(إرميــا 33/20 -ـ 21)، فهل تراهم نقضوا عهودهم.. أم تراهم حافظوا عليها؟

لم أدر بما أجيب، فقال: لا مناص لك من الإقرار بنقضهم لعهود الله.. ألستم تذكرون أنهم أرادوا صلب المسيح، بل ترون أنه صلب على أيديهم.. فهل يمكن أن يحافظ مثل هؤلاء على عهود الله؟

بل إن الكتاب المقدس.. والمزامــير بالــذات.. تنص على ذلــك، ألم تقرأ فيها: (لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبــد! لمــاذا يــدخن غضــبك على غنم مرعاك! اذكر جماعتك التي اقتنيتها منــذ القــدم وفــديتها) (المزمور 74/1-2)؟

قلت: أسلم لك هذا.. ولكن ما تقول فيما جاء في قصة المــرأة السامرية التي أتت المسيح ورأت أعاجيبه وآياته، فأخبرتــه بإيمانهــا بمجيء المسيا، فكان جوابه لها أنه هو المسيا، ألم تقرأ ما ورد في يوحنا؟

قال: بلى.. قالت له المرأة: (أنــا أعلم أن مســيا الــذي يقــال لــه المسيح يأتي، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء، قال لها يسوع: أنــا الذي أكلمك هو)(يوحنا 4/25-26)

قلت: هــا أنت تحفــظ النص.. فكيــف تفــر من مدلولــه؟.. لقــد اعترف المسيح بصراحه بأنه هو المسيا.

قال: لا شك في وقوع التحريف في هــذه العبــارة.. فهــذا النص يخالف ما عهدناه من المسيح، بدليل أن أحــداً من التلاميــذ لم يكن يســمع حديثــه، وهــو يتحــدث مــع المــرأة، فكيــف عرفــوا موضــوع الحديث بينهما؟.. ألم تقرأ ما جاء في يوحنــا: (قــال لهــا يســوع: أنــا الذي أكلمك هو، وعند ذلك جاء تلاميذه وكــانوا يتعجبــون أنــه يتكلم

مع امرأة، ولكن لم يقل أحد: ماذا تطلب؟ أو لماذا تتكلم معها) (يوحنا 4/26-27)، فهم لم يسمعوا حديثهما، ولم يسألوه عما جرى بينهما.

سكت قليلا، كأنه يسترجع شيئا يحفظه، ثم ابتسمت أسارير وجهه، وقال: لقد قرأت لك أول القصة، فاقرأ لي آخرها.

بدون شعور أخذت أردد: (فتركت المرأة جرتها، ومضت إلى المدينة وقالت للناس: هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت، ألعل هذا هو المسيح؟)(يوحنا 4/28-29)

ابتسم، وقال: أرأيت لو أن المسيح أخبرها بأنه المنتظر؟ ألم تكن لتذهب لتقول لقومها: (إنه يزعم أنه المسيح)

قلت: ذلك ما قالت المرأة.

قال: لا.. لقد ذكرت المرأة شكها في كونه المسيح بعد أن رأت أعاجيبه، وهذا يحيل أن يكون قد أخبرها بذلك.

بل إن الظاهر من خلال إعجابها به أنه لو ذكر لها أنه المسيح لاتبعته من غير أن تتردد في ذلك، فهي قد ذهبت تبشر باحتمال كونه المسيح.

التفت إلي، فرآني غارقا في البحث عن مخرج لما أوقعني فيه، وأنا أقول في نفسي: ما أعظم قدرة هذا الحداد على التماس المخارج..

فقال: لا تتعب نفسك في البحث عن أي مخرج.. لأني ما آمنت حين آمنت إلا بعد أن اعتراني من الشكوك ما لو نزل على الجبال لأذابها، ولكن الله بمنته خلصني منها ببعض الصالحين من العلماء أعطاهم الله من علم الكتاب ما كشف لي الشبه، ورفع كل حجاب بيني وبين أشعة شمس محمد.

قلت ساخرا: ألم يكن لك أخ توأم ينهرك عن هذا، ويرد على هذا العالم شبهه.

قال: بلى.. كان لي أخ.. وهو لا يزال حيا.

قلت: فكيف تركك؟

قال: لقد سلم هو الآخر.. ونحن الآن نعيش في طمأنينة يحسدنا عليها الملوك.. إننا في عالم النفس المطمئنة التي قال فيها ربنا :﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ (الفجر:27 ـ 28)

قلت: أتظن أني أسلم لك كما سلم أخوك؟

قال: أنا لا أطلب منك أن تسلم لي.. الحق أعظم من أن يسلم

لأحد من الناس.. ثم أنا لا أقبل أن تسلم لي.. سلم للحق.. الحق أعظم مني ومنك.. ألم تسمع المسيح، وهو يقول: (إِنْ ثَبَّتُّمْ فِي كَلِمَتِي، كُنْتُمْ حَقّاً تَلاَمِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ)(يوحنا: 8/31 ـ 32)؟

لم أجد ما أقول، فقال: قد يحجبك عن الحق الذي أذكره ما تراه من حالي.. تقول: هذا حداد لا علاقة له إلا بالمطرقة التي يطرق بها حديده، فكيف يتطفل على موائد الكتاب المقدس؟

لا بأس.. أنا أعذرك في هذا.. فأكثر البشر يعبدون المظاهر، ويسلمون للمظاهر.. ولكني سأخاطبك بما قد يخطر على نفسك.. اسمع ما يقول شارل جنيبر، وهو من هو علماء الكتاب المقدس.. لقد قال: (والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين، هي أن المسيح لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه ابن الله.. فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية)

ويقول عوض سمعان: (إن المتفحصين لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان … كانوا ينتظرون المسيّا، لكن المسيّا بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن سوى رسول ممتاز يأتي من عند الله)

وسأضيف إلى هذه الأقوال شيئا لم أقصد به إيذاءك.. فإن آذاك فاغفر لي.

قلت: وما ذاك؟

قال: لقد كنت قسا محترما ذا جاه عريض، وقد أرسلت إلى التبشير في بعض البلاد.. وكان لي من الدنيا ما يحسدني عليه الأغنياء والكبراء.. لكني بعت ذلك كله، وآثرت الله، واكتفيت بما تراه من بسيط الرزق.

قلت: فكيف تغير حالك؟

قال: هذا شيء ستكتشفه في المستقبل.. ولعلك ترى كيف ينتقل المرتدون من المسيحية من رجال الدين من الحياة الهنية الرغدة إلى شظف العيش.. فكل ما وهب لهم في ظل الكنيسة يسلب منهم.. ولا يبقى لهم شيء.. نعم.. الكنيسة معذورة في ذلك.. ولكن اعلم أن هذا من أعظم الحجب التي تحول بين الكثير من رجال الدين واعتناق الإسلام مع أنهم يعرفون محمدا أكثر مما يعرفون أبناءهم، كما قال تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ

كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (البقرة:146).. واعتبرهم في آية أخرى من الذين خسروا أنفسهم، فقال: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (الأنعام:20)

التفت إلي، فرآني لا أزال على صمتي، فقال: فلنعد إلى البشارة.. لقد ذكرنا النصوص الكثيرة المخبرة عن عدم تحقق النبوءة في المسيح، وهي ربما تكفي الكثير، ولكنها قد تتطلب تعليلات معينة تزيد في عمقها.

ولا يمكن إجراء التعليلات إلا بعد معرفة الواقع الذي جاء فيه المسيح.. فأجبني.. هل كان اليهود في عهد المسيح أمة لها قوتها وعزتها، أم كانت مجرد مستعمرة يستضعفها غيرها؟

قلت: لقد كانوا مستضعفين.

قال: بل طال استضعافهم، فمنذ عام 63 ق. م وقعت القدس وفلسطين بيد الرومان الوثنيين، ليبدأ الاضطهاد الذي عانى منه بنو إسرائيل.

وفي ذلك الحين حنت قلوبهم ـــ كما تحن جميع قلوب المستضعفين ـ إلى مخلص يرد إليهم الملك الضائع والسؤدد الذي ضاع منهم.

وفي ذلك الحين بدأوا يرددون ما ورد في بشارات الأنبياء من أخبار النبي الموعود الذي تستسلم له الشعوب.. لقد كانوا ينتظرون تحقق بشارة يعقوب وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء بالقادم المنتظر.

التفت إلي، وقال: هل ما أقوله صحيح.. أم أنك تراه مجرد رجم بالغيب؟

قلت: بل هو صحيح..

قال: ولا تملك إلا أن تقول ذلك.. فالكتاب المقدس يدل على هذا، ومن أمثلة الذين كانوا يترقبون الملك المظفر المنتظر سمعان، الذي وصفه لوقا، فقال: (كان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل، والروح القدس كان عليه)(لوقا 2/25)، فسمعان هذا أحد منتظري الخلاص.

ومنهم نثنائيل الذي صارح المسيح بشعوره وظنه، كما في يوحنا: (أجاب نثنائيل وقال له: يا معلّم أنت ابن الله؟ أنت ملك إسرائيل؟ أجاب يسوع، وقال له: هل آمنت لأني قلت لك..)(يوحنا

(50-1/49
والمـرأة السـامرية لمـا رأتـه أعاجيبـه أخبرتـه عن هـذا النـبي الموعود، فقالت: (أنا أعلم أن مسيّا ـ الذي يقال له المسيح ـ يأتي، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء) (يوحنا 4/25-30)

وأندرواس قال لأخيه سمعان مبشراً: (قـد وجـدنا مسِـيّا، الـذي تفسيره المسيح) (يوحنا 1/41)

ولما شاع هذا الخبر في بني إسرائيل خشي رؤساء الكهنـة من بطش الرومان إن عرفوا أن الموعود المنتظر العظيم المظفر قـد ظهر في شخص المسـيح، فسـارعوا إلى الإيقـاع بـه، متهمين إيـاه بإفساد الأمة وادعاء أنه المخلص المنتظـر، كمـا في يوحنـا:(فجمـع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً، وقـالوا: مـاذا نصـنع، فـإن هـذا الإنسان يعمل آيات كثيرة، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع بـه، فيـأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمّتنـا؟ فقـال لهم واحـد منهم، وهـو قيافا، كان رئيساً للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفـون شـيئاً، ولا تفكرون، إنه خير لنـا أن يمـوت إنسـان واحـد عن الشـعب، ولا تهلك الأمة كلها) (يوحنا 11/47-50)

وقـد ورد في لوقـا: (فقـالوا لـبيلاطس: إننـا وجـدنا هـذا يفسـد الأمة، ويمنـع أن تعطى جزيـة لقيصـر قـائلاً: إنـه هـو مسـيح ملـك، فسأله بيلاطس قائلاً: أنت ملك اليهود؟ فأجابـه وقـال: أنت تقـول، فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجمـوع: إني لا أجـد علّـة في هـذا الإنسان)(لوقا 23/2-4)، فقد ثبت لبيلاطس براءته مما اتهمـوه، إذ هو لم يدع أنه ملك اليهود المنتظر.

بل إن هذا الشـعور بالحاجـة إلى النـبي المحـرر لم يكن خاصـا بالمسيح.. بل سبق أن ظن شعب إسرائيل المتلهف لظهـور النـبي العظيم المظفر أن يوحنا المعمدان هو المسيح المنتظـر، كمـا في لوقا: (إذ كـان الشـعب ينتظـر، والجميـع يفكـرون في قلـوبهم عن يوحنا، لعله المسيح)(لوقا 3/15)

ولهذا فإن الجموع المتربصـة للخلاص لمـا رأت المسـيح قـالوا فيه ما قالوه من قبل عن يوحنا المعمدان (قالوا للمرأة: إننـا لسـنا بعد بسبب كلامـك نـؤمن، لأننـا نحن قـد سـمعنا ونعلم أن هـذا هـو بالحقيقة المسيح مخلّص العالم)(يوحنا 4/42)

التفت إلي، فرآني غارقا فيما أسمع، فطرق بمطرقته قليلا، ثم قال بعد أن تنفس الصعداء: كـان هـذا هـو الشـعور العـام.. فرحـة بالمخلص.. ولهفة للخلاص.. فلهـذا راحـوا يؤولـون جميـع بشـارات

الأنبياء لتنطبق عليه، ولو من باب التكلف.

حاول أن تضع نفسك بدلهم.. إن كل من يكون في تلك الحال قد يقع في نفس الشعور.. فمرارة الاستضعاف تجعلهم يتعلقون ولو بقشة.

لقد حصلت الصدمة للشعب المستضعف، ولأولئك المنتظرين المتلهفين، عندما سمعوا بصلب المسيح.

لقد حزنوا حزنا لم يمكنهم مقاومته لتخلف الخلاص المنشود في شخص المسيح، وقد ورد في الأسفار المقدسة ما يدل على هذا، فقد ذكرت أن المسيح بعد القيامة تعرض لتلميذين، وهو متنكر (فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحان به، وأنتما ماشيان عابسين، فأجاب أحدهما ـ الذي اسمه كليوباس ــ وقال له: هل أنت متغرب وحدك في أورشليم، ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الأيام، فقال لهما: وما هي؟ فقالا: المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت، وصلبوه، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك) (لوقا 24/17-21)

وزادت الحسرة عندما سأل التلاميذ المسيح بعد القيامة، فقالوا:(يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟ فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه)(أعمال 1/6-7)، أي أن هذا ليس هو وقت الملك المنتظر، وهو يدل على أن الخلاص الذي كان يتنظره الإسرائيليون والذي وعدت به الأنبياء ليس كما تفهمون، لأنه لو كان كذلك، لقال لهم: لقد تحقق الخلاص بصلبي، وقد طهرتم من خطاياكم.

إن هذا النص يثبت انتظار بني إسرائيل للخلاص، ويثبت أن هذا الخلاص لم يتحقق كما أرادوا.

قلت: لقد تحقق الخلاص على يد المسيح.. لقد طهرنا بصلبه من الخطيئة.

قال: ذلك موضوع آخر.. أو قل تلك حيلة أوهمكم بها بولس ومن نحا نحوه.. لقد تلاعبوا بالنصوص الواضحة الصريحة ليربطوكم بأوهام كثيرة لا حقيقة لها.

أردت أن أتكلم، فقال: لا بأس.. لن نتناقش في هذا الآن.. أو لن أتناقش معك في هذه المسألة أبدا.. ولكن سأدع ذلك لإخلاصك.. فلو صدقت، فإن الله سيدلك على من يرفع هذه

الغشاوة عن عينيك.

قلت: لقد حاولت بكل الطرق أن تبرهن لي أن المسيح لم يدع أنه الملك المنتظر، وأن كل الدلائل لا تدل عليه.. فهل ادعى محمد أنه هو المنتظر، وهل كانت الدلائل بجانبه؟

قال: أجل.. لقد صرحت النصوص الكثيرة بأنه هو النبي الموعود المنتظر، واسمح لي أن أرتل لك بعض كلام ربي الذي يدل على ذلك.

لقد أخبر الله تعالى أنه أخذ المواثيق على الأنبياء ليؤمن به، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران:81)

وقد قال رجل من آل محمد ﷺ يفسر هذه الآية، وهو علي: (ما بعث الله نبياً آدم فمن دونه إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه)

بل إن القرآن الكريم ذكر ما في كتبهم من الصفات التي لا تنطبق إلا عليه، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (لأعراف:157)

وأخبر عن بعض ما ورد عنه من نبوءات في التوراة والإنجيل، فقال :﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾(الفتح:29)

نعم.. لم يذكر القرآن الكريم كل ما ورد عن محمد ﷺ من نبوءات في هذه الكتب تاركا ذلك للبحث والاجتهاد، ولكنه أخبر أن هذه النبوءات من الوضوح والدقة ما تجعل العالم، بل الدارس للكتب يضطر للتسليم اضطرارا، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

يَتْلُونَـهُ حَـقَّ تِلاوَتِـهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُـونَ بِـهِ وَمَنْ يَكْفُـرْ بِـهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (البقرة:121)

كـانت لـه قـراءة مميـزة للقـرآن الكـريم تجعـل الجسـد ينهـد ويرتعش ارتعاشة لذيذة لا يمكن وصفها.

البشارة الثانية:

سـكت عن القـراءة، وقـال: أتـدري مـا الـذي صـرف اليهـود، وصرف قومك الذين سلموا لليهود عن تطبيق هذه البشارات على محمد؟

سكت، فقال: إنهم يتصورون الله كما يتصـورون هتلـر، أو كمـا يتصورون كل عنصري.

انتفضت غاضبا، وقلت: ما الـذي تقـول؟.. لقـد كنت مؤدبـا في حوارك، فكيف تحولت إلى السخرية والاستهزاء.

قال: أنا لا أسخر ولا أستهزئ.. ولكني أنبهك، والتنبيه قد يحمـل ألما.. ولكن الأمل لا يتحقق ـ أحيانا كثيرة ـ إلا ببعض الألم.

قلت: فما تقصد؟

قال: لقـد تصـور الإسـرائيليون، وأنتم تبعـا لهم أن النبـوة حكـر على بني إسرائيل.. وأن اللـه لن يخـرج أطبـاء يـداوون العـالم، ولا شموسا تضيء ظلماته إلا من ذلك الشعب.

إن النبـوة ــ يـا أخي ــ أعظم من أن يحتكرهـا أي شـعب من الشعوب.. وإن الله أرحم من أن يخص شعبا بمئات الأنبياء، ويترك سائر الأمم تعيش في الجهالة.

طرق بمطرقته، ثم قال: لقد كان هذا من أكـبر مـا دعـاني إلى الإسلام، فالقرآن يحمل احتراما كبيرا لكل شعوب العالم، بل يخـبر أن كل هذه الشعوب كان فيها صالحون وأنبياء، لا كما تعتقدون من انحصار فضل الله في بيت إسرائيل.

لقد جاء في القـرآن الكـريم قولـه تعـالى: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (فاطر: 24).. فكل الأمم نالتها رحمة الله وفضــله.. فلا تحجروا على الله فضله، ولا تضيقوا ما وسع الله من رحمته.

التفت إلي، وقال: لعلك تحسب أننا ابتعدنا عن بشارة داود..

صمت، فقال: لا.. لم نبتعد.. هناك بشارة أخرى تشير إلى هذا.. وكأنها تصحح الأخطـاء الـتي وقعت فيمـا فصـلنا فيـه من بشـارة.. وستكون خاتمـة جلوسـي معـك هـذه البشـارة.. ولن يشـتد عليـك تفسيرها وتطبيقها..

لقد قال داود في بشارته الثانية: (الحجر الذي رفضـه البنـاؤون

قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا) (المزمور 118/22 ـ 23)

ولأعينك على فهمها وتطبيقها، أجبني: هل ورد في الكتاب المقدس ما يدل على أن الأمر سينتقل عنهم.

قلت: لقد ورد من ذلك الكثير.

قال: سأرتل لك من ذلك قول إشعيا على لسان الوحي: (أصغيتُ إلى الذين لم يسألوا، وُجِدت من الذين لم يطلبوني، قلت: ها أنذا ها أنذا لأمةٍ لم تسمَّ باسمي.. بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره، شعب يغيظني بوجهي دائماً) (إشعيا 65/1 - 3)

فهذا النص يذكر انتقال النبوة والأمر عن الأمة القاسية العاصية إلى أمة لم تطلب الله قبل، ولم تسم باسم الله.. وهي الأمة الأمية التي لم ينزل عليها أي كتاب.

بل إن حزقيال يؤكد رفع الملك والشريعة من بني إسرائيل ودفعه لأمة مهملة، فيقول:(إني أنا الرب وضعت الشجرة الرفيعة، ورفعت الشجرة الوضيعة، وأيبست الشجرة الخضراء، وأفرخت الشجرة اليابسة، أنا الرب تكلمت وفعلت)(حزقيال 17/32)

وهو يقول: (أنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل الذي قد جاء يومه في زمان إثم النهاية، هكذا قال السيد الرب: انزع العمامة وارفع التاج، هذه لا تلك، ارفع الوضيع، وضع الرفيع، منقلباً، منقلباً، منقلباً أجعله، هذا لا يكون حتى يأتي الذي له الحكم، فأعطيه إياه)(حزقيال 21/25 ـ 27)

وقد استمر الأمر بأنبياء إسرائيل يحذرون من زوال نعمة النبوة التي نعم بها بنو إسرائيل حتى جاء يوحنا المعمدان الذي قال محذرا بني إسرائيل من الغضب الآتي الذي سيسلطه الله عليهم: (والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار، أنا أعمدكم بماء التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار)(متى 3/10-11)

لقد كان المسيح هو الفرصة الأخيرة لبني إسرائيل ليثبتوا أهليتهم للاصطفاء لكنهم ضيعوها، فقد وضع الفأس على أصل الشجرة، فلما كفروا به وحاولوا قتله قطعت الشجرة الخضراء ويبست ودفعت للنار، نار الغضب الإلهي والضلال، وأزهرت شجرة أخرى كانت يابسة.

لقد أيبس الله شجرة بـني إسـرائيل وأحرقهـا، وأفـرخ شـجرة أخرى كانت يابسة لم تظهر فيها النبوات من لدن إسماعيل.

طرق بمطرقته بعض الطرقات، ثم قـال: ليس داود وحـده هـو الـذي نطـق بهـذه البشـارة.. لقـد ضـرب المسـيح للتلاميـذ مثـل الكرامين، ثم قال: (الحجر الذي رفضه البناؤون هو قـد صـار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينـزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره) (متى 21/42 – 43)

إن المسـيح يصـرح بمن يسـتحق هـذه البشـارة.. وقـد قـال لتلاميـذه بعـد أن قص عليهم مثلاً من أمثـال الملكـوت، وهـو مثـل الزرع:(فانظروا كيف تسمعون، لأن من له سيعطى، ومن ليس لـه فالذي يظنه له يؤخذ منه)(لوقا 8/18)

قلت: ولكن من أدراك أن هـذه النبـوة ترتبـط بمحمـد وبقـوم محمـد.. أليس من الممكن أن يتحقـق ذلـك في أمـة أخـرى أكـثر حضارة، وأعرق مدنية؟

قال: لقد صرح الكتـاب المقـدس بصـفات الأمـة البديلـة الـتي ستخلف بني إسرائيل، كما جاء في التثنية: (فرأى الـرب ورذل من الغيظ بنيـه وبناتـه، وقـال: أحجب وجهي عنهم وانظـر مـاذا تكـون آخـرتهم، إنهم جيـل متقلب، أولاد لا أمانـة فيهم، هم أغـاروني بمـا ليس إلهاً، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغـيرهم بمـا ليس شـعباً، بأمـة غبية أغيظهم)(التثنية 32/19-21)

فالأمة المصطفاة، هي الأمة التي كانت مرذولة، وكانت جاهلـة أو غبية محتقـرة.. ولا يصـدق ذلـك إلا على العـرب، بـل قـد صـرح القرآن الكريم بهذا، فقال تعالى: لِيَغِيـظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ (الفتح: 29 (الفتح: 29)

وصرح بذلك أعظم تصريح، فقال : هُـوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (الجمعة:2)

قال ذلـك، ثم انصـرف إلى مطرقتـه يطرقهـا، وعينـاه تمتلئـان بالدموع..

البشارة الثالثة:

رآني صـامتا، فقـال: سـأقول لـك شـيئا لم أكتشـفه إلا هـذا الصباح.. لقد كنت أقرأ الكتاب المقدس في هذا الموضع.

أعطاني الكتاب المقدس، وهو مفتوح في محل معين، ثم قال: خذ، واقرأ.. فسترى محمدا في هذا النص.

أخذت أقرأ ما طلب مني: (فاض قلبي بكلام صالح، متكلم أنا بإنشائي للملك، لساني قلم كاتب ماهر: أنت أبرع جمالاً من بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف، نُبُلُك المسنونة في قلب أعداء الملك، شعوبٌ تحتك يسقطون. كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك... بنات ملوك بين حظياتك جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير. اسمعي يا بنت وانظري وأميلي أذنك انسي شعبك وبيت أبيك، فيشتهي الملك حسنك، لأنه هو سيدك فاسجدي له.. عوضاً عن آبائك يكون بنوك، تقيمهم رؤساء في كل الأرض أذكر اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد)(المزمور 45/1 – 17)

ما وصلت إلى هذا الموضع حتى أمرني بإغلاق الكتاب، وقال: هل رأيت البشارة بمحمد في هذا المزمور؟

قلت: لا.. ما رأيت شيئا.. وإن كان يمكن أن أرى شيئا، فلا يمكن أن أرى غير المسيح.

قال: أنتم تتصورون محمدا والمسيح يتزاحمان.. لا.. هذا خطأ.. محمد والمسيح أخوان نبيان كريمان.. وكون البشارة ترتبط بأحدهما لا تعني أي إضعاف لقدر الآخر.. لأن هدف البشارات هو الحض على اتباع المبشر به.

ومع ذلك.. فلنتصور أنه المسيح.. إن البشارة لا يمكن أن تنطبق عليه، لقد ورد فيها (شعوبٌ تحتك يسقطون).. فأي شعوب سقطت تحت المسيح، وأنتم الذين قلتم عنه إنه (كشاة سيق إلى الذبح لم يفتح فاه)

لقد ورد فيها (أنت أبرع جمالاً من بني البشر)، وأنتم تقولون عن المسيح (لا صورة له ولا جمال، فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه) (إشعيا 52:2)

قلت: فكيف رأيت هذه البشارة تنطبق على محمد؟

قال: لقد تزوج محمد امرأة من اليهود اسمها صفية بنت حيى بن أخطب وهي من بني اسرائيل، وقد مات أبوها وشعبها كفارا

بعد أن خانوا محمدا.

قلت: وما علاقة ذلك بهذه النبوءة؟

قال: لقد رأيت داود في هذا النص، وهو يوصي صـفية بمحمـد، فهو يأمرها بأن تنسى شعبها (بنى إسرائيل) وبيت أبيها، وأن تخضع لزوجها.

وقد حصل ذلك.. فقد نسيت السيدة صفية شـعبها وبيت أبيهـا، وأصبحت أما للمؤمنين، وقد قال لها محمد ﷺ:(قولي لعائشة: (بل من أعلى مني نسبا.. أبي موسى، وعمي هـارون، وزوجي محمـد) (1)

***

طرق بمطرقتـه قليلا، ثم قـال: أنتم تقولـون بـأن المسـيح من نسل داود.. وتقولون بأن بشارات داود لا تنطبق إلا على المسيح؟

قلت: أجل..

قال: ولكنكم تحملون صورة مشوهة عن داود.. صورة لا يمكن لأحد أن يرضاها لنفسه، ولا لمن يحب.

سأفتح لـك الكتـاب المقـدس لتقـرأ لي بعض مـا تذكرونـه عن داود.. بل وتتعبدون بتلاوته.

فتح الكتاب المقدس، وأعطـاني لأقـرأه عليـه.. قـرأت: (وكـان في وقت المسـاء ان داود قـام عن سـريره وتمشـى على سـطح بيت الملك فرأى من على السـطح امـرأة تسـتحمّ وكـانت المـرأة جميلة المنظـر جـدا فأرسـل داود وسـأل عن المـرأة فقـال واحـد أليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة اوريا الحثّي فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت اليـه فاضـطجع معهـا وهي مطهّـرة من طمثهـا.ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخـبرت داود وقـالت اني حبلى فأرسل داود إلى يوآب يقول ارسل اليّ اوريا الحثي.فأرسـل يوآب اوريا إلى داود فأتى اوريا اليه فسـأل داود عن سـلامة يـوآب وسلامة الشعب ونجـاح الحـرب وقـال داود لاوريـا انـزل إلى بيتـك واغسل رجليك فخرج اوريا من بيت الملـك وخـرجت وراءه حصـة من عند الملك) (صموئيل الثاني 11 /2)

سكت، فقال: واصل القراءة..

واصـلت، وقـرأت: (فقـال اوريـا لـداود ان التـابوت واسـرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وانا آتي الى بيتي لآكل واشرب واضطجع مع امرأتي

1) رواه ابن سعد.

وحياتك وحياة نفسك لا افعل هذا الامر)(صموئيل الثاني 11 /11)
قال: واصل..
واصلت: (ودعاه داود فأكل امامه وشرب وأسكره.وخـرج عنـد المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيـد سـيده والى بيتـه لم يـنزل وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يـوآب وأرسـله بيـد اوريـا وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت وكـان في محاصـرة يـوآب المدينـة انـه جعل اوريا في الموضع الذي علم ان رجال البأس فيه فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشـعب من عبيـد داود ومـات اوريا الحتّي أيضا)(صموئيل الثاني 11 /13)
قال: اقرأ خطاب الله لداود بعد هذا..
قرأت: (لماذا احتقرت كلام الـرب لتعمـل الشـر في عينيـه.قـد قتلت اوريا الحتّي بالسيف وأخـذت امرأتـه لـك امـرأة وايـاه قتلت بسـيف بـني عمـون والآن لا يفـارق السـيف بيتـك إلى الابـد لأنـك احتقرتني وأخذت امرأة اوريا الحتّي لتكـون لـك امـرأة هكـذا قـال الرب هاأنذا اقيم عليك الشر من بيتك وآخـذ نسـاءك امـام عينيـك وأعطيهن لقريبك فيضـطجع مـع نسـائك في عين هـذه الشـمس) (صموئيل الثاني 12 /9)
قال: حسبك.. ألا ترى أنكم تحملون صورة مشوهة عن داود..
لقـد رجعت إلى كتـاب المسـلمين المقـدس.. الكتـاب الـذي تحتقرونه.. بل تزعمون أنه لم يأت بجديد.. فرأيت داود فيه شخصا آخر.. مختلف تماما عن داود الذي ترسـمونه في صـفحات الكتـاب المقدس..
إن داود في القــرآن الكــريم رجــل أواب رقيــق القلب عظيم الإيمان.. وسأقرأ لـك من القـرآن الكـريم مـا يـترك لعقلـك حريـة المقارنة بين هذا النبي كما سجله أنبياؤكم وكتـابكم، وكمـا هـو في كتاب ربنا.
فتح القرآن الكريم على موضع محدد، وراح يقرأ بخشـوع تهـتز له الجبال قولـه تعـالى: فَهَزَمُـوهُمْ بِـإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَـلَ دَاوُودُ جَـالُوتَ وَآتَـاهُ اللَّهُ الْمُلْـكَ وَالْحِكْمَـةَ وَعَلَّمَـهُ مِمَّا يَشَـاءُ وَلَـوْلا دَفْـعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَـدَتْ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْـلٍ عَلَى الْعَـالَمِينَ (البقرة: 251)
ثم قال: هذا أول موضـع في المصـحف ذكـر فيـه داوود.. وقـد ذكر معه هذا الوصف الطيب الملك والحكمة والعلم.. وفـوق ذلـك

الثبات.. فلم يثبت مع طالوت إلا القليل.

فتح موضعا آخر، وراح يقـرأ :﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَـدْ فَضَّـلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَـا دَاوُدَ زَبُـوراً﴾ (الاسراء:55) انظر كيف ذكر الله داود عند ذكر مـا فضـل اللـه بـه أنبياءه.

فتح موضعا آخر، وراح يقرأ :﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَـانِ فِي الْحَـرْثِ إِذْ نَفَشَـتْ فِيـهِ غَنَمُ الْقَـوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَـا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَـا حُكْمـاً وَعِلْمـاً وَسَـخَّرْنَا مَـعَ دَاوُودَ الْجِبَـالَ يُسَـبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِـنَكُمْ مِنْ بَأْسِـكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الأنبياء:78 ـ 80)

انظر الفضل العظيم الذي وهبه الله لداود وابنه سليمان.

فتح موضعا آخر، وراح يقرأ :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَـا دَاوُودَ وَسُـلَيْمَانَ عِلْمـاً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل: 15) انظر الشكر الذي امتلأ به قلب داود وابنه.

فتح موضعا آخر، وراح يقرأ :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَـدِّرْ فِي السَّـرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(سبأ:11)

انظر عناية الله بعبده وتعليمه له.

فتح موضعا آخـر، وراح يقـرأ :﴿ اصْـبِرْ عَلَى مَـا يَقُولُـونَ وَاذْكُـرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَـهُ يُسَـبِّحْنَ بِالْعَشِـيِّ وَالإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَـوَّرُوا الْمِحْـرَابَ إِذْ دَخَلُـوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْـمَانِ بَغَى بَعْضُـنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِـدَةٌ فَقَـالَ أَكْفِلْنِيهَـا وَعَـزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَـدْ ظَلَمَـكَ بِسُـؤَالِ نَعْجَتِـكَ إِلَى نِعَاجِـهِ وَإِنَّ كَثِـيراً مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْـتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَـرَّ رَاكِعـاً وَأَنَـابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ يَـا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَـاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِـلُّونَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ بِمَـا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (ص: 18 ـ 26)

انظر الإنابة والرجوع إلى الله.

كنت أعـرف مـا ذكـر المفسـرون في هـذه الآيـات، فقلت: إن القرآن يصرح بما في كتبنا.. ألم ترجع إلى كتب المفسرين؟

قال: لا.. كتب المفسرين ليست قرآنا.. كما أن شـروح الكتـاب المقدس ليست كتبا مقدسة.. ثم إن الأساطير الـتي سـربها قومنـا إلى كتب المسلمين هي التي ملأتها بذلك اللغو.. أما القرآن الكريم فهو لا يذكر إلا الكمال والجمال والطهارة.

فتلك الآيات الكريمة لم تذكر أي موقف مشين لداود، بل نـرى السياق يشير إلى هذه الحادثة باعتبارها موضـع قـدوة، ومن دلائـل تكريم الله لداود.

فالآيات التي نصت على القصة سبقت بقولـه تعـالى: اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَـالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ

وهي آيـات تـدعو إلى ذكـر داود، ومـا من اللـه بـه عليـه من ألطافه، وهي ألطاف لا يسـتحقها إلا الطـاهرون المخلصـون لا من ينسب إليهم ما ذكـره المفسـرون، وكأنـه تفسـير لمجمـل القـرآن الكريم، أو هو بالأحرى تحريف لما ورد في القرآن الكريم.

ثم نجد آيات القصة تختم بقولـه تعـالى: يَـا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَـاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَـبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِـلُّونَ عَن سَـبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ بِمَـا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ، وهو ما يدل على أن القصة لا تعدو حكما من الأحكام التي قد يكون داود أخطأ فيها، وهو خطأ من جنس أخطـاء الصديقين (وحسنات الأبرار سيئات المقربين)

ولذلك فإن تفسيرها الصحيح هـو قراءتهـا، وهي تـدل على أن داود النبي الملك، الذي كان إذا دخل المحراب للعبادة والخلـوة لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس يفاجأ بشخصين يتسـوران المحراب المغلق عليه، فيصيبه الفزع منهم، فيبادرانـه بقولهمـا: (لا تخف، خصمان بغى بعضنا على بعض)

وبدأ أحدهما فعرض شكواه التي عبر عنها بقوله: (إنّ هـذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجـة واحـدة، فقـال: اجعلهـا لي وفي ملكي وكفالتي وشدد علي في القول وأغلظ)

وبمجـرد سـماع داود لهـذه الشـكوى المـؤثرة من الـذي يبـدوا مظلوما مستضعفا، اندفع للحكم قبل سماع الخصـم، فقـال: (لقـد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيراً من الأقوياء المخالطين

بعضـهم بعضـا يبغي بعضـهم على بعض. إلا الـذين آمنـوا وعملـوا الصالحات وقليل ما هم)

وبعد انتهاء داود من عـرض الحكم، انتبـه إلى خطئـه في عـدم سماع الخصـم الثـاني، وعلم أن مـا حصـل لـه فتنة(1) ينبغي عليـه تدارك خطئه فيها بالاستغفار.

وهذه القصة بهذا العـرض القـرآني المبسـط تشـبه مـا حصـل لمحمد ﷺ من العتاب الإلهي له في شأن عبـد اللـه بن أم مكتـوم، أو العتـاب الإلهي في شـأن الأسـرى وغـيرهم، وهي مواقـف تـدل على كمال الرسل أكثر من دلالتها على نقصهم.

طرق بمطرقته عدة طرقات، ثم قـال: أتـدري لم رمى اليهـود نبي الله داود بهـذا.. القـرآن الكـريم يوضـح ذلـك.. لقـد ورد فيـه : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَـى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَـرٍ فَعَلُـوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾(المائـدة: 78 ـ 79) لقـد انتقم اليهـود من داود شر انتقام.. ثم تبعتموهم أنتم.. فـرحتم تنتقمـون من غـير أن تعرفوا لم تنتقمون.

صمت داود، ثم راح يطرق بمطرقته بقوة.. وكأنه يضرب أعناق الذين شوهوا داود، وصورة داود..

تركته في تلك الحال.. وانصرفت بحيرة جديدة.. وببصـيص من النور اهتديت به بعد ذلك إلى أشعة محمد ﷺ.

---

1) هذا ما نراه، ولا حاجة إلى اعتبار الحكمين من الملائكـة، كمـا ذهب إلى ذلـك أكـثر المفسـرين، ومنهم سـيد قطب الـذي قـال: ويبـدو أنـه عنـد هـذه المرحلـة اختفى عنـه الرجلان: فقد كانا ملكين جاءا للامتحان ! امتحان النبي الملك الذي ولاه الله أمر النـاس، ليقضي بينهم بالحق والعدل، وليتبين الحق قبل إصدار الحكم. وقد اختارا أن يعرضا عليـه القضية في صورة صارخة مثيرة. (انظر: الظلال: 3018)

بشارة سليمان

في اليوم الخامس خرجت طالبا النزهة والاستجمام، فقصـدت حديقة تضم أصنافا من الطيور والحيوانـات.. فأهـل القريـة ــ كمـا لاحظت من خلال سلوكهم ـ محبون للحيوانات محترمون لها.

في الحديقة لفت انتباهي رجـل في منتهى الهيبـة والوقـار، بـل يظهر من خلال أمور كثيرة أن له رئاسـة مـا يمارسـها، ولكنـه مـع ذلك يتجول على حيوانات الحديقة، ويتفقدها واحـدا واحـدا، وكأنهـا رعية من رعيته، يحرص عليها، ويعتني بها.

ومما زاد عجـبي من الرجـل، ومن الحديقـة، ومن أهـل القريـة أنهم جعلوا جناحا خاصا بالنمل.. وهذا ما لم أره في أي حديقـة من حدائق الدنيا.

رأيت الرجل يسير نحو هذا الجناج، وهو يحمـل معـه ألوانـا من الطعام، تتبعته، فإذا به يلقي السلام على النمل، ثم يرمي الطعـام إليهن.

احترت في سـلوكه، وفي شخصـه، وفي حقيقتـه.. وقـد كـانت هذه حبالا كثيرة دعتني إلى التعرف عليه.

اقتربت منه، وسلمت عليه، وسألته: أراك تحن على النمل.

قال: أجل.. أنا سليمان.. جعل الله سليمان بـابي إلى الهدايـة.. فأنا أسير على قدمه.

قلت: أي سليمان ذلـك الـذي كـان بابـك؟.. وكيـف تسـير على قدمه؟

قال: ألا تعرف سليمان النبي؟

قلت: بلى.. ومن لا يعرف سليمان؟

قال: فما تعرف عنه؟

قلت: أعرف عنه أشياء كثيرة لا حاجة لذكرها هنا.

قال: لا.. أنت تفر بقولك هـذا.. أنت تحمـل صـورة خاطئـة عن سليمان النبي، فلذلك تستحيي من ذكرها.

قلت: لست أدري لم تحرص على الحديث عن سليمان.. وماذا يفيدك الحديث عنه.

قال: لا تقل هذا.. لقـد رزقـني اللـه محبـة عظيمـة لسـليمان.. فلذلك ترى حياتي كلها تسير على نهجه.

قلت: لم أفهم..

قال: لقد كان سليمان نبيا ملكـا.. وأنـا بحمـد اللـه عمـدة هـذه

القرية.. وقد كان سليمان يتفقد رعيته ويحرص عليها، وها أنت تراني أتفقد رعيتي، وأحرص عليها، وأقدم الطعام لها.

ضحكت، وقلت: أأنت عمدة قرية النمل.. أم عمدة قرية البشر؟

قال: أنا عمدة القرية جميعا ببشرها ونملها وكل طيورها وحيواناتها.. وهذا اليوم مخصص لتفقد الحيوانات والاهتمام بها، أليسوا إخوانا لنا ائتمننا الله عليهم؟

قلت: وما علاقة ذلك بسليمان؟

قال: لقد آتى الله سليمان النبي حبا عظيما وتواضعا عظيما أمام كل الحيوانات.. ألم تسمع قصته مع النمل؟

قلت: وهل له قصة مع النمل؟

قال: أجل.. لقد قصها الله علينا، فقال :﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل:18 ـ 19)

ألا ترى كيف امتلأ سليمان بالتواضع لهذه النملة.

قلت: ولكني لم أر سليمان يتفقد النمل كما تتفقده.

قال: لقد أشار القرآن الكريم إلى تفقده لرعيته من الحيوانات، فقال :﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (النمل:20)، فقد شعر سليمان بغيبة الهدهد، فراح يبحث عنه.

قلت: والنمل!؟

قال: القرآن الكريم يذكر الحقائق المجملة، ويدع التفصيل للعقول.. أم أنك تريد أن تجعل من الرسالة الخاتمة قصة لسليمان وحيوانات سليمان؟

حركت رأسي بالموافقة، وقلت: أجل.. صحيح هذا.. إن حياة سليمان تستدعي أسفارا ضخمة.

قال: هذا هو سليمان في قرآننا ملك رحيم أواب امتلأ بالإيمان والرحمة، فوهبه الله من الفضل العظيم ما جعله قمة من قمم الهداية وشمسا من شموسها.. قال الله عنه :﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (النمل:16)، وقال عنه :﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ

سُـلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْـدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (صّ:30)، وقـال عنـه : فَلَمَّا جَـاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَـالٍ فَمَـا آتَـانِيَ اللَّهُ خَيْـرٌ مِمَّا آتَـاكُمْ بَـلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (النمل:36)

كان يقرأ خاشعا بصوت جميل، فقلت: لقد ذكرتني قراءتك برجل التقيت به أمس.. كان حدادا، وكان صاحب صوت جميل، وكان ذا علم بالكتاب.

ابتسم، وقال: هل التقيته؟

قلت: ما به؟.. أو من يكون الرجل؟

قال: ذلك والدي.. إنه نشيط جدا.. إنه لا يمضي دقيقة من حياته في غير العمل الصالح.. حتى إنه لا يطرق بمطرقته طرقة إلا صحبها بذكر الله وترتيل آياته.

قلت: فأنت ولد عاق إذن؟

قال: معاذ الله.. كيف يكون سليمان عاقا لداود؟

قلت: فأنت عمدة البلدة كما تذكر، فكيف تترك أباك يمارس الحدادة؟

قال: هو يحب أن يأكل من عمل يده.. هو يحب داود.. وقد كان داود يعمل بيبده مع أنه كان ملكا.. إن العمل باليد شرف للمؤمن لا إهانة له.

ومع ذلك.. فقد سبقني إلى حكم هذه القرية.. بل سلم حكمها لي برضا أهل القرية زاعما أن لدي من القدرات التنظيمية ما ليس له.

صمت، فقال: وماذا تحمل أنت عن سليمان؟

لم أدر ما أقول، فقال:أنت تحمل صورة مشوهة عن سليمان.. وأنت معذور في ذلك.. فالكتاب المقدس الذي شوه بتحريف صورة النبيين هو الذي حملك على ذلك.

قلت: كف عن هذا.. أتسخر من كتابي؟

قال: معاذ الله أن أسخر من شيء.. ولكن أجبني: ألست وقومك تعتقدون أن سليمان ارتد في آخر عمره.. وهو الوقت الذي تتوجه فيه القلوب إلى الله.. مع أن جزاء المرتد في الشريعة الموسوية هو الرجم حتى لو كان المرتد نبيا ذا معجزات كما مصرح بذلك الباب الثالث عشر، والسابع عشر من سفر الاستثناء، بل لا يعلم من موضع من مواضع التوراة، أنه يقبل توبة المرتد، ولو كان توبة المرتد مقبولة، لما أمر موسى بقتل عبدة العجل، حتى قتل ثلاثة وعشرين ألف رجل على خطأ عبادته.

قلت: صدقت في هذا..

قال: ليس ذلك فقط.. بل أنتم تعتقدون أنه بنى المعابد العالية للأصنام في الجبل قدام أورشليم، وهذه المعابد كانت باقية مئتي سنة حتى نجسها، وكسر الأصنام يوسنا بن آمون ملك يهوذا في عهده، بعد موت سليمان بأزيد من ثلثمائة وثلاثين سنة.. لا يمكنك أن تخالفني في ذلك، فقد جاء ذلك صريحا في الباب الثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني.

قلت: صدقت في هذا..

قال: ليس ذلك فقط.. بل أنتم تعتقدو أنه تزوج نساء من سائر الشعوب، التي منع الله من الزواج منهن، كما في الباب السابع من الاستثناء: (ولا تجعل معهم زيجة فلا تعط ابنتك لابنه، ولا تتخذ ابنته لابنك)

قلت: صدقت في هذا..

قال: ليس ذلك فقط.. بل انتم تعتقدون أنه تزوج ألف امرأة، وقد كانت كثرة الأزواج محرمة على من يكون سلطان بني إسرائيل في الآية السابعة عشر من الباب السابع عشر من سفر الاستثناء: (ولا تكثر نساؤه لئلا يخدعن نفسه)

قلت: صدقت في هذا..

قال: ليس ذلك فقط.. بل أنتم تعتقدون أن نساءه كن يبخرن ويذبحن للأوثان، مع أنه ورد في الباب الثاني والعشرين من سفر الخروج: (من يذبح للأوثان فليقتل)، فكان قتلهن واجباً.

بل أنتم تعتقدون أن هؤلاء النسوة أغوين قلبه، فكان رجمهن واجباً على ما هو مصرح به في الباب الثالث عشر من سفر الاستثناء، وهو ما أجرى عليهم الحدود إلى آخر حياته.

قلت: صدقت في كل هذا.. ولكن الله تواب رحيم.

قال: كل هذه كبائر لابد لها من توبة.. فهل ثبتت توبة سليمان في كتبكم؟

صمت، فقال: لقد قرأت الكتاب المقدس مرات لا تحصى.. ولم أظفر بشيء.. بل لو تاب لهدم المعابد التي بناها، وكسر الأصنام التي وضعها في تلك المعابد، ورجم تلك النساء المغويات.. على أن توبته ما كانت نافعة لأن حكم المرتد في التوراة ليس إلا الرجم.

صمت، فقال: أتفرس فيك أنك رجل دين.

قلت: لا حاجة للتفرس، فثيابي تدل علي، وتنم عني.

قال: أخرج كتابا مقدسا من جيبه، وقال: اقرأ ما ورد في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول.

فتحت الكتاب، فقرأت: (وكان سليمان الملك قد أحب نساء كثيرة غريبة، وابنة فرعون، ونساء من بنات الموابيين، ومن بنات عمون، ومن بنات أدوم، ومن بنات الصيدانيين، ومن بنات الحيثانيين من الشعوب الذين قال الرب لبني إسرائيل لا تدخلوا إليهم، ولا يدخلوا إليكم لئلا يميلوا قلوبكم إلى آلهتكم، وهؤلاء التصق بهم سليمان بحب شديد وصار له سبعمائة امرأة حرة، وثلثمائة سرية، وأغوت نساءه قلبه فلما كان عند كبر سليمان أغوت نساءه إلى آلهة أخر، ولم يكن قلبه سليماً للّه ربه مثل قلب داود أبيه وتبع سليمان عستروت إله الصيدانيين وملكوم صنم بني عمون وارتكب سليمان القبح أمام الرب ولم يتم أن يتبع الرب مثل داود أبيه ثم نصب سليمان نصبة لكاموش صنم مواب في الجبل الذي قدام أورشليم، ولملكوم وثن بني عمون وكذلك صنع لجميع نسائه الغرباء، وهن يبخرن، ويذبحن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان حيث مال قلبه عن الرب إله إسرائيل الذي ظهر له مرتين ونهاه عن هذا الكلام أن لا يتبع آلهة الغرباء، ولم يحفظ ما أمره به الرب فقال الرب لسليمان: إنك فعلت هذا الفعل، ولم تحفظ عهدي ووصاياي التي أمرتك بهن، أشق شقاً ملكك، وأصيره إلى عبدك(سفر الملوك الأول :11/ 1 ـ 11)

بعد أن أنهيت القراءة، قال: كل ما قرأته كذب وتخليط على نبي عظيم.. ولن تجد تبرئة لهذا النبي إلا في القرآن الكريم، فالله تعالى يقول عنه :﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ (البقرة: 102)، ويقول عنه :﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (صّ:34 ـ 35)

قرأ هذا، ثم جلس يتأمل النمل، ويرمي الطعام إليهن.

جلست لجلوسه، وقلت: لقد ذكرت لي أن سليمان هو بابك إلى الهداية.

قال: أجل.. لقد كنت على دينك.. لقد كنت مسيحيا، كما كان أبي..أما أبي، فقد استنار بشعاع داود ليصل إلى شمس محمد.. وأما أنا، فاستنرت بشعاع سليمان لأصل إلى تلك الشمس العظيمة التي استنارت بها الكائنات.

قلت: وبأي أشعة سليمان استنرت؟

قال: بأشعة كثيرة.. منها ما ورد في المزامير من قوله: (ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض، أمامه تجثو أهل البرية، وأعداؤه يلحسون التراب، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة، ملوك شبا وسبإ يقدمون هدية، ويسجد له كل الملوك، كل الأمم تتعبد له، لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له، يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقراء، من الظلم والخطف يفدي أنفسهم، ويكرم دمهم في عينيه، ويعيش ويعطيه من ذهب شبا، ويصلّي لأجله دائماً، اليوم كله يباركه، تكون حفنة بر في الأرض في رؤوس الجبال، تتمايل مثل لبنان ثمرتها ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض يكون اسمه إلى الدهر، قدام الشمس يمتد اسمه، ويتباركون به، كل أمم الأرض يطوّبونه، مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده، ومبارك اسم مجده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده، آمين ثم آمين)(المزمور 72/8-19)

قلت: هذه النبوءة تتحدث عن المسيح..

قال: وما دليلك على ذلك.. لقد قال قرآننا :﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111)

قلت: دليل واضح لا يمكن الشك في قوته.. لقد ورد في النبوءة: (ملوك يقدمون هدية له).. وهذا لا يصدق إلا على المسيح.

قال: لقد زعمتم أن الملوك صلبوه.. فكيف ترون أنهم قدموا له هدية، أم أن الصليب هو هديتهم له؟

قلت: إن هذه النبوءة تتحدث عن أولئك المجوس الذين قدموا هدية للمسيح بعد مولده.

قال: وهل كانوا ملوكا؟

صمت، فقال: أنتم تتعلقون بقشة.. إن هذه البشارة ينطق كل حرف منها بمحمد.. بل هي تكاد تصرح باسمه.

قلت: لا أرى اسمه في البشارة.

قال: وهل رأيت اسم المسيح حين حملت البشارة عليه؟

صمت، فقال: إن كنت تبحث عن الحقيقة.. فهلم نبحث عنها، ونقارن مدى انطباق كل عبارة من عبارات البشارة على محمد أو المسيح.

لقد كان لكلامه حلاوة تأسر القلوب، فلذلك لم أملك إلا أن أقبل العرض الذي عرضه علي.

العالمية:

قال: فلنبدأ بما ورد في البشارة من قوله:(ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض، أمامه تجثو أهل البرية).. ألا ترى أن هذه البشارة تتعلق بنبي صاحب رسالة عالمية؟

قلت: أجل.. وقد كان المسيح كذلك.. ألا ترى المسيحية تعم بقاع الأرض؟

قال: دعنا من الواقع.. ولنذهب إلى الكتاب المقدس ليخبرنا بالحقيقة..

قلت: أي حقيقة؟

قال: حقيقة المسيحية.. هل هي ديانة عالمية، أم هي ديانة مختصة بشعب إسرائيل؟

قلت: ما تقصد؟

قال: أنت تفهم قصدي.. أجبني: هل أرسل المسيح للناس كافة، أم أرسل لبني إسرائيل خاصة؟

لم أجد ما أقول، فقد كانت النصوص الكثيرة في الكتاب المقدس تؤيد الرجل فيما يذهب إليه، لكني قلت: المسيح هو شمس الحقيقة التي تضيء العالم أجمع..

قال: أنت تفر من الحقائق إلى الأشعار.. ولذلك سأنوب عنك في الإجابة.

لقد بحثت في الأناجيل التي هي المصدر الأول للتعرف على دعوة المسيح، فدلتني على أن دعوة المسيح قاصرة على شعب اليهود فقط، بل إن البشارة بمجيئة قبل مولده تشير إلى أن رعايته ستكون لشعب اليهود فقط.. أليس ذلك صحيحا، أم تراني وصلت إلى نتائج خاطئة؟

لم أجد ما أقول، فقال: لك الحق.. هذا كلام مجمل.. ولا ينبغي الاكتفاء بالمجمل.. أنت تبحث عن التفاصيل.

لقد بدأت بحثي بإنجيل متى، وكان أول ما رأيت فيه ما حكاه متى عن الله من قوله:(وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل)(متى:2 : 6)

أليس في قوله:(يرعى شعبي إسرائيل) إشارة واضحة على أن دعوة المسيح ستكون لشعب اليهود فقط؟

قلت: ليس بالضرورة.. فدخول شعب إسرائيل في دعوة المسيح لا يلغي دخول غيرهم.

قـال: ولكن النصـوص تخصـص شـعب إسـرائيل فقـط بـدعوة المسـيح.. وقـد كـان في إمكانهـا أن تقـول: (يخلص الإنسـان) أو (يخلص العالمين) لتشمل إسرائيل وغيرهم من الشعوب.

لا بأس.. لقد جاءت نصوص أخرى أكثر صراحة:

لما جاء الملاك إلي مريم العذراء، وبشرها بولادة يسوع أخبرها بأنه يكون على بيت يعقوب، كمـا في لوقـا: (فقـال لهـا الملاك : لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عنـد اللـه، وهـا أنت سـتحبلين أبناً وتسمينه يسوع.. ويعطيه الـرب كرسـي داود أبيـه ويملـك على بيت يعقوب إلى الأبد)(لوقا 1 : 30)

ولما جاء الملاك الذي ظهر ليوسف النجار، قال له: (فَسَتَلِدُ ابْناً، وَأَنْتَ تُسَمِّيهِ يَسُوعَ، لأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ)(إنجيـل متى:1 : 21)

إن قول الملاك: (يخلص شـعبه) دليـل على أن دعـوة المسـيح خاصة ببني إسرائيل.

ولما اختار المسيح اثنى عشر تلميذاً ليكونوا تلاميذه ومساعديه في نشر دعوته كان اختياره لهم من بين اليهود أنفسهم، وأخـبرهم أن دينونتهم خاصة بشعب إسرائيل، كما جاء في إنجيـل مـتى أثنـاء نقله للمحاورة بين المسيح وبين أحد تلاميـذه، وهـو بطـرس، فقـد جاء فيها: (فأجاب بطرس حيئذ، وقال لـه: هـا نحن قـد تركنـا كـل شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا؟ فقال يسوع: الحق أقول لكم، إنكم أنتم الذين تبعتمـوني فـي التجديـد، مـتى جلس ابن الانسـان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشـر كرسـياً تـدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر)(متى 19 : 27)

فالمسيح يخبرهم أنهم يدينون أسباط إسرائيل فقط، ولم يذكر لهم أنهم يدينون شعوب العـالم، وفي هـذا إشـارة إلى أن رسـالته وهم من بعـده قاصـرة على شـعب اليهوديـة المتفـرع من أسـباط الاثنى عشر.

وعندما رفضت أورشليم رسـالة المسـيح ناجاهـا بكلام يسـتفاد منه أن رسالته خاصة بشعب اليهود فقط، فقد قال:(يا أورشليم يـا أورشليم.. يا قاتلة الأنبياء وراجمـة المرسـلين إليهـا كم مـرة أردت أن أجمـع أولادك كمـا تجمـع الدجاجـة فراخهـا تحت جناحيهـا ولم تريدوا)(متى 37 : 23)

قلت: كل مـا ذكرتـه يـدل على أن المسـيح أرسـل إلى شـعب إسرائيل.. ولكن ليس هناك نص ينفي إرساله إلى غيرهم.

قال: لا.. هناك نصوص كثيرة تكاد تصرح بذلك.. إن المسيح عندما أرسل تلاميذه لينشروا دعوته بين اليهود كرر لهم الوصية في أن يقصروا الدعوة على اليهود، بل إنه حذرهم من دخول مدن الأمم الأخرى، ولو كانوا جيراناً لليهود، وقد ذكر إنجيل متى (10 : 5) ذلك، فقال: (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)

ليس ذلك فقط.. بل إن المسيح لما بدأ الدعوة إلى الله أعلن أنها قاصرة على بني إسرائيل، ولا تمتد إلى غيرهم، لذلك تجده يقول في متى (15 ـ 24):(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)

ألا ترى أن (إلا) أداة للحصر، وهي تدل على انحصار رسالة المسيح ضمن الشعب الاسرائيلي؟

قلت: ولكن.. ألم تقرأ ما ورد في إنجيل (متى: 38):(اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم)

قال: إن هذا النص معارض بكل النصوص التي سبق ذكرها.. ولهذا ذهب المحققون إلى أن هذه العبارة إلحاقية بإنجيل متى، لأنها لم تذكر في بقية الأناجيل.

ألا ترى من الغرابة أن يختص متى بهذه الرواية دون غيره؟

لقد اتفقت الاناجيل الثلاثة على إيراد قصة دخول المسيح أورشليم راكباً على جحش، فهل كان ركوبه على جحش أهم من عالمية الرسالة!؟

بل إن الكثير من النصوص في إنجيل متى يشير إلى أن رسالة المسيح مختصة بإسرائيل، فقد ورد في إنجيل متى (2 ـ 1):(وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ ؟))

وينقل متى أن التهمة التي وجهت للمسيح هي أنه ملك اليهود: (فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي، فَسَأَلَهُ الْوَالِي: (أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟) فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: (أَنْتَ تَقُولُ) (متى 27: 11)

قلت: فقد ورد في إنجيل يوحنا ما يدل على عموم تخليصه، ألم تقرأ: (ولي خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة، وينبغي أن آتي بتلك)(يوحنا: 16:10).. وجاء في نفس الإنجيل (32:12): (وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع)

قال: من قصد بالخراف الذين من الحظائر الأخرى؟
قلت: قصد بهم كل من يؤمن به من جميع الأمم؟
قال: لا.. إن مقصد المسيح واضح.. إنه يقصد ما ورد في إنجيل متى (24:15):(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)
قلت: ولكن خراف إسرائيل من حضيرته.
قال: لا.. لقد كان كل سبط من إسرائيل يشكل حضيرة خاصة.. فلهذا كان قصده من سائر الحظائر، أي الأسباط الإحدى عشر الأخرى.
قلت: وما تقول فيما جاء في نفس الإنجيل (32:12): (وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع)
قال: هل سيجذب المسيح إليه جميع الناس من آمن به ومن لم يؤمن؟
قلت:لا.
قال: إذن من قصد المسيح بالجميع ؟
قلت: أي أن جميع الأمم ستتبعه.
قال: لا.. هذا النص يفهم على ضوء النصوص السابقة.. لأن كلام المسيح جميعا يتعلق ببني إسرائيل.. فلا يخرج كلامه عن أصله إلا بدليل قوي صريح.
صمت قليلا، ثم أضاف: فنبوءة سليمان لا تنطبق في هذا الجانب على المسيح.
قلت: فهل تنطبق على محمد؟
قال: أجل.. بل إنها لا تنطبق إلا عليه، فنصوص كتابه المقدس، وحياته، وأقواله كلها تدل على أن نبوته عامة للعالمين.
إن رسالة محمد تخاطب كل الأمم، وكل الأجناس، وكل الشعوب، وكل الطبقات.. هي ليست خاصة بشعب إسرائيل الذي راح يزعم الخيرة لنفسه، ويرمي سائر الخلق في أتون الرذالة.
إن القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة رادا بها على اليهود والنصارى، فيقول: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (المائدة:18)
قلت: ربما قال اليهود هذا.. أما نحن فلا نقوله.
قال: ألستم تحملون عنصرية بغيضة تجاه الأجناس الأخرى؟
قلت: لا..

قال: فبماذا تفسر ما ورد في الإنجيل من أن امرأة مؤمنة من كنعان(1)، وهم سكان فلسطين قبل مجيء بني إسرائيل، جاءت المسيح، وأنها ظلّت تتوسل إليه، ولكنه لم يُلبّ طلبها إلا بعد أن أهدرت كرامتها، وقورنت بالكلاب، ورضيت.

أأترك لك قراءة النص.. أم أقرؤه أنا؟

صمت، فقال: لا بأس.. سأقرأه أنا لأنال أجر قراءته.. لقد جاء في إنجيل متى، وهو الإنجيل الذين تستندون إليه في نسبة العالمية للمسيحية:(ثم غادر يسوع تلك المنطقة، وذهب إلى نواحي صور وصيدا، فإذا امرأة كنعانية من تلك النواحي، قد تقدمت إليه صارخة: (ارحمني ياسيد، ياابن داود! ابنتي معذبة جدا، يسكنها شيطان) لكنه لم يجبها بكلمة، فجاء تلاميذه يلحون عليه قائلين: (اقض لها حاجتها. فهي تصرخ في إثرنا!)، فأجاب: (ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل!)، ولكن المرأة اقتربت إليه، وسجدت له، وقالت: (أعني ياسيد!)، فأجاب: (ليس من الصواب أن يؤخذ خبز البنين ويطرح لجراء الكلاب!)، فقالت: (صحيح ياسيد؛ ولكن جراء الكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد أصحابها!)(متى 15: 23 ـ 27)

قال: ولكن المسيح أجاب المرأة.. فقد ورد في (متى: 28): (فأجابها يسوع:(أيتها المرأة، عظيم إيمانك! فليكن لك ما تطلبين!) فشفيت ابنتها من تلك الساعة)

قلت: أرأيت لو أن شخصا لم يلب طلبك البسيط بالنسبة له إلا بعد أن أهان كرامتك، واحتقرك، بل سماك كلبا، ثم لم يلبه إلا بعد إلحاح شديد، بل بعد سجودك له.. أتعتبر مثل هذا إنسانا محترما لا يحمل أي عنصرية.

سكت، فقال: ومع ذلك أنتم تسمونه إلها.. هل الإله هو الذي يفضل شعبا على شعب.. وأمة على أمة؟

سكت، فقال: إننا نجد هذه العنصرية المقيتة تفوح من آيات الكتاب المقدس، ألم تقرأ ما جاء في إنجيل يوحنا: (ورأى يسوع نثنائيل قادما نحوه فقال عنه: (هذا إسرائيلي أصيل لا شك فيه!) (يوحنا:ا/47)

لست أدري كيف تذكرت قائد المئة الرومي والذي جاء المسيح إليه بدلا من أن يذهب هو بنفسه إلى المسيح، فقلت: ولكن.. ألم

---

1) وفي رواية مخالفة،أن المؤمنة من اليونان من أصل سوري فنيقي (فنيقيا هي لبنان أو ساحل سوريه)

تقرأ ما ورد في (لوقا 7:ـ 1 ـ 10):(وبعـدما أتم إلقـاء أقوالـه كلهـا في مسامع الشعب، دخل بلدة كفرناحوم. وكان عند قائد مئة عبـد مريض قـد أشـرف على المـوت، وكـان عزيـزا عليـه. فلمـا سـمع بيسوع، أرسل إليه شيوخ اليهود، متوسلا إليه أن يأتي وينقذ عبــده. ولما أدركوا يسوع، طلبوا إليه بإلحاح قائلين: (إنه يستحق أن تمنحه طلبه، فهو يحب أمتنا، وقد بنى لنا المجمع). فرافقهم يسوع. ولكن ما إن أصبح على مقربة من الـبيت، حـتى أرسـل إليـه قائـد المئـة بعض أصدقائه، يقول له: (ياسيد، لا تكلف نفسـك، لأني لا أسـتحق أن تدخل تحت سقف بيتي. ولذلك لا أعتبر نفسي أهلا لأن ألاقيـك. إنما قـل كلمـة، فيشـفى خـادمي: فأنـا أيضـا رجـل موضـوع تحت سلطة أعلى مني، ولي جنود تحت إمـرتي، أقـول لأحـدهم: اذهب! فيذهب؛ ولغيره: تعال! فيأتي؛ ولعبدي: افعـل هـذا! فيفعـل). فلمـا سمع يسـوع ذلـك، تعجب منـه، ثم التفت إلى الجمـع الـذي يتبعـه، وقال: (أقول لكم: لم أجد حتى في إسرائيل إيمانـا عظيمـا كهـذا!) ولما رجع المرسلون إلى البيت، وجدوا العبد المريض قد تعافى)

قال: بلى.. قرأت ذلك.

قلت: فهل ترى في هذا أي مظهر من مظاهر العنصرية؟

قال: فرق كبير بين المرأة الكنعانية البسيطة، وهذا القائـد.. إن كتبة الإنجيل رغم رفضهم لضعفاء الأمم حـتى وإن آمنـوا،لا نجـدهم يحتقرون أولي النفوذ والقوة، كملـة اليهـود من قبلهم الـذين كـانوا على مدى تاريخهم ترتعد فرائصـهم من أولي البـأس والسـلطان.. حتى إنهم ينافقونهم، ويخدمونهم، ويسجدون لهم.

ألم تقرأ ما قاله بولس، وهو ينافق السلطة الوثنيـة الغالبـة في عصره:(على كل نفس أن تخضع للسلطات الحاكمة. فلا سلطة إلا من عند الله، والسلطات القائمة مرتبة من قبل الله. حـتى إن من يقاوم السلطة، يقاوم ترتيب الله، والمقـاومون سـيجلبون العقـاب على أنفسـهم. فـإن الحكـام لا يخـافهم من يفعـل الصـلاح بـل من يفعل الشر. أفترغب إذن في أن تكـون غـير خـائف من السـلطة؟ اعمل ما هو صالح، فتكون ممـدوحا عنـدها، لأنهـا خادمـة اللـه لـك لأجل الخير. أما إن كنت تعمل الشر فخف، لأن السـلطة لا تحمـل السيف عبثا، إذ إنها خادمة الله، وهي التي تنتقم لغضبه ممن يفعل الشر. ولذلك، فمن الضروري أن تخضعوا، لا اتقـاء للغضـب فقـط، بل مراعاة للضمير أيضا. فلهذا السبب تدفعون الضرائب أيضا، لأن رجال السلطة هم خـدام للـه يواظبـون على هـذا العمـل بعينـه. 7

فأدوا لكل واحد حقه: الضريبة لصاحب الضـريبة والجزيـة لصـاحب الجزية، والاحـترام لصـاحب الاحـترام، والإكـرام لصـاحب الإكـرام) (روميه 13/1 ـ 7)

ومن قبلـه قـال المسـيح كمـا في (مـتى 22/21):(أعطـوا مـا للقيصر للقيصر، وما لله لله)

وليس هذا المقت والاحتقار للشعوب المستضعفة جديـدا.. بـل هو قديم قدم الكتاب المقدس:

ألستم تقرأون في (المزامير: 82/6ـ7):(أنـا قلت: (إنكم آلهـة، وجميعكم بنو العلي. لكنكم ستموتون كالبشر)؟

ألســتم تقــرأون في (التكــوين: 9/ـ 25 ـ 26): (ليكن كنعــان ملعونا، وليكن عبد العبيد لإخوته)، ثم قال: (تبـارك اللـه إلـه سـام. وليكن كنعان عبدا له، ليوسع الله ليـافث فيسـكن في خيـام سـام. وليكن كنعان عبدا له)، رغم أن الذي شاهد عورة أبيه هو حام والـد كنعان؟

ألستم تقرأون في (تكوين 21/ـ 10)(فقالت لإبر اهيم: (اطـرد هذه الجارية وابنها، فإن ابن الجارية لن يرث مع ابني إسحق)، فقد جعل اليهود إسماعيل عم إسرائيل ابن جارية، وجعلـوا إسـحاق أبـا إسرائيل ابن حرة، وجعلوه هو ابن أبيه الوحيـد، متجـاهلين أسـبقية من جعلوه ابن الأمة؟

ألسـتم تقـرأون في (صـموئيل: 1/ـ 43): (فقـال الفلسـطيني لداود: (ألعلي كلب حتى تأتي لمحاربتي بعصي؟)؟

ألستم تقرأون في (مزامـير: 60/8):(مـوآب مرحضـتي، وعلى أدوم ألقي حذائي)؟

ألســتم تقــرأون في (تثنيــة 20/ـ 10ـ 15): (وحين تتقــدمون لمحاربــة مدينــة فادعوهــا للصــلح أولا. فــإن أجــابتكم إلى الصــلح واستسلمت لكم، فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيـدا لكم. وإن أبت الصلح وحـاربتكم فحاصـروها فـإذا أسـقطها الـرب إلهكم في أيديكم، فاقتلوا جميع ذكورها بحد السـيف. وأمـا النسـاء والأطفـال والبهـائم، وكـل مـا في المدينـة من أسـلاب، فاغنموهـا لأنفسـكم، وتمتعوا بغنائم أعدائكم التي وهبها الرب إلهكم لكم. هكـذا تفعلـون بكل المدن النائية عنكم التي ليست من مدن الأمم القاطنة هنا) ؟

ألستم تقرأون في (صموئيل 1/ 15 ـ 3):(فاذهب الآن وهاجم عمـاليق.. لا تعـف عن أحـد منهم بـل اقتلهم جميعـا رجـالا ونسـاء، وأطفالا ورضعا)؟

ألستم تقرأون في (إشعياء 61/ 5 ـ 6):(ويقـوم الغربـاء على رعاية قطعانكم، وأبناء الأجـانب يكونـون لكم حراثـا وكـرامين. أمـا أنتم فتــدعون كهنــة الــرب،.. فتــأكلون ثــروة الأمم وتتعظمــون بغناهم)؟

ألستم تقرأون سفر يشـوع.. ذلـك السـفر الـذي يفـوح بـروائح العنصرية التي لا تقل عن عنصرية هتلر.. بـل تزيـد عليهـا.. سـأقرأ لك شيئا أبتغي بذلك الأجر.. أليست قراءة الكتب المقدسـة تقربنـا إلى الله وإلى المسيح !؟

بدأ يقرأ: (ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشـيوخ حـتى البقـر والغنم والحمـير. ثم أحرق الإسـرائيليون المدينـة بالنـار بكـل مـا فيهـا واسـتحيا يشـوع راحاب الزانية)(يشوع 6/ 21)

وورد فيه: (رجع المحاربون الإسرائيليون إلى عـاي وقتلـوا كـل من فيها. 25فكان جميع من قتل في ذلك اليوم من رجـال ونسـاء اثني عشر ألفا، وهم جميع أهل عـاي. 26.. حـتى تم القضـاء على جميع أهل عاي) (يشوع 8/ 24)

أأزيدك أم تكتفي بهذا؟

سكت، فقال: كيف تقارن هذا بما ورد في القـرآن الكـريم عن رسالة محمد ﷺ وأنها رحمة للعالمين، قال تعالى:﴿ وَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَـةً لِلْعَـالَمِينَ﴾ (الانبيـاء:107).. إن هـذه الآيـة صـريحة في التوجه العالمي لرسالة محمد ﷺ.

فليس في كـل النصـوص المقدسـة الإسـلامية: (إنمـا أرسـلت لخراف إسماعيل الضالة).. بـل إن فيهـا :﴿ قُـلْ يَـا أَيُّهَـا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَـآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُـولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُـؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (لأعراف:158)

وفيها:﴿ تَبَـارَكَ الَّذِي نَـزَّلَ الْفُرْقَـانَ عَلَى عَبْـدِهِ لِيَكُـونَ لِلْعَـالَمِينَ نَذِيراً﴾ (الفرقان:1)

وفيها :﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 90)

وفيها :﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (صّ:87)

وفيها :﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (القلم:52)

ولهذا أثنى الله على أمة الإسلام في كتابه حين خاطبها فقـال : ﴿ كُنْتُمْ خَيْـرَ أُمَّةٍ أُخْـرِجَتْ لِلنَّاسِ تَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (آل عمران: 110)
فالله برحمته أخرج هذه الأمة إلى الناس، وتولى رعايتها، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بعد أن رغب بنو إسرائيل عن تولي هذه المهمة.

النصرة:

ثم التفت إلي، وقال: أرى أن الجزء الأول من البشارة ينطبق انطباقا تاما على محمد ﷺ، فهلم بنا إلى الجزء الثاني.

لم أدر إلا وأنا أردد من غير شعور: (وأعداؤه يلحسون التراب، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة، ملوك شبا وسبإ يقدمون هدية، ويسجد له كل الملوك، كل الأمم تتعبد له)

قال: أنتم تستدلون بهذا الجزء على جعل النبوءة في المسيح.

قلت: أجل.. فقد ورد في الكتاب المقدس ذكر سجود المجوس له، كما في (متى: 2:ـ 1 ـ 2):(وبعدما ولد يسوع في بيت لحم الواقعة في منطقة اليهودية على عهد الملك هيرودس، جاء إلى أورشليم بعض المجوس القادمين من الشرق، يسألون: (أين هو المولود ملك اليهود؟ فقد رأينا نجمه طالعا في الشرق، فجئنا لنسجد له)

وفي (متى: 2:ـ 11 ـ 12):(ودخلوا البيت فوجدوا الصبي مع أمه مريم. فجثوا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا، ذهبا وبخورا ومرا. ثم أوحي إليهم في حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس، فانصرفوا إلى بلادهم في طريق أخرى)

قال: ألا ترى أن هذا هو التكريم الوحيد الذي حصل للمسيح في حياته؟

صمت، فقال: من قال لك بأن هؤلاء المجوس أعداء له.. لقد نصت البشارة على أن أعداء هذا الموعود يلحسون التراب.

قلت: أجل..

قال: فهل تحقق هذا في المسيح؟

صمت، فقال: لم يتحقق.. إن المسيح ـ بحسب الإنجيل ــ نال الكثير من الهوان، بل إن أعداءه تسلطوا عليه، فصلبوه.

لست أدري كيف قلت من غير أن أشعر: أنا مقر بأن هذه البشارة لم تتحقق في المسيح.. فهل تحققت في محمد؟

انتفض قائلا: هل ترى الشمس؟

قلت: وكيف لا أراها؟

قال: فهل يمكن أن يجادل أحد في الشمس؟

قلت: لا.. إلا إذا كان مغرما بالمخالفة، مشتهيا للجدل.

قال: فكذلك ما أمد الله به نبيه من نصر ومنعة وحماية رغم كل المخاطر التي حاقت به..

لقد كان أعداء محمد ﷺ من الكثرة والقوة ما لا يقارن به أعداء المسيح، ومع ذلك نصر الله نبيه إلى أن أكمل دعوته، ونزل عليه ما ثبت كمالها.

بل إن هذه الانتصارات جاءت كنبوءات غيبية امتلأ بها القرآن الكريم، وكأنه يتحدى كل القوى التي واجهت محمدا ﷺ من أن تفعل شيئا في مواجهته:

فالله تعالى يقول لرسوله وللمؤمنين: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (النور:55)

فقد وعد الله المؤمنين في هذه الآية بجعل الخلفاء منهم وتمكين الدين المرضي لهم، وتبديل خوفهم بالأمن، فوفى وعده في مدة قليلة.. بل إنه في حياة الرسول ﷺ استطاع المسلمون أن يفتحوا مكة، وخيبر والبحرين، ومملكة اليمن، وأكثر ديار العرب.

بل إن الله تعالى أخبر بأن هذا الدين سيظهر على الدين كله، قال تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (التوبة:33)

وبشره بأنه سيأتي اليوم الذي يدخل الناس فيه دين الله أفواجا، فقال : إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً (النصر: 1 ـ 3)

بل إن القرآن الكريم يتحدى الأعداء بالغلبة، فيقول : قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ (آل عمران:12 ـ 13)

أخبرني يا صاحبي.. هل ترى في كتابكم المقدس أي وعد بمثل هذا النصر؟

قلت: ولكن المسيحية انتصرت، وخضع الرومان.. وانتشرت

في العالم، وهي الآن من أكثر الديانات في العالم انتشارا.

قال: نعم هي انتشرت.. ولكنها لم تنتشر بالطريقة التي انتشر بها الإسلام.. لقد كانت بين أمرين: المحافظة على صفائها الذي جاء به المسيح، أو تحولها إلى مزيج من الديانات لترضي أذواق الرومان والشعوب التي دخلت فيها.. ولكنها للأسف اختارت الثاني.. فحصل لها ما حصل من التحريف.

ومع ذلك.. فالبشارة التي جاء بها سليمان لا ترتبط بهذا، لقد أخبرت بأن الله سيكفي هذا المبشر أعداءه، وسينصره عليهم.. فهل حصل للمسيح؟

قلت: حصل في عالم الروح..

قال: لا.. البشارة تشمل الروح والجسد.

قلت: أنت تعرف بأن المسيح أوذي كثيرا.

قال: أنا أعرف ذلك.. وأعرف أن كثيرا من الأنبياء قتلوا في ذات الله، وهذا شرف لهم.. ولكني أبحث عن سر النبوءة.. النبوءة لغز يحتاج إلى عقل يفكك مفرداته وتراكيبه ليعرف المراد منه.. ولا علاقة لها بكمال التصرف أو نقصانه.. فنحن لا ننقص من قدر المسيح إن قلنا: إن النبوءة لا تنطبق عليه.. كما لا ننقص من قدر محمد إن قلنا بأن الكثير من النبوءات لا ينطبق عليه، وإنما ينطبق على المسيح أو غير المسيح.

قلت: فهل حصل لمحمد هذه الكفاية التي ذكرتها؟

قال: نعم.. حصلت له في حياته، وبعد مماته(1).. واسمح لي أن أسوق لك من النصوص ما يثبت ذلك.. وكلها تحقيق لنبوءة قرآنية تقول :﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر:95)، وتحقيق لنبوءة أخرى تقول :﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:67).. فهل أنت مستعد لسماعي.

قلت: لا بأس.. تكلم بما شئت.

قال: أما في حياته ﷺ فقد رويت الأخبار الكثيرة ــ التي يفيد في مجموعها التواتر ـ عن عناية الله بنبيه وحفظه له وانتقامه من أعدائه:

ومن ذلك أن أبا لهب وابنه عتبة تجهزا إلى الشام، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد، ولأوذيّنه في ربه، فانطلق حتى

---

1) انظر الأدلة الكثيرة المثبتة لهذا في رسالة (معجزات حسية) من هذه السلسلة، وسنكتفي هنا ببعض النماذج من باب الضرورة الفنية.

أتى النبي ﷺ فنفذ وعيده، فقال النبي ﷺ:(اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك)

ثم انصرف عنه، فرجع إلى أبيه، فقال: يا بني ما قلت له؟ فذكر له ما قاله، فقال: فما قال لك؟ قال: قال:(اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك) قال: يا بني، والله ما آمن عليك دعاءه!

فساروا حتى نزلوا بالشراة، وهي أرضٌ كثيرة الأسد، فقال أبو لهب: إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي، وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة، والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابني عليها، ثم افرشوا حولها، ففعلنا، فجاء الأسد فشمَّ وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبة، فإذا هو فوق المتاع فشمَّ وجهه، ثم هزمه هزمة ففسخ رأسه!! فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا يتفلت من دعوة محمد.

والله يكفي نبيه كيف شاء، وبما شاء:

فقد يقذف الله الخوف في قلب من يتعرض له بالأذى ليحول ذلك بينه وبين ما أراد، وقد روي من ذلك أن غورث بن الحرث قال: لأقتلن محمدًا، فقال له أصحابه: كيف تقتله؟ قال: أقول له أعطني سيفك، فإذا أعطانيه قتلته به. فأتاه فقال: يا محمد أعطني سيفك أشمّه، فأعطاه إياه فرعدت يده، فسقط السيف، فقال رسول الله ﷺ:(حال الله بينك وبين ما تريد)

ومن ذلك ما يروى أن أبا جهل قال لقومه: (واللات والعزى لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب)، فأتى رسول الله ﷺ، وهو يصلي ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل: مالك؟ فقال: (إن بيني وبينه خندقًا من نار وهولاً وأجنحة)، فقال رسول الله ﷺ: (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا)

ويروي ابن عباس أن رجالاً من قريش اجتمعوا في الحجر، ثم تعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف أن لو قد رأوا محمدًا لقد قمنا إليه مقام رجل واحد، فقتلناه قبل أن نفارقه، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي حتى دخلت على النبي ﷺ، فقالت: (هؤلاء الملأ من قومك لقد تعاهدوا لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل واحد إلا قد عرف نصيبه من دمك)، فقال: (يا بنية آتيني بوضوء)، فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هاهو ذا، وخفضوا أبصارهمن وسقطت أذقانهم في صدورهم، فلم يرفعوا إليه بصرًا، ولم يقم منهم إليه رجل، فأقبل

النبي ﷺ حتى قام على رؤوسهم، وأخذ قبضة من التراب ثم قـال: (شاهت الوجوه)، ثم حصـبهم بهـا فمـا أصـاب رجلاً منهم من ذلـك الحصا حصاةٌ إلى قتل يوم بدر كافرًا.

وقد يوفر الله من أسباب الهلاك التي تبدو طبيعية ما ينصـر بـه نبيه، ويهلك به أعداءه، ومن ذلك مـا يـروى عن عـامر بن الطفيـل وأربد بن قيس اللذين تآمرا على النبي ﷺ..

واسمع القصة..

لقد كان عامر بن الطفيل شيطان نجد الذي غدر بأصـحاب بـئر معونة ومعه شيطان مثله هـو أربـد بن قيس، قـد اتفقـا على قتـل النبي ﷺ غـدراً وغيلـة، بحيث يشـغل عـامر بن الطفيـل بالحـديث، ويأتي أربد بن قيس من خلفه ويطعنه بالخنجر، ولكن الله عز وجل حبس يد أربد وشلها، ونجـا اللـه رسـوله من غـدر الكـافرين، وفى طريق عودتهما أرسل الله على أربد بن قيس وجمله الـذى يركبـه صاعقة من السماء فأحرقته، أما عـامر بن الطفيـل فأصـيب بغـدة في عنقه فصار يخور مثل البعير المنحور حتى هلك.

ومن ذلك ما حصل لعقبة بن أبي معيط الذي وضـع رجلـه على عنق النبي ﷺ فقطعت عنقه.

لقد جاء والرسول ﷺ ساجد خلف المقام بالكعبة، فوضع رجلـه على عنق الرسـول، وغمزهـا فمـا رفعهـا حـتى كـادت تخـرج عينـا الرسول من مكانها، ثم جـاء مـرة أخـرى بسـلا شـاة، فألقـاه على كتف الرسول ﷺ، وهو ساجد، فجاءت فاطمـة فطرحتـه عن كتـف أبيها.

فكـان عاقبتـه أن يقـع أسـيراً في غـزوة بـدر، ويؤخـذ من بين الأسرى، وتضرب عنقه، ثم يلقى في قليب بدر.. وهكذا كان جــزاء من سولت له نفسـه وضـع قدمـه على العنـق المبـارك الشـريف، تقطع عنقه، ويلقى في المزابل.

ومن ذلك أن يخرق الله له السنن الكونيـة ليحفظـه، ويعصـمه، ومما يروى في ذلك المرأة الـتي جـاءت النـبي ﷺ، بشـاة مشـوية دست فيها سمًا كثيرًا، فلما لاك النـبي ﷺ منهـا مضـغة لم يسـغها، وقـال: (إن هـذا العظم يخـبرني أنـه مسـموم)، ثم دعـا باليهوديـة فاعترفت.

ومن ذلك أن يقذف الله الهدى في قلب من آذاه، فيتوب، حتى يكـون الرسـول ﷺ أحب إليـه من مالـه وولـده ووالـده والنـاس أجمعين.. ومما يروى في ذلك قصـة أبي سـفيان بن الحـارث أخي

النبي ﷺ من الرضاع، فقد كان يألف النبي ﷺ أيام الصبا وكان له تربًا، فلما بُعث النبي ﷺ عاداه أبو سفيان عداوةً لم يعادها أحدًا قط، وهجا رسول الله ﷺ وهجا أصحابه.. ثم شاء الله أن يكفي رسوله ﷺ لسان أبي سفيان وهجاءه، لا بإهلاكه وإنما بهدايته

حدث أبو سفيان عن نفسه، قال: ثم إن الله ألقى في قلبي الإسلام، فسرت وزوجي وولدي حتى نزلنا بالأبواء، فتنكرت وخرجت حتى صرت تلقاء وجه النبي ﷺ، فلما ملأ عينيه مني أعرض عنّي بوجهه إلى الناحية الأخرى، فتحولت إلى ناحية وجهه الأخرى.

قالوا: فما زال أبو سفيان يتبعُهُ، لا ينزلُ منزلاً إلا وهو على بابه ومع ابني جعفر وهو لا يكلمه، حتى قال أبو سفيان: والله ليأذنن لي رسول له أو لآخذن بيد ابني هذا حتى نموت عطشًا أو جوعًا، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما فدخلا عليه.

بل إن رسول الله ﷺ كان يتحدى أعداءه، فيخرج بين أظهرهم من غير أن يروه، ومما يروى في ذلك أن أبا جهل، قال لأصحابه: إن محمدًا يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكا، فإذا متم بعثتم بعد موتكم، وكانت لكم جِنَانٌ خير من جنان الأرْدُن وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تُعَذَّبون بها. وخرج عليهم رسول الله ﷺ عند ذلك، وفي يده حفنة من تراب، وقد أخذ الله على أعينهم دونه، فجعل يَذُرّها على رؤوسهم، ويقرأ :﴿ يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾(يس:1 ـ 2)

الرحمة:

التفت إلي، وقال: أرى أن الجزء الثاني من البشارة ينطبق انطباقا تاما على محمد ﷺ، فهلم بنا إلى الجزء الثالث.

لم أدر إلا وأنا أردد من غير شعور: (لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له، يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقراء، من الظلم والخطف يفدي أنفسهم، ويكرم دمهم في عينيه، ويعيش ويعطيه من ذهب شبا، ويصلّي لأجله دائماً، اليوم كله يباركه، تكون حفنة بر في الأرض في رؤوس الجبال، تتمايل مثل لبنان ثمرتها ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض)

قال: أنتم تستدلون بهذا الجزء على جعل النبوءة في المسيح.

قلت: أجل.. فقد ورد في الكتاب المقدس النصوص الكثيرة من رحمة المسيح..

قال: وورد فيه النصوص الكثيرة من قسوته.
انتفضت غاضبا، وقلت: ما تقول يا رجل؟
قال: أنا لا أقول.. بل الكتاب المقدس هو الذي يقول.. أنا لست سوى قارئ للكتاب المقدس لا مؤلفا له.
قلت: فأين ترى قسوة المسيح؟
قال: أنت تعلم المواقف التي ألصقتموها بها.. والتي نبرئه منها.
قلت: لا أذكر أي موقف.
قال: سأقرأ لك ما قد يذكرك.. وسأكتفي بموقفين تتجلى فيهما رحمة المسيح بالمرأة المستضعفة.
أخذ الكتاب المقدس، وراح يقرأ: (ثم غادر يسوع تلك المنطقة، وذهب إلى نواحي صور وصيدا، فإذا امرأة كنعانية من تلك النواحي، قد تقدمت إليه صارخة: (ارحمني ياسيد، ياابن داود! ابنتي معذبة جدا، يسكنها شيطان) لكنه لم يجبها بكلمة، فجاء تلاميذه يلحون عليه قائلين: (اقض لها حاجتها. فهي تصرخ في إثرنا!)، فأجاب: (ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل!)، ولكن المرأة اقتربت إليه، وسجدت له، وقالت: (أعني ياسيد!)، فأجاب: (ليس من الصواب أن يؤخذ خبز البنين ويطرح لجراء الكلاب!)، فقالت: (صحيح ياسيد؛ ولكن جراء الكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد أصحابها!)(متى 15: 23 ـ 27)
هذا هو الموقف الأول..
أما الموقف الثاني، فإهانته لأمه وسط الحضور، وقوله لها: (مالي ولك يا امرأة) (يوحنا:2 : 4)؟
أهكذا تكون الرحمة بالأم؟
صمت، فقال: أما محمد.. فقد وصفه ربه بأنه ـ أساسا ـ رحمة للعالمين، فقال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (الانبياء: 107)
قلت: أي رحمة تزعمها لمن نزل عليه الأمر بالجهاد والقتال؟
قال: إن الجهاد الذي يضحي فيه المؤمن بنفسه وماله من أجل نصرة المستضعف أعظم مظهر من مظاهر الرحمة، لقد علل الله الأمر بالجهاد بالرحمة، فقال : وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً (النساء:75)
فقد علل الله قتال المستكبرين بنصرة المستضعفين..

أجبني..
أرأيت لو كنت تسير في الطريق، وكانت امرأة لا تعرفها تسير في نفس الطريق.. فتعرض لها بعضهم بسوء، أكنت تتركها لهم؟
قلت: لا.. بل أنهرهم عنها.
قال: فإن لم يستجيبوا؟
قلت: استعمل كل الوسائل.
قال: فإن لم يستجيبوا إلا لصوت القوة.
قلت: حينذاك لا بد من استعمالها إن كانت لدي طاقة.
قال: فقد أمرنا ديننا بالإعداد لهذه القوة حتى نستعملها في حال الحاجة، وهي التي نسميها الجهاد..
أجبني.. ألم يخبر المسيح بشرعية الجهاد.. ألم يمارس النبيون الذين تنقلون أخبارهم في الكتاب المقدس الجهاد في حياتهم ضد أعدائهم.
ثم أخبرني.. أيهما أكثر رحمة قوله تعالى: وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِين(البقرة:190 ـ 191)
وقوله تعالى: وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً (النساء:75)
وقوله تعالى: فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (النساء: 90)
وقوله تعالى: وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (لأنفال: 47)
وقوله تعالى: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (لأنفال:61)
وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (لأنفال:70)
وقوله تعالى: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى

يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ (التوبة:6)

أهذه النصوص التي تفوح بالرحمة والأدب مع كونها تتحدث عن القتال.. أو ما ورد في الكتاب المقدس من الحديث عن هذه الناحية بالذات..

ولنبدأ بما يقول سفر حزقيال [9 :ـ 5] من قول الرب: (اعبروا في المدينة خلفه واقتلوا. لا تترأف عيونكم ولا تعفوا. أهلكوا الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء. ولكن لا تقربوا من أي إنسان عليه السمة، وابتدئوا من قدسي). فابتدأوا يهلكون الرجال والشيوخ الموجودين أمام الهيكل. وقال لهم: (نجسوا الهيكل واملأوا ساحاته بالقتلى، ثم اخرجوا). فاندفعوا إلى المدينة وشرعوا يقتلون)

ألا تعلم يا صاحبي أن الكتاب المقدس هو الكتاب الوحيد على وجه الأرض الذي يأمر بقتل الأطفال؟

ليس هذا فقط، لقد جاء في سفر يشوع [6 :ـ 16]:(قال يشوع للشعب: اهتفوا، لأن الرب قد وهبكم المدينة. واجعلوا المدينة وكل ما فيها محرما للرب،.... أما كل غنائم الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد، فتخصص للرب وتحفظ فى خزانته. فهتف الشعب، ونفخ الكهنة في الأبواق. وكان هتاف الشعب لدى سماعهم صوت نفخ الأبواق عظيما، فانهار السور في موضعه. فاندفع الشعب نحو المدينة كل إلى وجهته، واستولوا عليها. ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير)

انظر الرحمة التي يحملها الكتاب المقدس للرجال والنساء والأطفال حتى البقر والغنم والحمير..

وفي سفر هوشع [13 :ـ 16] يقول الرب: (تجازى السامرة لأنها تمردت على إلهها. بالسيف يسقطون. تحطم أطفالهم، والحوامل تشق)

وفي سفر إشعيا [13 :ـ 16] يقول الرب: (وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم)

أين هذا الأوامر الاجرامية المثبتة في كتابكم المقدس من وصية محمد ﷺ للمقاتلين حينما كان يقول لهم: (انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة، ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)

وكان يقول لهم: (سيروا باسم الله، وفي سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله. ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليدا)

قلت: أنت تحـــدثني بمـــا في أســـفار الأنبيـــاء.. لا بكلام المسيح..وتقارن بينها وبين ما جاء به محمد.

قال: لقد أبقى المسيح ـ كما تذكرون ـ أسفار الأنبياء كما هي، بل أخبر أنه لم يأت لينقض الناموس.. أي أن كل ما ذكر هنا أقره المسيح.

ومع ذلك، فأنتم تروون قوله: (لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاما على الأرض. ما جئت لأرسي سلاما، بل سيفا فإني جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه، والبنت مع أمها، والكنة مع حماتها. وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته)(إنجيل متى :10)

ليس ذلك فقط.. فللرحمة مجالاتها المختلفة التي جاء الإسلام جميعا لرعايتها.. فهو رحمة للمعوزين، وللقاصرين، وللمستضعفين، وللمذنبين، وللرجال، وللنساء، وللأطفال، وللكائنات.. إن محمدا ودين محمد رحمة محضة.. فإن كنت صادقا، فسيقيض الله لك من يدلك على رحمة محمد ودين محمد(1).

الخلود:

نظر إلي، وقال: أظن أن هذا الجزء لا ينطبق على أحد في العالم كما ينطبق على محمد.. فلنبحث في جزء آخر.

لم أدر إلا وأنا أقرأ: (يكون اسمه إلى الدهر، قدام الشمس يمتد اسمه، ويتباركون به، كل أمم الأرض يطوّبونه، مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده، ومبارك اسم مجده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده، آمين ثم آمين)

قال: إن هذا الجزء من البشارة يتحدث عن خلود دين هذا المبشر به.

قلت: بلى.. وقد تحقق ذلك في المسيحية.

قال: إن أردنا الخلود مجرد البقاء.. فقد تحقق ذلك في المسيحية واليهودية وكل الديانات.

قلت: وهل الخلود يعني شيئا آخر غير البقاء؟

قال: نعم.. الخلود الصحيح هو الذي يجتمع فيه البقاء مع الصفاء.. فالبقاء الظاهر وحده لا يعني شيئا.

قلت: لم أفهم ما الذي تريد قوله؟

---

1) انظر في هذه السلسلة الجزء المسمى (رحمة للعالمين)، ففيه التفاصيل الكثيرة المثبتة لذلك.

قال: لا يمكنني الآن أن أفسر لك ذلك.. فهو يحتاج علوما كثيرة لا يكفي هذا المجلس لذكرها.. ولكني سأكفتي بذكر خلاصة لك.. وستجد من يبين لك مدى صدقها.

قلت: ما هي؟

قال: لا يوجد دين في الأرض لا يزال غضا طريا كما أنزل إلا دين محمد.. ولا يوجد كتاب مقدس يقرأ بنفس الحروف والكلمات التي أنزل بها إلا كتاب محمد.. ولا توجد سيرة نبي تحمل نموذجا كاملا للإنسان الكامل غير سيرة محمد.. ولا توجد تعاليم في أي دين من الأديان يمكنها أن تبني المدينة الفاضلة، والمجتمع الفاضل إلا تعاليم محمد..

قلت: حسبك.. أراك ترسل الأحكام هكذا جزافا.. فإن كل حكم من هذه الأحكام يستدعي الأسفار الضخمة لإثباته(1).

قال: ولذلك قلت لك: إنني لا أستطيع أن أذكر لك في هذا المحل كل ما يمكنه أن يثبت لك خلود هذا الدين..

قلت: لا بأس لن أطالبك الآن بإثبات ذلك.. ولكن ألا ترى أن المسيحية قد حصل لها من الخلود ما حصل لدين محمد؟

قال: أي مسيحية تلك التي حصل لها هذا الخلود؟

قلت: المسيحية واحدة.. الدين الذي جاء به المسيح.

قال: إن أردت ذلك.. فالمسيحية لم تبق إلا فترة قصيرة في حياة بعض الصادقين الذين ظلوا مخلصين للمسيح ولما جاء به المسيح.. وتلك الثلة القليلة الباقية سرعان ما انضمت إلى محمد بمجرد مجيئه، بل كانت تتلهف لمجيئه.

قلت: وسائر المسيحية؟

قال: لقد وقعوا بين مطرقة بولس، وسنديان أباطرة الرومان.

قلت: لم أفهم ما الذي تريده؟

قال: كما أني لم أستطع أن أبين لك في هذا المحل سر خلود الإسلام.. فلن أستطيع أن أثبت لك سر خلود المسيحية.. ولكن إن كنت صادقا، فسيقض الله لك من يعلمك ما فعل بولس، وما فعل الأباطرة بالمسيح ودين المسيح.

قلت: لقد انتهينا من الحديث عن هذه النبوءة، فهل أتركك مع رعيتك.. لقد شغلتك عنها.

قال: لا.. لا عليك إنها تحب مثل هذه الأحاديث، وتأنس لها، إنها

---

1) انظر تفاصيل الأدلة المثبتة لهذا في رسالة (ثمار من شجرة النبوة) من هذه السلسلة، فصل (صمود).

تحب محمـدا وتحن لـه.. ألم تسـمع بحـنين الجـذع لمحمـد؟.. ألم تسمع بمحبة جبل أحد لمحمد؟

صمت، فقال: ربما لم تكفك تلـك البشـارة الـتي ذكرتهـا لـك.. لدي أخت لها.. سأذكرها لـك لعلـك تنـال منهـا بصيصـا يهـديك إلى شمس محمد.

في كتاب نشيد الأناشيد، وفي الجزء الخامس منه نـرى وصـفا لرجل يذكر اليهود أنـه سـليمان، بينمـا تـذكرون أنتم أنـه المسـيح، والمتكلم في النص مجهول لكنه يبدو لنا أنه أنثى.

اليهــود يرجحــون أن المتكلم هــو زوجــة ســليمان المســماة شولميث، و أنها تصـف سـليمان نفسـه، وأنتم تـذكرون أن لـديكم أدلة قوية على أن الخطاب هو للمسيح.

فإن كان هذا صـحيحاً فإننـا أمـام نبـوءة تتعلـق بموعـود يـأتي.. فلنبحث عن الأوصاف التي ذكرت لنرى على من تنطبق: هل على سليمان، كما يقول اليهود.. أو على المسيح، كمـا تقولـون أنتم.. أو على غيرهما.. وربما يكون محمدا..

لقد أحضرت معي الجـزء الخـامس من نشـيد الأناشـيد.. خـذه واقرأ علي..

أخذت الكتاب المقدس، ورحت أقرأ هذا الحوار:

(بَنَـاتُ أُورُشَـلِيمَ): بِمَ يَفُـوقُ حَبِيبُـكِ الْمُحِبِّينَ أَيَّتُهَـا الْجَمِيلَـةُ بَيْنَ النِّسَاءِ؟ بِمَ يَفُوقُ حَبِيبُكِ الْمُحِبِّينَ حَتَّى تَسْتَحْلِفِينَا هَكَذَا؟

(الْمَحْبُوبَةُ): حَبِيبِي أَبْيَضُ وَ أَزْهَرُ (متورد)، عَلَمٌ بَيْنَ عَشَـرَةِ آلاَفٍ. رَأْسُهُ ذَهَبٌ خَالِصٌ وَغَدَائِرُهُ مُتَمَوِّجَـةٌ حَالِكَـةُ السَّـوَادِ كَلَـوْنِ الْغُـرَابِ. عَيْنَـاهُ حَمَامَتَـانِ عِنْـدَ مَجَـارِي الْمِيَـاهِ، مَغْسُـولَتَانِ مُسْـتَقِرَّتَانِ فِي مَوْضِعِهِمَا. خَـدَّاهُ كَخَمِيلَـةِ طِيبٍ (تَفُوحَـانِ عِطْـرَاً) كَـالزُهُوْرِ الحُلْـوَة، وَشَفَتَاهُ كَالسُّوْسَنِ تَقْطُرَانِ مُـرّاً (صـمغ ذكي الرائحـة) شَـذِيّاً. يَـدَاهُ حَلْقَتَـانِ مِنْ ذَهَبٍ مُـدَوَّرَتَانِ وَمُرَصَّـعَتَانِ بِالزَّبَرْجَـدِ، وَجِسْـمُهُ عَـاجٌ مَصْقُولٌ مُغَشًّى بِالْيَاقُوتِ. سَاقَاهُ عَمُودَا رُخَامٍ قَائِمَتَانِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ، طَلْعَتُهُ كَلُبْنَانَ، كَأَبْهَى أَشْـجَارِ الأَرْزِ. فَمُـهُ عَـذْبٌ، نعم: إِنَّهُ مَحَمَد. هَذَا هُوَ حَبِيبِي وَهَذَا هُوَ صَدِيْقِي يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ(1)!

انفضت غاضبا، وقلت: هذا كتاب محرف.. لا يوجـد في الكتـاب المقدس اسم محمد.. فكيف أثبت هنا؟

---

1) عبارة (يا بنات أورشليم) هي أيضا ترجمة غير صحيحة ففى الأصل العبرى نجد كلمة ابن أو بن (בנ) برقم (1121) والجمع منها بنى وبنو وهذه الكلمة تقال للذكور من الأولاد، مثلها مثل العربية تماما.. فمن أين جاءت كلمة البنات. (انظر: نبي أرض الجنوب)

قال: صدقت.. أنت تقصد المقطع رقم 16.. هذا النص ترجمة حرفية للنص العبري.. أما كلمة محمد.. فتركناها في هذه الترجمة كما هي من غير أن نتصرف في ترجمتها باعتبارها علما.. الأعلام لا تترجم في جميع لغات العالم ما عدا في الكتاب المقدس خاصة إذا تعلق الأمر بمحمد.

إن هذا المقطع يحتوي على الكلمة العبرية مَحَمَد מחמד فهل هي مصادفة أن يكون إسم الشخص الذي نتبأ عنه كاسم نبينا؟

الكلمة العبرية (محمد) מחמד تتألف من الحروف العبرية الأربعة (ميم حيت ميم داليت)، وهي نفس الأحرف العربية (ميم حاء ميم دال)، والفرق الوحيد بين مَحَمَد מחמד ومُحُمَّد מחמד هو التشكيل.. وهذا التشكيل لم يخترعه اليهود إلا في القرن الثامن الميلادي، أي بعد حوالي مئة سنة من بدء الإسلام (1).

زيادة على هذا، فإن كلمة مُحُمَّد في العربية والعبرية لها معنى واحد هو صيغة التفضيل من الرجل المحمود، أما كلمة مَحَمَد فإن لها حسب قاموس (بن يهودا) أربعة معان، وهي: (المحبوب، المُشتهَى، النفيس، المحمّد).. وبالطبع فإن المترجمين للكتاب المقدس يميلون لاختيار أول ثلاث كلمات لإبعاد القارئ عن الكلمة الحقيقية.

التفت إلي، وقال: ها هو اسم النبي الموعود في الكتاب المقدس.. فابحثوا عمن ينطبق عليه هذا الاسم.. ولن تجدوا غير محمد رسول الله.

قال ذلك، ثم انصرف إلى حيواناته يطعمها، ويتفقدها.

أما أنا، فانصرفت بحيرة جديدة، وببصيص من النور اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد ﷺ.

---

1) هذا هو الفرق بين كلمة مَحَمَد

و كلمة مُحُمَّد

والتشكيل لم يكن موجوداً في العبرية القديمة، وإضافة التشكيل للغة العبرية إنما تم في القرن الثامن الميلادي، فمن المحتمل أن يكون الحاخام الذي قام بتشكيل نشيد الأناشيد قد أخطأ في هذه الكلمة، أو أنه تعمد ذلك ليمعن في إبعاد قارئي الكتاب المقدس عن الإسلام الذي كان قد انتشر قبل قرن من إضافة التشكيل للغة العبرية.

بشارة إشعيا

في اليــوم الســادس خــرجت من غرفــتي، وأنــا لا أدري أين سأذهب، ولا من سيلاقيني.. لم أبتعد قليلا، حتى وجــدت رجلا تبــدو عليه المهابة، ولكن وجهه مملوء هما وغضبا.

تقــدمت منــه، وقلت: مــا بــال وجهــك قــد كســي بثيــاب الهم والغضب، أفلا كسوته بثياب الفرح والسكينة؟

قال: وأين الفرح والسكينة؟.. ألا ترى قومي وقومك؟

قلت: ما بالهم؟

قال: ضيعوا وصايا الرب.. وامتلأوا بعبودية الشياطين..

قلت: فهلا صحت فيهم، وأنكرت عليهم؟

قــال: لقــد صــحت فيهم كمــا صــاح إشــعيا في بــني إســرائيل.. لكنهم لم يسمعوا لي.. ولم يستجيبوا لي.

قلت: فهلا عــدلت من التشــديد إلى التيســير، ومن الإنــذار إلى التبشير؟

قال: لقد بشرتهم بكل ما بشر به النــبي إشــعيا.. ولكــني أراهم يلوون أعناقهم، ويصمون آذانهم، ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوني، ولا يسمعوا إشعيا الذي ينطق بلساني.

قلت: أرى أن لك مع إشعيا صلة.. فما سر اهتمامك به؟

قال: لقد كان النور الذي سرت خلفه حتى وصلت إلى شــمس محمد.

قلت: ما تقول يا رجل؟

قال: أنا إشعيا..

قلت: لا أريد اسمك، بل أريد سر علاقتك بإشعيا.

قــال: لقــد كنت من اليهــود.. وكنت أكــثر من قــراءة الكتــاب المقدس بعقلي، لا بما يمليه علي قومي.. فهداني الكتاب المقدس إلى المسيح.. ثم عدت وقرأته من جديد.. وكان أحب الأســفار إلى نفسي سفر إشعيا.. فاهتديت به إلى النور الذي جاء به محمد.

قلت: لقد كان إشعياء أعظم أنبياء اليهود، وهو صاحب الإنجيــل الخامس كما يرى قومي.. فهل كان هــذا النــبي مبشــرا بمحمــد؟.. نحن لا نراه مبشرا إلا بالمسيح.

قال: بل قل إنه كان مؤرخا لمحمد.. لقد كــانت بشــارته أعظم بشــارة.. وكــانت من الوضــوح بحيث لا تحتــاج أي جهــد عقلي لتفسيرها.

قلت: أنا مسيحي.. بل رجل دين مسـيحي.. ولكـني لا أرى في سفر إشعيا ما تراه.. أنا لا أرى فيه أي بشارة بمحمد.

قال: فاسمع لي.. وتـأدب بين يـدي.. وسـأحدثك بمـا حـدث بـه إشعيا.. لتنهل من منبعه الصافي بعض أشعة شمس محمد.

قلت: اقرأ.. أنا أحب سماع الكتاب المقدس.

بدأ يقرأ بخشوع جعلني أطير إلى ذلك الزمن الذي كان يتحدث فيه إشعيا.. لقد كان في صـوته من القـوة والجمـال والجاذبيـة مـا جعلني أستشعر بأن لهذا الرجل علاقة بإشعيا أكبر من العلاقة التي وصفها لي..

لقد خطر على بالي أنه إشعيا نفسه عاد إلى الدنيا.. ليعيــد إلى سمعي بشارته بمحمد.. ويفسر لي منها ما حاول رجـال الـدين أن يحجبوه عني.

قرأ من سفر (إشعيا 21/ـ 6 – 17): (قال لي السـيد: اذهب أقم الحارس، ليخبر بمـا يـرى، فـرأى ركاباً أزواج فرسـان، ركـاب حمير، ركاب جمال، فأصغى إصـغاء شـديداً، ثم صـرخ كأسـد: أيهـا السـيد أنـا قـائم على المرصـد دائمـاً في النهـار، وأنـا واقـف على المحــرس كــل الليــالي، وهــوذا ركــاب من الرجــال، أزواج من الفرسان.فأجاب وقال: سقطت، سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض.

يا دياستي وبني بيدري، ما سمعته من رب الجنود إله إســرائيل أخبرتكم به، وحي من جهة دومة. صـرخ إلي صـارخ من سـعير: يـا حارس ما من الليل، يـا حـارس مـا من الليـل. قـال الحـارس: أتى صباح وأيضا ليـل، إن كنتم تطلبـون فـاطلبوا. ارجعـوا تعـالوا، وحي من جهــة العــرب: ســتبيتين في صــحاري بلاد العــرب يــا قوافــل الددانيين، فاحملوا يا أهل تيماء الماء للعطشان، واستقبلوا الهاربين بالخبز، لأنهم قـد فـروا من السـيف المسـلول، والقـوس المتـوتر، ومن وطيس المعركة. لأنه هذا ما قاله لي الرب: في غضون سـنة مماثلــة لســنة الأجــير يفــنى كــل مجــد قيــدار، وتكــون بقيــة الرماةالأبطال من أبناء قيدار، قلة. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم)

قلت: لقد قرأت هذه النبوءة كثيرة.. لكني لم أتصـور أبـدا أنهـا تبشر بمحمد.. فما الذي جعلك تخص بها محمدا؟

قـال: أجبـني أولا.. إن في هـذا النص أسـماء لأعلام من بلـدان وأشخاص، وهي تيسر تطبيق البشارة.

قلت: ما تقصد بذلك؟

قال: أرأيت لو أن رجلا ذكر لك لغزا، ثم قربه بذكر ما يرتبط به من أسماء أماكن وأشخاص.. ألا يكون بذلك قد يسر لك حل لغزه؟

قلت: أجل..

قال: فهكذا فعل إشعيا.. إن التحريف قد يمس المعاني، ولكنه لا يطيق مس الأسماء.

قلت: فصل لي هذا الإجمال الذي ذكرته.

هجرة النبي:

قال: لقد ورد في البشارة ذكر لقوافل الددانيين(1)، وهي تنسب هذه القوافل إلى وددان، وهي قرب المدينة النبوية المنورة، وهي المدينة التي هاجر إليها محمد.

وفيها يأمر أشعيا أهل تيماء أن يقدموا الشراب والطعام لهارب يهرب من أمام السيوف، ومجيئ الأمر بعد الإخبار عن الوحي الذي يكون من جهة بلاد العرب قرينة بأن الهارب هو صاحب ذلك الوحي الذي يأمر الله أهل تيماء بمناصرته: (هاتوا ماءًا لملاقاة العطشان، يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه)

ألا تعلم أين تقع أرض تيماء(2)؟

قلت: لا.. قرأتها في الكتاب المقدس لكني لم أهتم بها.. لعلها في الشام، فهي المنطقة الجغرافية للكتاب المقدس.

قال: لا.. إنها مدينة تقع شمال المدينة، وسميت كذلك نسبة

---

1) الديدانيون (דדניח) هى صيغة جمع لكلمة ديدان (דדנ) وتنطق فى العبرية ديدانيم، والديدانيون هم سكان منطقة ديدان، وهم العرب القدماء المنحدرين من نسل نوح ﷺ كما ورد فى سفر التكوين (10 : 6 ـ 7)، وأنهم ينتمون أيضا إلى إبراهيم ﷺ من خلال زوجته قطورا (تك 25 : 3). وقد ورد ذكر هؤلاء العرب الديدانيين فى الوثائق الكلدانية والأشورية.

وتقع منطقة ديدان العربية طبقا للخرائط المسيحية الواردة فى الأطالس الكتابية فى جوار منطقة المدينة المنورة، وإن ذهب البعض إلى تحريك مكانها إلى الشمال كما يفعلون دائما، وقالوا بأن ديدان أو دادان هى مدينة العلا فى السعودية حاليا. (انظر: نبي أرض الجنوب)

2).. تيماء (תיחא) هو اسم للمنطقة الشمالية الغربية لجزيرة العرب حيث استوطن فيها نسل تيما ابن إسماعيل ﷺ وهذا المكان هو نفسه المكان المسمى بأرض تيماء أو صحراء تيماء الواقعة فى النصف الشمالى الغربى للجزيرة العربية (Teima)، ومن المعلوم بداهة عند الجغرافيين أنَّ المدينة المنورة تقع فى أرض تيماء.

وقد جاء ذكر تيماء فى الوثائق الأكادية والبابلية، وقد وصفتها الوثائق البابلية القديمة بأنها أرض النخيل (Grant of specified palm land) ونجد مثل ذلك الوصف فى قصة إسلام الصحابى الجليل سلمان الفارسى على لسان راهب نصرانى حين أشار لسلمان عن مكان مبعث النبىّ المترقب ظهوره فقال له : (أرض بين حرتين ذات نخل...) فجاء سلمان إلى موطن بعثة النبىّ المترقب ظهوره بيثرب، كما أنه من المعروف فى المراجع العربية القديمة أنَّ تيماء هى وادى القرى من أعمال المدينة المنورة. (انظر: نبي أرض الجنوب)

إلى تيما بن إسماعيل، وقد كان يسكنها اليهود لأنهم كانوا يتوقعـون ظهور النبي، وكانوا يقولون لأهل المدينة:(إن نبيا يظهر فينـا نقتلكم به قتل إرم وعاد)

قلت: فـأنت تـرى أن هـذا النص خطـاب لأولئـك اليهـود الـذين استوطنوا تيماء؟

قال: أجل.. أهل يثرب من اليهود الذين هم من أهـل تيمـاء هم المخاطبون في هذا النص.

قلت: أتدري متى خاطب إشعياء اليهود بهذا النص؟

قال: نعم لقد نطـق إشـعيا بهـذا النص في النصـف الأخـير من القرن الثامن قبل الميلاد.

قلت: ولكن من تذكر أنهم خوطبوا بهذا النص لم يولـدوا إلا في القرن السابع من الميلاد، وهو القرن الذي نزل فيه محمـد منطقـة المدينة.

قال: أليست هـذه نبـوءة؟.. بـل هي نبـوءة تكـاد تـؤرخ لهجـرة محمد ﷺ من مكة إلى المدينة.. إن نص النبـوءة يخـبر أن الهـارب هرب ومعه آخرون.. لقد جاء فيها: (فـإنهم من أمـام السـيوف قـد هربوا)

ثم يذكر الوحي الخراب الذي يحـل بمجـد قيـدار بعـد سـنة من هذه الحادثة، ممـا يـدل على أن الهـروب كـان منهم، وأن عقـابهم كان بسبب تلك الحادثة.. لقد جاء في البشارة: (فإنه هكذا قال لي السيد الله : في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار، وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار تقل)

ألا تعلم من هو قيدار(1) الذي نصت عليه البشارة؟

---

1) **قيدار** (קדר) معناه الداكن اللون أو أسمر البشرة، وهو اسم علم لأحد أبناء إسماعيل ﷺ المذكورين فى نصّ التكوين (25 : 13 ـ 14) وهم : (نبايوت بكر إسماعيل، و**قيدار**، وأدبئيل، ومِبْسام ومِشماع. و**دومة**، و**مِسَّا**، وحداد، و**تيما**، وبطور، ونافيش، وقِدْمِة)، وكل منهم زعيم لقبيلة من قبائل العرب القاطنة فى المنطقة الواقعة بين حويلة وشور فى اتجاه آشور.

وتطلق أيضا كلمة **قيدار** على العرب القاطنين بمنطقة **فاران بَكَّة**. وتشير إليهم الموسوعات الكتابية بأنهم عرب الشمال تمييزا لهم عن عرب الجنوب اليمنىّ، فيقال عنهم القيداريون. ومنهم جاءت **قبيلة قريش** الشهيرة.

وهناك اعتراف صريح فى الموسوعات الكتابية المسيحية بدين العرب القدماء الذى ورثوه عن آبائهم إبراهيم وإسماعيل وقيدار، وهذا الدين يُطلق عليه الباحثون المسيحيون الغربيون اسم (Pre-Islamic) أى **الإسلام الأوّلى** والذى يُسميه القرآن بدين الإسلام بدون أول أو آخر.

وهم يعترفون بأنَّ هذا الدين الإسلامى الأولى كان له وجود بين عرب الشمال القيداريين فى الفترة الواقعة بين سنة 1200 ق م وإلى توقيت ظهور رسالة الإسلام من مكة المكرمة.

قلت: لقد ذكر الكتاب المقدس هذا الاسم.. ففي (سفر التكوين 25 :13-18):(وهذه اسماء بني اسماعيل باسمائهم حسب مواليدهم: نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسّا وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة، هؤلاء هم بنو إسماعيل، وهذه اسماؤهم بديارهم وحصونهم اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم، وهذه سنو حياة اسماعيل، مئة وسبع وثلاثون سنة.واسلم روحه ومات وانضمّ الى قومه، وسكنوا من حويلة الى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور. أمام جميع إخوته نزل)

قال: فأنت ترى أن هذا النص يخبر أن بني اسماعيل كانوا يسكنون في جزيرة العرب.

قلت: أجل..

قال: وقد كان بنو قيدار الذين نصت عليهم البشارة هم قومه ﷺ، والذين هرب من بين أيديهم.. لقد كانت مكة التي هاجر منها محمد ﷺ هي أرض بني قيدار قريش، الذين كانوا قد عينوا من كل بطن من بطونهم شاباً جلداً ليجتمعوا لقتل محمد ﷺ ليلة هجرته.. فجاء الشباب ومعهم أسلحتهم، فخرج الرسول مهاجراً هارباً، فتعقبته قريش بسيوفها وقسيها.

إن البشارة تنص على ذلك بكل صراحة ووضوح.. اسمع معي.. (فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة)

إن شئت أن تتأكد من ذلك فاذهب إلى الكتب الكثيرة ذات الأسانيد الصحيحة التي أرخت لحياة محمد ﷺ..

اذهب إلى سيرة ابن هشام.. واسمع لما يقول ابن إسحق.. والذي اتفق معه على نقل ذلك الكثير من العدول..

لقد ذكر كما ذكر غيره أنه لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا، وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دارالندوة ــ وهي دار قصي بن

وقد وردت اشارات تاريخية عن بنى قيدار ـ القيداريون ـ فى التراث الأشورى المكتشف حديثا، تثبت أنه كان للقيداريين قوة ورهبة يعمل لها المناوئون على تفاديها (وثائق أشور بانيبال 632 ـ 668 ق م). وهناك أيضا بعض الوثائق المصرية المكتوبة بالآرامية فى القرن الخامس قبل الميلاد تشير إلى الملك العربى جشيم (Geshem) والذى تقول عنه موسوعة زندرفان الكتابية أنه هو المذكور فى سفر نحميا (2 : 19 ؛ 6 : 1 ـ 6) وهو ملك بنى قيدار. (انظر: نبي أرض الجنوب)

كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها ـ يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه.

وقد ذكر ابن إسحاق ناقلا عن عن عبد الله بن عباس صاحب محمد ﷺ أنهم لما أجمعوا لذلك، واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غدوا في اليوم الذي اتعدوا له، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليه بتلة، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفا على بابها قالوا: من الشيخ، قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحاً، قالوا: أجل.. فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قريش.. فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا.

فقال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم.

فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره.

فتشاوروا ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا فإذا أخرج عنا فو الله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت.

فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد.. دبروا فيه رأيا غير هذا.

فقال أبو جهل بن هشام ـ وهو أعدى أعداء محمد ــ : والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه،

فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل فقلناه لهم.

فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل.. هذا الرأي الذي لا رأي غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

وقد أوردت الأخبار بأسانيد الثقاة أن جبريل عليه السلام أتى محمدا ﷺ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.. فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: (نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر)، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم.

فلما أجتمعوا لما دبروه، وفيهم أبو جهل، فقال وهم على بابه: إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كضنان الأردن وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها.

فخرج عليهم رسول الله ﷺ ـ وهم يتحدثون بمثل ذلك ــ فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: (أنا أقول ذلك أنت أحدهم)، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم، وهو يتلو آيات من سورة يس.

ولم يكتفوا بهذا التدبير، بل تعقبوه ﷺ ليقتلوه.. والروايات بذلك متواترة لا شك في ثبوتها.. بل إن القرآن الكريم أثبت ذلك.. فقد جاء فيه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (لأنفال:30)

ثم التفت إلي، وقال: إن شئت أن تتأكد من هذا، فاذهب إلى الأسفار الكثيرة الممتلئة بالأسانيد الموثوقة لتخبرك بصدقه.

قلت: أنا لا أكذب ما ذكر من ذلك في السيرة.. ولكني أشك في انطباق ذلك على محمد.

قال: هو ذا التاريخ أمامك.. فهل هناك نبي هاجر من مكة إلى المدينة، واستقبله أهل تيماء غير محمد؟

وهل نزل وحي في بلاد العرب غير القرآن؟

نصر النبي:

قال: ثم إن النبوءة تنص على أبناء قيدار الذين هم قوم محمد ﷺ قد نزلت بهم العقوبة الإلهية بعد مدة وجيزة من هجرة محمد

ﷺ.. لقد ورد في النبوءة: (كما قال لي الله : في مدة سنة كسنة الأجير، يفنى كل مجد قيدار، وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار)

لقد حصل كل ما أخبرت به هذه النبوءة، فبعد سنة ونيف من هجرة محمد ﷺ وقعت غزوة بدر.. وكانت هزيمة نكراء أذهبت مجد قريش، وقتلت كثيرا من أبطالهم الذين بارزوا محمدا ﷺ الحرب..

اقرأ ما في التاريخ الموثق بأدق الأسانيد ليخبرك بذلك.. بل قد أرخ الكتاب المقدس.. عهد الله الأخير للبشرية لذلك، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران:123)

بل إن الله تعالى يسمي واقعة بدر بيوم الفرقان، لتفريقها بين الحق والباطل، كما قال تعالى:﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (الأنفال:41 ـ 42)

وقد تنبأ القرآن الكريم بهذه الهزيمة المنكرة التي فرقت الحق عن الباطل، قبل ذلك، في الفترة التي كان فيها المسلمون مضطهدين، فقد نزل حينها قوله تعالى:﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر:45)

التفت إلي، وقال: اذهب إلى الأسانيد.. فهي تخبرك بكل ذلك، وبأكثر من ذلك.. ثم عد إلى البشارة لتسمع إشعيا يصيح في يهود تيماء، ليؤكد لهم وقوع هذه النبوءة، ويقول: (لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم)

ثم اذهب إلى التاريخ.. وابحث هل حصلت أي هزيمة لبني قيدار على يد نبي غير هذه الهزيمة.

إن هذه البشارة نص صريح لا يمكن انطباقه إلا على محمد ﷺ، بل لا يمكن انطباقه إلا على حادث هجرته، ومحل هجرته..

ولو شئت أن تذهب لكتب التاريخ لتبحث عن سر هجرة الإسرائيليين لتلك المنطقة لوجدت انتظارهم للنبي الموعود هو السر الأكبر لذلك.. وقد نص القرآن الكريم على ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (البقرة:89)

إن هذه الآية تنص على أن اليهود كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم، وقد نقل لنا المؤرخون ــ بالأسانيد الصحيحة ــ أقوالهم الدالة على ذلك.. فقد كانوا يقولون: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

وقد نقل بعضهم شهادة عنه في ذلك، فقال: فينا والله، وفيهم ـ يعني في الأنصاروفي اليهود الذين كانوا جيرانهم ــ نزلت هذه الآية ـ يقصد الاية السابقة ـ

ثم ذكر شهادته في ذلك، فقال: كنا قد علوناهم (1) دهرًا في الجاهلية، ونحن أهل شرك، وهم أهل كتاب، فكانوا يقولون: (إن نبيًا من الأنبياء يبعث الآن نتبعه، قد أظل زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم)، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به.. فذلك قوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (النساء : 155)

وقد ذكر المؤرخون بعض المحاجة التي أقامها أهل المدينة على جيرانهم من اليهود، فذكروا أن معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن مَعْرُور، قالا: (يامعشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفُونه لنا بصفته)، فقال سَلام بن مِشْكم أخو بني النضير: (ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم فأنزل الله في ذلك من قولهم : وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (البقرة:89)(2)

وجدت الفرضة سانحة لأرد عليه، فقلت: فهاهم أحبار اليهود، وهم علماء بالكتاب لم يجدوه كما في كتبهم.. ولو وجدوه كذلك لاتبعوه.

قال: ألا تعرف اليهود؟.. أنتم تذكرون في كتبكم أن المسيح مبشر به في كتب الأنبياء التي يتداولها اليهود.. فهل رأيت أحدا من رجال الدين اليهودي اتبع المسيح؟

إنكم تذكرون أن أول من وقف في وجهه هم أولئك الرجال

---

1) انتصرنا عليهم.

2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (1/547) وتفسير الطبري (2/233).

الذين كانوا رعاة الكتاب المقدس.. فهل يستدل أحد من الناس بتكذيبهم على تكذيب المسيح؟

ومع ذلك.. فإن محمدا ﷺ قد اتبعه كثير من كبار رجال الدين اليهود بعد أن عاينوا صدق العلامات التي وردت في كتبهم.

ارجع إلى كتب التاريخ لتخبرك بذلك.. وساقص عليك منها ما قد يقنعك:

لقد رووا بأسانيد موثوقة حديث إسلام عبد الله بن سلام، وقد كان حبراً عالماً من علماء اليهود.. اسمع إليه، وهو يحدث بحديثه.. قال: لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له، فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة ابنة الحارث جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرت فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: (خيبك الله.. والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت) قال: فقلت لها: (أي عمة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بعث بما بعث به) فقالت: (أي بن أخي.. أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة) قال: فقلت لها: (نعم) قال فقالت:(فذاك إذا) قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ ،فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا.

ألا ترى في هذه الرواية كيف تحدثت عمته عن هذا النبي المزمع أن يرسل.. إن هذا يدل على أنه حديث شائع معروف بينهم.

نفس القصة تخبرك عن تعنت اليهود.. اسمع إليه، وهو يخبرك عن موقف قومه من اليهود.. قال: وكتمت إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن يهود قوم بهت، وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك، وتغيبني عنهم، ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني)، قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه، فكلموه وساءلوه، ثم قال لهم: (أي رجل الحصين بن سلام فيكم ؟) قالوا: (سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا) قال: فلما فرغوا من قولهم، خرجت عليهم، فقلت لهم: (يا معشر يهود.. اتقوا الله، واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه

وصـفته، فـإني أشـهد أنـه رسـول اللـه ﷺ، وأومن بـه وأصـدقه وأعرفه)، فقالوا: كذبت، ثم واقعوا بي، قـال: فقلت لرسـول اللـه ﷺ:(ألم أخبرك يـا رسـول اللـه أنهم قـوم بهت، أهـل غـدر وكـذب وفجـور)، قـال: فـأظهرت إسـلامي وإسـلام أهـل بيـتي، وأسـلمت عمتي خالدة بنت الحارث، فحسن إسلامها.

ليس هذا فقط.. هناك الكثير ممن نصر محمـدا، أو أسـلم على يديه بسبب هذه البشارات.. فهذا مخيريق.. وقد كان حـبراً عالمـا.. وكان رجلاً غنيا كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجد في علمـه، وغلب عليـه إلـف دينـه، فلم يـزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد، وكان يوم أحـد يـوم السـبت، قـال: (يـا معشـر يهـود.. واللـه إنكم لتعلمـون أن نصـر محمـد عليكم لحـق) قالوا: (إن اليوم يوم السبت)، قال: (لا سبت لكم)، ثم أخذ سلاحه، فخـرج حـتى أتى رسـول اللـه ﷺ بأحـد، وعهـد إليـه من وراءه من قومه، إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمـد ﷺ يصـنع فيهـا مـا أراه الله، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل، فكان رسول الله ﷺ يقول: (مخيريق خير يهود)، وقبض رسول الله ﷺ أمواله، فعامة صـدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها.

وتنقل لنا صفية، وهي اليهوديـة الـتي تزوجهـا رسـول اللـه ﷺ، معرفة اليهود بصدقه ﷺ، ووقوف الكبر والحسد بينهم وبني اتباعه، فقالت: كنت أحب ولد أبي إليـه، وإلى عمي أبي ياسـر.. م ألقهمـا قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غـدا عليـه أبي حـيي بن أخطب وعمي أبـو ياسـر بن أخطب مغلسـين، فلم يرجعـا حـتى كانـا مـع غروب الشمس، فأتيا كالين كسلانين سـاقطين يمشـيان الهويـنى، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحـد منهمـا مع ما بهما من الغم.. وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حـيي بن أخطب: (أهو هو ؟)، قال: (نعم والله) قـال: (أتعرفـه وتثبتـه ؟) قال: (نعم)، قال: (فما في نفسك منه ؟) قـال: (عداوتـه واللـه مـا بقيت)

وينقل لنا سلمة بن سلامة، وكـان من أهـل بـدر، شـهادته على ذلك، فيقول: كان لنا جار يهودي في بني عبد الأشهل، فخرج علينـا يومًا من بيته قبل مبعث رسـول اللـه ﷺ بيسـير، حـتى وقـف على مجلس بني عبد الأشهل..وأنا يومئذ أحدث من فيهم سنًّا على بردة مضـطجعًا فيهـا بفنـاءٍ أصـلي، فـذكر البعث والقيامـة والحسـنات

والميزان والجنة والنـار، قـال ذلـك لأهـل شـرك أصـحاب أوثـان لا يرون بعثًا كائنًا بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائنـا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيهـا جنـة ونـار، يجـزون فيهـا بأعمالهم؟ فقال: نعم، والذي يحلف به، لود أن لـه بحظـه من تلـك النار أعظم تنور في الـدنيا يحمونـه، ثم يدخلونـه إيـاه، فيطبـق بـه عليه، وأن ينجو من تلك النار غدًا. قالوا لـه: ويحـك ومـا آيـة ذلـك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيـده نحـو مكـة واليمن، قالوا: ومـتى نـراه؟.. فنظـر إليّ وأنـا من أحـدثهم سـنًّا، فقـال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: (فوالله ما ذهب الليـل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ، وهو بين أظهرنا، فآمنا بـه وكفـر به بغيًا وحسدًا)، فقلنا: ويلك يا فلان، ألست بالذي قلت لنـا؟ قـال: بلى وليس به(1).

لقد وقف الحسد حائلا بينهم وبين محمد ﷺ كمـا وقـف ــ قبـل ذلك ـ حائلا بينهم وبين المسـيح.. فلا تكونـوا كـاليهود.. وابحثـوا عن محمد ﷺ في أسفار الأنبياء.. وفي أسفار التاريخ.

قلت: لقد ذكرت أسماء أعلام كثيرة لا أجادلك فيهـا.. ولكن من أخبرك أنها تتنبأ عن بلاد العرب.. ألا يمكن أن تكون هـذه النبـوءات عن الهند والصين.. إن ذلك يستدعي بحثا آخر أوسع.

ابتسم، وقال: ألم تقرأ الكتاب المقدس؟

قلت: بلى.. أنا رجل دين.. ألا ترى ثيابي؟

قال: ألم تقرأ قوله في النبوءة: (وحي من جهة العرب) وقولـه فيها:(سَتَبِيتِينَ فِي صَحَارِي بِلاَدِ الْعَرَبِ يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ)؟

استحييت من سؤالي.. لقد كان نص البشارة واضـحا لا يحتمـل أي تأويل، سألت نفسـي عن سـر تـرك اليهـود لهـذه البشـارة مـع وضوحها، فقال ـ وكأنـه قـرأ مـا في نفسـي ــ : ألا تقولـون بأنـه لا يمكن أن تتم جريمة كاملة؟

قلت: ما تقصد؟

قال: إن المجرم عادة يترك خلفه مـا يـدل على جريمتـه.. هـذا في الجـرائم البسـيطة.. فكيـف بالجريمـة العظمى الـتي تريـد أن تحجب أعظم شمس أطلت على البشر؟

إن اللـه حفـظ من نصـوص الكتـاب المقـدس مـا يحفـظ هـذه النبوءات لتبقى حجة على العالمين.

ثم، التفت إلي، وقال: عادة قومـك أن يلصـقوا كـل البشـارات

---

1) رواه أحمد.

بالمسيح، فكيف تعاملوا مع هذه البشارة؟
صمت، فقال: لقد كنت مسيحيا.. لقد رأيتهم لا يجرؤون على الاقتراب منها.. بل رأيتهم لو استطاعوا أن يحذفوها من الكتاب المقدس لفعلوا.
صمت قليلا، ثم قال: سأترك هذه البشارة لعقلك.. ولكل ما تملك من أدوات البحث لتتحقق مما ورد فيها.. وسأنتقل بك إلى بشارة أخرى من بشارات إشعيا العظيم.
وسأترك قراءتها لك.. خذ الكتاب المقدس.. واقرأ لي من سفر إشعياء (42 : 1- 25)
أعطاني الكتاب المقدس، ففتحت الكتاب على الموضع الذي حدده لي، فقرأت: (هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرّت به نفسي، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته، هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا.. أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك واجعلك عهدا للشعب ونورا للامم لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة.. أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا اعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات. هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها قبل أن تنبت أعلمكم بها.. غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الارض أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه قد صمت منذ الدهر سكت تجلدت كالوالدة أصيح أنفخ وأنخر معا أخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار يبسا وأنشف الآجام وأسير العمي في طريق لم يعرفوها في مسالك لم يدروها أمشيهم أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم قد ارتدوا إلى الوراء يخزى خزيا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات: أنتنّ آلهتنا أيها الصم اسمعوا، أيها العمي انظروا لتبصروا من هو أعمى إلا عبدي وأصم كرسولي

الذي أرسله من هو أعمى كالكامل وأعمى كعبد الرب ناظر كثيرا ولا تلاحظ.مفتوح الأذنين ولا يسمع الرب قد سرّ من أجل بره يعظّم الشريعة ويكرمها)

ما وصلت إلى هذا الموضع، حتى قال لي: حسبك.

التفت إليه، فإذا بعيناه تكادان تفيضان من الدمع، قلت: ما الذي يبكيك؟

قال: لقد كانت هذه البشارة هي طريقي إلى محمد.. ذات يوم من أيام الله لا أزال أذكره جيدا.. كنت فارغ القلب من كل سلطان.. لم يكن لي أخ توأم كما كان لسائر الناس.. ولم تكن لي معشوقة تملأ قلبي كما كان لأكثر الشباب.. ولم يكن لي ولد أنشغل برزقه كما كان أكثر الآباء..

جلست في ذلك اليوم في مرج من المروج.. وكان معي الكتاب المقدس، وفتحته على هذا النص.. وحينها لم يخطر على بالي إلا محمد.. كنت أسمع به.. ولكني الحجب كانت تحول بيني وبينه.. وفي تلك اللحظة قرأت محمدا في كل كلمة من كلمات إشعيا.. لقد كانت كلمات إشعيا هي الحروف التي رسمت اسم محمد في عقلي وقلبي.. ومن ذلك اليوم وأنا أمتلئ بأشواق لا تستطيع كتب الدنيا جميعا أن تصفها.

كان يتحدث بروحانية عميقة.. أشعر بلذتها، ولكني لا أستطيع تفسيرها، سألته: حدثني عن البشارة، وما قرأت منها.

قال: إن هذه البشارة تتحدث عنه.. تتحدث عن شمس محمد.. إن كل حرف يصفه وصفا دقيقا لا يصدق إلا عليه.

قلت: فحدثني عن هذه البشارة كما حدثتني عن غيرها.

قال: يتكلم الله تعالى في هذه النبوءة ــ على لسان إشعيا ـ عن صفات العبد الرسول الذي سيرسله من ديار قيدار بن اسماعيل في جزيرة العرب ليجعله نورا للعالم.. فهو رسول صادق يوحى إليه من الله، سيأتي بشريعة جديدة غير شريعة موسى.. وسيحفظه الله من أعدائه.. وسيأمر الله عباده حينئذ بالحج إلى بيته.. وبالأذان في كل مكان.. وسيأمره بالجهاد.. وسينصره الله على عابدي الأوثان.. وسيخرج بالناس من الظلمات إلى النور.. ثم يتكلم الحق سبحانه وتعالى بصفات لاتنطبق إلا على عبد ورسوله محمدا.. فيذكر أنه كان غافلا وضالا فهداه الله، وهذا العبد يكرم شريعة الله ولذلك فإن الله يحبه..

قلت: أكل هذا تنص عليه البشارة؟

قال: أجل ..
قلت: أنا وقومي لا نلاحظ ذلك.
قال: فاقرأوا الكتـاب المقـدس بعين الحقيقـة لا بعين الهـوى.. وسيكون دليلكم إلى محمد.
قلت: فاقرأ لي أنت ما قرأت.. أو فسر لي ما فهمت.

رسالة النبي:

قال: أول النبوءة :(هـو ذا عبـدي الـذي أعضـده مختـاري الـذي سرّت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للامم)
إن هذا الوصف مع ما بعـده لا ينطبـق إلا على محمـد ﷺ، فهـو عبـد للـه الـذي سـيختاره، وهـو عنـه راض.. ليخـرج بـه الأمم من الظلمات إلى النور.
قلت: ولكن لم لا نقول بانطباق هذا النص على المسيح؟
قـال: المسـيح ومحمـد أخـوان.. ولكن هـذا النص لا ينطبـق إلا على محمد ﷺ.. ألستم تعتبرون المسيح ابنا لله، أو مساويا للـه؟.. أما هذا الموصوف هنا، فهـو عبـد اللـه ومختـاره ليس إلهـا، ولا ابن إله؟
ثم.. ألست تقرأ في الكتـاب المقـدس أن المسـيح أرسـل إلى خراف بني إسرائيل الضالة.. أمـا هـذا النـبي، فهـو يصـرح من أول يوم بأن رسالته عامة للبشر جميعا؟
لقد قال الله عن رسالته :﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُـبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِـهِ وَيَهْـدِيهِمْ إِلَى صِـرَاطٍ مُسْـتَقِيمٍ﴾ (المائـدة:16)، وقـال عنهـا :﴿ الـر كِتَـابٌ أَنْزَلْنَـاهُ إِلَيْـكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِـإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِـرَاطِ الْعَزِيـزِ الْحَمِيدِ﴾ (ابراهيم:1)
قلت: ولكن كل الأنبياء كانت هذه وظيفتهم؟
قال: أجل.. ولكن الفـرق بينهم وبين محمـد ﷺ في هـذا يتمثـل في عموم رسالته، وخصوص رسائلهم، لقد ذكر الله عموم إخـراج محمد للبشر جميعا من الظلمات إلى النور، لكنه لما ذكـر موسـى عليه السلام قال :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَـاتٍ لِكُـلِّ صَـبَّارٍ شَـكُورٍ﴾ (ابراهيم:5)

سمت النبي:

قلت: فقـد ورد في وصـفه:(لا يصـيح ولا يرفـع ولا يسـمع في الشارع صوته) وهذا ينطبق على المسيح، فقد كان هينا لينا سهلا.

قال: وينطبق على محمد ﷺ بأسانيد أصرح وأوثق وأكثر، فقد اتفق أصحابه الكثيرون الذين لازموه على وصف كلامه ﷺ وسكوته وضحكه وبكائه.. فذكروا أنه (أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ويسبي الأرواح ويشهد له بذلك أعداؤه، وكان إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذ مسرع لا يحفظ ولا منقطع تخلله السكتات بين أفراد الكلام، بل هديه فيه أكمل الهدي..وكان كثيرا ما يعيد الكلام ثلاثا ليعقل عنه، وكان إذا سلم سلم ثلاثا، وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلام، فصل لا فضول ولا تقصير، وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وإذا كره الشيء عرف في وجهه، ولم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا، وكان جل ضحكه التبسم، بل كله التبسم فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه، وكان يضحك مما يضحك منه وهو مما يتعجب من مثله، ويستغرب وقوعه ويستندر)(1)

ومثل هذا كان بكاؤه ﷺ، فقد (كان من جنس ضحكه، لم يكن بشهيق ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا ويسمع لصدره أزيز)

ومما يدلك على انطباق هذا الوصف على رسول الله ﷺ أن أهل الكتاب ذكروا هذه الصفات عنه في كتبهم، وأقروا بانطباقها عليه، وقد روي من ذلك عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. قال: أجل والله، إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله ويفتح به قلوبا غُلفا، وآذانًا صمًا، وأعينًا عميًا)(2)

بل إن رسول الله ﷺ وصف حديثه، فقال: (إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم

1) زاد المعاد: 1/174، انظر التفاصيل الكثيرة المرتبطة بهذا في رسالة (النبي الإنسان) من هذه السلسلة.
2) رواه البخاري.

منه)[1]

ووصفه علي، وهو أحد أصحابه وآل بيته، فقال: (إذا حـدثتم عن رسول الله ﷺ حديثا، فظنوا به الـذي هـو أهـدى، والـذي هـو أهنـا، والذي هو أنجي، والذي هو أتقى)

هذا عن صفة محمد، أما المسيح فأنتم تروون عنـه في (مـتى: 27/46):(ونحو الساعة التاسعة صرخ يسـوع بصـوت عظيم قـائلاً: إيلي إيلي لمـا شـبقتني أي إلهي إلهي لمـاذا تركتـني) وفي (مـتى: 27/50):(فصرخ يسوع أيضـاً بصـوت عظيم وأسـلم الـروح)، وفي (لوقا:23/46): (ونـادى يسـوع بصـوت عظيم وقـال: يـا أبتـاه في يديك أستودع روحي)

ثبات النبي:

قلت: فقد ورد في البشارة قوله: (قصبة مرضوضة لا يقصـف، وفتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحـق، لا يكـل ولا ينكسـر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته)

قـال: وهـذا لا ينطبـق إلى على محمـد ﷺ.. فقـد كـان لـه من الثبات ما يزعـزع الجبـال.. لقـد حـاول أعـداؤه الكثـيرون ثنيـه عن دعوته بكل الوسائل، فلم يتزحزح، ولم ينثن.

اذهب إلى الكتب الكثيرة ذات الأسانيد العالية لتخبرك عن ثباته في وجه كل الأعاصير التي اعترضته[2]:

لقد استعمل أعـداؤه وسـيلة الأذى لـه ولأصـحابه، فلم يجـدهم ذلـك شـيئا.. ولقـد امتـد بهم الأذى حـتى ألقـوا سـلا الجـزور على ظهره وهو ساجد بين يدي الله في البيت الحرام.

وحُوصِر ﷺ في شعب أبي طالب مع بني هاشم وبـني المطلب حتى سُـمع صـوت صـبيانهم ونسـائهم يتضـاغون جوعـاً وطعـامهم الأوراق والجلود.. فما صده ذلك عن دينه.

وعندما رأت قريش صلابته مع أنواع الأذى التي كانت تكيلها لـه جربت أساليب أخرى، فأرسلت عتبة بن ربيعـة ــ وهـو رجـل رزين هادىء ـ فذهب إلى رسول اللـه ﷺ يقـول: (يـا ابن أخي، إنـك منـا حيث قـد علمت من المكـان في النسـب، وقـد أتيت قومـك بـأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أمـوراً لعلـك تقبل بعضها:

إن كنت إنما تريد بهذا الأمـر مـالاً جمعنـا لـك من أموالنـا حـتى

---

1) رواه أحمد.

2) انظر رسالة (معجزات حسية) من هذه السلسلة.

تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الـذي يأتيـك رئياً تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك، طلبنـا لـك الطب، وبـذلنا فيـه أموالنا حتى تبرأ)

فلما فرغ من قوله تلا رسول الله ﷺ عليه صدر سورة فصِّـلت من قوله تعـالى: حم تَنزِيـلٌ مِنْ الرَّحْمَـانِ الـرَّحِيمِ. كِتَـابٌ فُصِّـلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَـذِيرًا فَـأَعْرَضَ أَكْثَـرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَـا وَقْـرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ قُلْ إِنَّمَا أَنَـا بَشَـرٌ مِثْلُكُمْ يُـوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوه ُوَوَيْلٌ لِلْمُشْـرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ وَهُمْ بِـالْآخِرَةِ هُمْ كَـافِرُونَ (فصلت:1 ـ 7) حتى وصل إلى قوله تعالى: فَإِنْ أَعْرَضُـوا فَقُـلْ أَنْـذَرْتُكُمْ صَـاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (فصلت:13)

ما إن سمع عتبـة إلى هـذه الآيـات حـتى وضـع يـده على جنبـه وقام كأن الصواعق ستلاحقه، وعاد إلى قريش يقترح عليها أن تدع محمداً وشأنه!!

وأرسلوا وفدا إلى أبي طالب، يقولون له: (يا أبا طـالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وضلَّل آباءنا، فإمـا أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليـه من خلافـه)، فقـال لهم أبـو طـالب قـولاً جميلاً، وردَّهم ردّاً رفيقـاً فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله ﷺ بمـا هـو عليـه، ثم استشـرى الأمـر بينـه وبينهم حتى تباعد الرجال فتضاغنوا، وأكـثرت قـريش ذكـر رسـول الله ﷺ، وتآمروا فيه فمشَوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقـالوا: (يـا أبا طالب إن لك فينا سِنّاً وشرفاً، وإنـا قـد اسـتنهيناك أن تنهى ابن أخيك فلم تفعل، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آلهتنـا وآبائنـا وتسفيه أحلامنا حـتى تكفـه عنـا أو ننازلـه وإيـاك في ذلـك؛ إلى أن يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه)

وعندما ذكر أبو طالب لرسول الله ﷺ ما ذكروا له قال لـه: (يـا عماه، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته)، ثم بكى رسول الله ﷺ وقام، فلما ولّى ناداه عمه أبـو طـالب فأقبـل عليـه وقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسـلمك لشـيء أبداً، وأنشد:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسَّد في التراب دفينا

وهكذا خفقت كل وسائل قريش في إعاقة دعوة النبي ﷺ.

وظل الأمر هكذا إلى نهاية دعوته ﷺ يخطط له أعداؤه بكل ما أوتوا من مكر، فيواجههم بكل ما أوتي من ثبات.. وكان الله ينصره عليهم في كل حين، وفي كل محل.

أما المسيح عليه السلام، فأنتم تروون شكواه إلى ربه وهربه وخوفه، وأنتم ـ بعد ذلك ـ تعلمون أن أتباعه تفرقوا عنه، بل لم يزل أمر المسيحية مغلوباً حتى زمن قسطنطين الوثني الذي لم يرض عن المسيحية، ولم يقم بنشرها إلا بعد أن أرضت ميوله الوثنية التي ورثها من أسلافه.

بينما لم يخضع محمد ﷺ إلى أي مساومات في حياته جميعا.. بل آثر التضحية في سبيل نقاء دعوته وصفائها.

شريعة النبي:

لم أدر إلا وأنا أقول: لقد جاء في البشارة: (وتنتظر الجزائر شريعته، هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا)

قال: وهذا الجزء من البشارة لا ينطبق إلا على محمد ﷺ.. فهي تخبر عن أمرين كلاهما لا ينطبقان على المسيح، ولا على أي نبي بعد إشعيا.

أما الأول، فهو عن عموم شريعته جميع الأرض، وهذا لا ينطبق على رسالة أي رسول من الرسل.

والثاني، أنه يأتي بشريعة جديدة، كما ورد في نفس البشارة: (غنوا للرب أغنية جديدة) وهذا لا ينطبق إلا على محمد ﷺ.. فكل الأنبياء الذين تلوا موسى جاءوا بشريعة موسى، حتى المسيح، فأنتم تروون قوله:(لا تظنوا أني جئت لانقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض بل لأكمل)(متى 17:5).. فشريعة المسيح كانت شريعة موسى عينها.

أما بولس ـ الذين تزعمون تجديده لشريعة موسى ـ فإنه، وإن أبطل الشريعة الموسوية إلا أنه لم يثبت للمسيح شريعة غيرها، بل عوض أتباعه بالنعمة فقط.

أما محمد ﷺ، فقد جاء بالشريعة الكاملة الخاتمة التي تعبر عن مراضي الله في كل الشئون، وقد قال تعالى مخبرا عن اكتمالها: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾ (المائدة: 3)

وأخبر عن شمول هذه الشريعة كل تفاصيل الحياة وفروعها، فقال :﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:162)

وأخبر تعالى أن هذه الشريعة مهيمنة على سائر الشرائع وناسخة لها، فقال :﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة:48)

ولهذا أخبر أنه لا يقبل إلا الإسلام، فقال تعالى:﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:85)

الإنقاذ:

لم أدر إلا وأنا أقرأ: (أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للامم لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة)

قال: وهذا الجزء لا ينطبق إلا على رسول الله ﷺ.. فهي الدعوة الوحيدة من دعوات الأنبياء التي حققت ذلك النصر الذي لم يحققه أي نبي من الأنبياء..

لقد امتدت دعوة محمد ﷺ في فترة قصيرة إلى أكثر بقاع الأرض، لتفك أسر المأسورين، وتحرر الشعوب المستضعفة بالقوة والتضحية.. لقد ورد في القرآن الكريم الدعوة الصريحة إلى هذا، فقد ورد فيه قوله تعالى:﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾ (النساء:75)

إن هذه الاية تكاد تنطق بما نطقت به تلك البشارة.. إنها تخبر عن غرض مهم من أغراض رسالة محمد ﷺ لم يصرح به أي نبي من الأنبياء.. إن غرضها هو إنقاذ البشرية.. البشرية جميعا.. لا خراف بني إسرائيل وحدها.

وقد تحقق هذا في أجلى صوره.. والتاريخ يثبت ذلك:

لقد أنقذ المسلمون المستضعفين من جميع الأديان من القيود

التي كان الطواغيت يقيدونهم بها..
ولن أنقل لك هنا شهادات المسلمين، فقد لا تعترف بها.. بل سأنقل لك بعض شهادات بني قومك التي تؤكد لك هذه البشارة:
يقول ول ديورانت:(وكان اليهود في بلاد الشرق الأدنى قد رحبوا بالعرب الذين حرروهم من ظلم حكامهم السابقين.. وأصبحوا يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم وممارسة شعائر دينهم.. وكان المسيحيون أحراراً في الاحتفال بأعيادهم علناً، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجاً آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين.. وأصبح المسيحيون الخارجون على كنيسة الدولة البيزنطية، الذين كانوا يلقون صوراً من الاضطهاد على يد بطاركة القسطنطينية وأورشليم والاسكندرية وإنطاكيا، أصبح هؤلاء الآن أحراراً آمنين تحت حكم المسلمين)
ويقول:(لقد كان أهل الذمة، المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح، لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم)
ويقول توماس آرنولد: (لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي)
وينقل معرب (حضارة العرب) قول روبرتسن في كتابه (تاريخ شارلكن):(إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وإنهم مع امتشاقهم الحسام نشراً لدينهم، تركوا مَن لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بتعاليمهم الدينية)
وينقل عن الراهب ميشود في كتابه (رحلة دينية في الشرق) قوله: (ومن المؤسف أن تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح، الذي هو آية الإحسان بين الأمم واحترام عقائد الآخرين وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة)
وينقل ترتون في كتابه (أهل الذمة في الإسلام) شهادة البطريك (عيشو يابه) الذي تولى منصب البابوية حتى عام 657هـ: (إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون. إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون قديسينا وقسسنا، ويمدون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا)

ويقــول المفكــر الأســباني بلاســكوا أبــانيز في كتابــه (ظلال الكنيســة) متحــدثاً عن الفتح الإســلامي للأنــدلس: (لقــد أحســنت إسـبانيا اسـتقبال أولئـك الرجـال الـذين قـدموا إليهـا من القـارة الإفريقية، وأسلمتهم القرى أزمتها بغير مقاومة ولا عـداء، فمـا هـو إلا أن تقترب كوكبة من فرسـان العـرب من إحـدى القـرى؛ حـتى تفتح لها الأبواب وتتلقاها بالترحاب.. كـانت غـزوة تمـدين، ولم تكن غزوة فتح وقهر.. ولم يتخـل أبنـاء تلـك الحضـارة زمنـاً عن فضـيلة حرية الضـمير، وهي الدعامـة الـتي تقـوم عليهـا كـل عظمـة حقـة للشعوب، فقبلوا في المـدن الـتي ملكوهـا كنـائس النصـارى وبيـع اليهود، ولم يخشَ المسجد معابد الأديان الـتي سـبقته، فعـرف لهـا حقها، واستقر إلى جانبها، غـير حاسـد لهـا، ولا راغب في السـيادة عليها)

ويقــول المــؤرخ الإنجلـيزي السـير تومـاس أرنولـد في كتابـه (الدعوة إلى الإسلام):(لقـد عامـل المسـلمون الظـافرون العـرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجـرة، واسـتمر هـذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حـرة، وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هـذا بين جماعـات المسلمين لشاهد على هذا التسامح)

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: (العرب لم يفرضوا على الشــعوب المغلوبــة الــدخول في الإســلام، فالمســيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلـة للتعصـب الديني وأفظعها؛ سمح لهم جميعاً دون أي عـائق يمنعهم بممارسـة شـعائر دينهم، وتــرك المســلمون لهم بيــوت عبــادتهم وأديــرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أو ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟ ومتى؟)

ويقول المــؤرخ الإسـباني أولاغي: (فخلال النصـف الأول من القـرن التــاسع كــانت أقــلية مسـيحية مهمـة تعيش في قرطبـة وتمارس عبادتها بحرية كاملة)

ويقــول القس إيلُــوج: (نعيش بينهم دون أنْ نتعــرض إلى أيّ مضايقات، في ما يتعلق بمعتقدنا)

ويقول غوستاف لوبون في كتابه (حضـارة العـرب):(إن القـوة لم تكن عـاملاً في انتشـار القـرآن، فقـد تـرك العـرب المغلـوبين أحراراً في أديانهم.. فإذا حدث أن انتحل بعض الشـعوب النصـرانية

الإسلام واتخذ العربية لغة لـه؛ فـذلك لمـا كـان يتصـف بـه العـرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهـد بمثلـه، ولمـا كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى)

ويقــول: (ومــا جهلــه المؤرخــون من حلم العــرب الفــاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السـريعة في اتسـاع فتوحـاتهم وفي سهولة اقتناع كثـير من الأمم بـدينهم ولغتهم.. والحـق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب، ولا دينـاً سـمحاً مثـل دينهم)

ويوافقه المؤرخ ول ديـورانت فيقـول:(وعلى الـرغم من خطـة التسامح الديني التي كـان ينتهجهـا المسـلمون الأولـون، أو بسـبب هـذه الخطــة اعتنــق الــدين الجديــدَ معظمُ المســيحيين وجميــع الزرادشــتيين والوثنــيين إلا عــدداً قليلاً منهم.. واســتحوذ الــدين الإسـلامي على قلـوب مئـات الشـعوب في البلـدان الممتـدة من الصين وأندنوسيا إلى مراكش والأندلس، وتملك خيـالهم، وسـيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث آمالاً تخفف عنهم بؤس الحيــاة ومتاعبها)

ويقــول روبرتســون في كتابــه (تــاريخ شــارلكن):(لكنــا لا نعلم للإسلام مجمعاً دينياً، ولا رسلاً وراء الجيـوش، ولا رهبنـة بعـد الفتح، فلم يُكره أحد عليـه بالسـيف ولا باللسـان، بـل دخـل القلـوب عن شوق واختيار، وكان نتيجة ما أودع في القـرآن من مـواهب التـأثير والأخذ بالأسباب)

ويقول آدم متز: (ولما كان الشرع الإسلامي خاصاً بالمسـلمين، فقد خلّت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الأخـرى وبين محـاكمهم الخاصة بهم، والذي نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كـانت محـاكم كنسية، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومـون فيهـا مقـام كبـار القضــاة أيضــاً، وقــد كتبــوا كثــيراً من كتب القــانون، ولم تقتصــر أحكامهم على مسائل الـزواج، بـل كـانت تشـمل إلى جـانب ذلـك مسائل الميراث وأكثر المنازعات الـتي تخص المسـيحيين وحـدهم مما لا شأن للدولة به)

الحج والآذان:

صمت، فأخذت أقرأ: (أنا الرب هـذا اسـمي ومجـدي لا اعطيـه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات. هوذا الأوليات قد أتت والحـديثات أنـا مخـبر بهـا قبـل أن تنبت أعلمكم بهـا.. غنـوا للـرب أغنيـة جديـدة تســبيحه من أقصــى الارض أيهــا المنحــدرون في البحــر وملــؤه

والجزائر وسكانها لترفع البرية ومـدنها صـوتها الـديار الـتي سـكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطـوا الـرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر)

استوقفني، وقال: هـذه نبـوءة أخـرى لا يمكن أن تنطبـق على غير محمد ﷺ..

إن هذه النبوءة تتحدث عن مواضـع محـددة معروفـة تسـميها.. إنها تـذكر (الـديار الـتي سـكنها قيـدار)، وتـذكر (سـالع)(1)، وتـذكر (رؤوس الجبال).. إنها تحدد أماكن محـددة، وهي لا تنطبـق إلا على الحجاز الذي يوجد فيه جبل عرفات الذي ينحدر إليه الناس من كل الأرض، كما جاء في النبوءة: (غنوا للرب أغنية جديـدة تسـبيحه من أقصى الارض أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها)

قلت: فما الأغنية الجديدة التي تترنم بها تلك الجبال؟

---

1) سِلَع (סלע) وأهل سِلَع : وتكتب فى الأصل العبرى (סלע) مِن ثلاث حروف هى (س ل ع). ويلاحظ جيدا أنَّ حرف السين مكسور حيث كُتِبَ تحته ثلاث نقاط تفيد الكسر فى العبرية، وحرف اللام مفتوح ثم العين مهملة التشكيل فالنطق الصحيح للكلمة هى سِلَع وليس سالع بفتح السين فتحة طويلة كما جاء فى النسخ العربية.

وهذا الجذر اللغوى غير معروف فى العبرية وإنما هو عربى تماما تجده فى المعاجم العربية وفى كتب السيرة والحديث والشعر العربىّ.

والاسقاط الجغرافى والتاريخى لمدينة سِلَع يشيران إلى المدينة المنورة، حيث نطقت باسمها أشعار العرب القدماء فى جاهليتهم وتناقلته عامتهم، ولا يزال هناك جبلان بها يحملان ذات الاسم القديم، فهناك جبل سِلَع الذى ورد اسمه فى قصيدة للشاعر الجاهلى الشنفرى ابن أخت تأبط شرا حين قال فى رثاء لخاله تأبط شرا :

إنَّ بالشعب الذى دون سِلَع .. لقتيلا دمـــه ما بطل

وهناك أيضا جبل آخر صغير بالمدينة يسمى سُلَيْع تصغير على وزن جُبَيْل، وقد ذكر وبيَّنَ المؤرخون العرب والنسَّابون أنَّ سِلَع من أسماء المدينة المنورة قديما.

وقد ذهب غالبية علماء المسيحية إلى أنَّ مدينة سِلَع هى عاصمة دولة العرب الأنباط فى جنوب الأردن قريبا من مدينة العقبة، وهذه المدينة يطلق عليها اليونان اسم بَطرا (Petra) بمعنى الصخرة مؤنث بُطرُس.

ولذلك نجد اسم المدينة سِلَع قد كُتِب فى الترجمات الإنجليزية صخرة (Rock) وكما فعلت النسخة العربية للآباء اليسوعيين مع أنَّ الكلمة عربية وليست بعبرية أو يونانية.

والحقيقة خلاف ذلك تماما، حيث دلت أحجار تلك المدينة التى كانت عاصمة لدولة العرب الأنباط باسمها العربىّ الحقيقىّ، فعلى مسلتين من المسلات الحجرية فى مدخل تلك المدينة الغابرة نُقِش الاسم بالحرف النبطى. إنها مدينة الرقيم وليست مدينة سِلَع، ودلت على ذلك أيضا السجلات اليهودية القديمة مثل كتابات المؤرخ اليهودى القديم يوسف ابن متى المتوفى فى بداية القرن الثانى الميلادى.

يقول المؤرخ العربى الأصل، المسيحى الديانة فيليب حتى فى تأريخه لسوريا: (إن كلمة بتراء (Petra) هى اللفظ اليونانى لكلمة صخرة وفى العربية الفصحى الرقيم وهى ترجمة كلمة سِلَع (Sela) العبرية) (تاريخ سوريا:1 / 418)

وقد عرفنا أنَّ كلمة سِلَع ليست بعبرية ولا يعرف لها استخدام فيها، والصحيح هو ما دلت عليه النقوش التى على الأحجار، فهناك مدينة سِلَع بأرض الجنوب العربى، وهناك مدينة الرقيم فى جنوب الأردن، ونصوص سفر أشعياء لا تنطبق على مدينة الرقيم ولم يهاجر إليها أحد ولم تحدث حرب بين أهلها وبين جبابرة بنى قيدار بعد سنة واحدة كسنين الأجير من حادث الهجرة. (انظر: نبي أرض الجنوب)

قال: ألم تسمع قط تلك التلبيات الجميلة التي يمتلئ بها جبل عرفات، ومكة التي كانت أرض قيدار؟

أليست أجمل أغنية في الأرض هي الأغنية التي تقول:(لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)؟

إنها الأغنية التي توحد الله، وتعلن العبودية له، وتجمع جميع الألوان والأجناس والشعوب على ذلك.. بصوت واحد، وبقلب واحد.

أخبرني في أي لحظة من لحظات التاريخ حصل هذا؟

بل في أي بقعة من بقع العالم تجتمع كل تلك القلوب لتغني تلك الأغنية الجميلة التي لا تساويها في كلماتها ولا ألحانها ولا عدد المغنين بها أي أغنية من أغاني العالم؟

أنت تزعمون أنكم أتباع المسيح، وأحباب المسيح.. هل لديكم أغنية مثل هذه الأغنية؟

صمت، فقال: ألم أقل لك: إن إشعيا لا يبشر بمحمد ﷺ فقط، بل هو يصفه ويؤرخ له.

قلت: ولكن التلبية خاصة بموضع محدد، وهذه النبوءة تقول: (ويخبروا بتسبيحه في الجزائر)

قال: هذه نبوءة أخرى.. وهي تشير إلى الآذان.. فهل تسمع تسبيح الله وذكره وتمجيده في أي بقعة من العالم مرفوعا كما يرفعه المسلمون.

إن المسلمين وحدهم في العالم الذين جعلوا من ندائهم للصلاة تمجيدا ودعوة لله.. ألستم آثرتم الأجراس؟.. فهل الأجراس هي التي تسبح، أو الصوت الخاشع الممجد لله هو المسبح؟

القوة:

صمت، فرحت أقرأ: (الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه قد صمت منذ الدهر سكت تجلدت كالوالدة أصيح أنفخ وأنخر معا أخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار يبسا وأنشف الآجام وأسير العمي في طريق لم يعرفوها في مسالك لم يدروها أمشيهم أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم قد ارتدوا إلى الوراء يخزى خزيا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات: أنتنّ آلهتنا)

استوقفني، وقال: وهذه النبوءة لا يمكن انطباقها على غير

محمد ﷺ.. فهو النبي الوحيد الذي أعطاه الله من القوة ما أمن بـه دينه، وحفظ به شريعته.

قلت: أتفخرون بالقوة؟

قال: إذا لم يسع أهل الحـق لتحصـيل القـوة الـتي يحمـون بهـا الحق، وينصرون بها المستضعفين، فلمن يتركون القوة؟

لقد أمرنا القرآن الكريم كتاب المسلمين المقدس بالتمكن من القوة التي تحفظ الحق وأهل الحق، فقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَـا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُـونَ بِـهِ عَـدُوَّ اللَّهِ وَعَـدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (لأنفال: 60)

ثم إن النص أخبر أن هذا الموعود (كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض) وهي إقرار لهذا التصرف من هذا النبي.

قلت: ولكن النص قـال: (الـرب كالجبـار يخـرج كرجـل حـروب ينهض)، فهو يتحدث عن الرب لا عن البشر.

قــال: أنت تعلم أن كلمــة (الــرب) في الكتــاب المقــدس لا تستخدم بحق الله تعـالى فقـط.. بـل هي تسـتخدم بمعـنى السـيد والمعلم، فقد جاء في إنجيـل يوحنـا (1 :ـ 38) مثلا: (فقـالا: ربي! الذي تفسيره يا معلم، أين تمكث؟).. وجاء فيه أيضا: (20 :ـ 16): (قال لها يسوع: يا مريم! فالتفتت تلـك وقـالت لـه: ربـوني! الـذي تفسيره يا معلم)

بــل إن القــرآن الكــريم مــع تشــدده في نفي ذرائـع الشــرك استخدم هذه اللفظـة بهـذا المعـنى، فقـد جـاء فيـه :﴿ يَـا صَـاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً ﴾ (يوسف: 41)، وجـاء فيـه : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْـدَ رَبِّكَ فَأَنْسَـاهُ الشَّـيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف:42)

التفت إلي، وقال: لقد شبهت النبوءة هذا النبي الموعود برجـل حــرب، فقــد ورد فيهـا (كرجـل حــروب).. فهـل تحقــق هـذا في المسيح؟.. وكم غزوة غزا المسيح؟

صمت، فقال: أما محمد ﷺ فقد كان رجل حروب حقيقي.. لقد خاض ﷺ غزوات حروبا كثيرة، بل لم تخلو فترة من فترات وجوده في المدينة من غزوة يقوم بها(1).

فهل ترى في جميع التاريخ محاربا حارب باسم الله كما حـارب

---

1) أحصى بعضهم غزوات النبي ﷺ بحسب الطوائف التى ضـمتها، وهـذا ملخص لمـا ذكر من ذلك مما يثبت صدق هذه النبوءة... أما ما يتعلق منها بالشبه في هذا الباب، فقـد ورد الجواب عنه في الجزء الموسوم بـ (النبي المعصوم):

محمد ﷺ؟

أما المسيح.. فأنتم تزعمون أنه أبعد الناس عن الحروب.. فما دام كذلك، وما دمتم ترمون محمدا ﷺ بالحرب، فلم لا تقولون بانطباق هذه البشارة عليه؟

صمت، فقال: أدرك ما في نفسك، وما في نفس قومك من هذا.. أنتم تصورون محمدا بصورة المحارب القاسي.. لقد كنت مثلكم أعتقد ذلك.. ولكني لما عرفته رأيت الرحمة الشاملة الكاملة تنتظم في شخصيته وتعاليمه.

لن أحدثك عن هذا الآن.. وإن كنت صادقا.. فسيقيض الله لك من يبين لك رسالة السلام العظيمة التي كان يحملها محمد ﷺ وتعاليم محمد ﷺ.

---

(1) قريش مكة: وهى القبيلة التى ينتمى إليها النبى ﷺ، وكانت معهم الغزوات: سيف البحر ـ الرابغ ـ ضرار ـ بواط ـ سفوان ـ ذو العشيرة ـ السويق ــ ذو قردة ــ أحد ـ حمراء الأسد ـ بدر الآخرة ـ الأحزاب ـ سرية العيص ـ سرية عمرو بن أمية ــ الحديبية ـ سيف البحر الثانية 8هـ ـ فتح مكة.

(2) قبيلة غطفان وأنمار: غطفان من مضر، والغزوات التى ضمتها هى: قرقرة الكدر ـ ذى أمر ـ دومة الجندل ـ بنى المصطلق ـ الغابة ـ وادى القرى ــ سرية كرز بن جابر ـ ذات الرقاع ـ تربة ـ الميفعة ـ الخربة ـ سرية أبى قتادة ـ عبد الله بن حذافة.

(3) بنو سليم: وهم قبيلة عظيمة من قيس عيلان، والغزوات التى خاضها ﷺ مع بنى سليم هى: بئر معونة ـ جموم ـ سرية أبى العوجاء ـ غزوة بنى ملوح وبنى سليم.

(4) بنو ثعلبة: وهم من مر بن أد، والغزوات التى غزاها ﷺ معهم هى: غزوة ذى القصة ـ غزوة بنى ثعلبة ـ غزوة طرف ـ سرية الحسمى.

(5) بنو فزارة وعذرة: وهم بطن من ذبيان من غطفان، وكان معهما الغزوات والسرايا الآتية: سرية أبى بكر الصديق ـ سرية فدك ـ سرية بشير بن سعد ــ غزوة ذات أطلح.

(6) بنو كلاب وبنو مرة، والغزوات التى كانت معهم: غزوة قريظة ـ غزوة بنى كلاب ـ غزوة بنى مرة ـ سرية ضحاك.

(7) عضل والقارة: وهم بطن من بنى الهون من مضر، وقد غزاهم النبى ﷺ غزوة واحدة هى غزوة الرجيع.

(8) بنو أسد: وهم حى من بنى خزيمة، والغزوات التى غزاهم رسول الله ﷺ هى: سرية قطن ـ سرية عمر مرزوق ـ غزوة ذات السلاسل.

(9) بنو ذكوان: وهم بطن من بهتة من سليم، ولم يغزهم رسول الله ﷺ إلا غزوة واحدة هى غزوة بئر معونة.

(10) بنو لحيان: وهم من هذيل، وقد غزاهم النبى ﷺ غزوة واحدة هى:غزوة بنى لحيان.

(11) بنو سعد بن بكر: وقد أرسل لهم النبى ﷺ سرية واحدة هى سرية فدك.

(12) بنو هوازن: وهم بطن من قيس عيلان، وقد غزاهم ﷺ غزوة ذات عرق.

(13) بنو تميم: وهم بطن من طابخة.

(14) بنو ثقيف: وهم بطن من هوازن، وقد غزاهم النبى ﷺ غزوتين هما: غزوة حنين، وغزوة الطائف.

تعظيم الشريعة:

رحت أقرأ:(أيها الصم اسمعوا، أيها العمي انظروا لتبصــروا من هو أعمى إلا عبـدي وأصـم كرسـولي الـذي أرسـله من هـو أعمى كالكامل وأعمى كعبد الرب ناظر كثيرا ولا تلاحظ.مفتوح الأذنين ولا يسمع الرب قد سرّ من أجل بره يعظّم الشريعة ويكرمها)

قال: في هـذه البشـارة إخبـار عن تعظيم هـذا النـبي الموعـود للشريعة.. فهل عظمتم الشريعة كما عظيمها محمد ﷺ ؟

لقد كان أول مـا بـدأتم بـه نقضـكم للشـريعة.. ألم تقـرأ قـول بولس سندكم الأول ورسولكم الأول، وهو يتهكم بالشـريعة، ويلقي اللائمــة عليهــا، لقــد كــان يقــول في رســائله:(فمــاذا نقــول؟ هــل الناموس خطية؟ حاشا! بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس، فـإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقـل النـاموس (لا تشـته)، ولكن الخطيـة وهي متخـذة فرصـة بالوصـية أنشـأت في كـل شـهوة، لأن بـدون الناموس الخطية ميتة. أمـا أنـا فكنت بـدون النـاموس عائشـا قبلا. ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا) (رومية 7/7-9)، فهل خلق الله تعالى جسـده بلا شـهوة، ثم عرفهـا عنـدما قـرأ في الناموس؟

سـكت، فقـال: ألم تقـرأ قولـه وهـو يـبين سـر عـدم اهتمامـه بالناموس:(لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب (ملعون كل من لا يثبت في جميع مـا هـو مكتـوب في كتاب الناموس ليعمل به)، ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عنـد اللـه فظـاهر، لأن (البـار بالإيمـان يحيـا). ولكن النـاموس ليس من الإيمان، بل (الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها) (غلاطية 3/10-12)

ألهذه الدرجة صار الإيمان بالكتاب ومباشرة الأعمـال الصـالحة في عرف بولس لعنة؟

سكت، فقال: ليس هـذا فقـط.. كـل هـذا مجـرد تمهيـد لنقض الناموس الذي لم يتجرأ المسيح على نقضه.

لقد مهد بولس بكل ذلك لقضية كان يرمي إليهـا.. كـان يـرمي أن يوصل مستمعيه إلى أن كل ما يفعلونـه خطيئـة ولعنـة وحـرام، ولن يتـبرروا بـه، بـل لن تكـون لهم حيـاة كريمـة على الإطلاق إلا بالإيمان المجرد عن الناموس، واسمع إليه، وهو يقول: (إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسـوع المسـيح، آمنـا نحن أيضا بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما) (غلاطية 2/16)

ولم تكن هذه مجرد دعوة، بل إنه شن حملة في بداية دعوته على الختان باعتباره من الناموس، واسمع إليه، وهو يقول لأهل روما: (فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس. ولكن إن كنت متعديا الناموس فقد صار ختانك غرلة! إذا إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أفما تحسب غرلته ختانا؟ وتكون الغرلة التي من الطبيعة وهي تكمل الناموس تدينك أنت الذي في الكتاب والختان تتعدى الناموس؟ لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهوديا ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانا بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحه ليس من الناس بل من الله)(رومية 2/25-29)

أترى أن هذه التفرقة بين الغرلة والختان وردت بالتوراة أو الأناجيل الأربعة؟

سكت فواصل يقول: لقد أثر هذا في كل المسيحيين من بعده.. كلكم راح يتهكم بالشريعة التي لم يتجرأ المسيح على نقضها، لقد قال مارتن لوثر: (إن الإنجيل لا يطلب منا الأعمال لأجل تبريرنا، بل بعكس ذلك، إنه يرفض أعمالنا.. إنه لكي تظهر فينا قوة التبرير يلزم أن تعظم آثامنا جدا، وأن تكثر عددها)

ويقول في شرحه ليوحنا (3/16): (أما أنا فأقول لكم إذا كان الطريق المؤدي إلى السماء ضيقا وجب على من رام الدخول فيه أن يكون نحيلا رقيقا.. فإذا ما سرت فيه حاملا أعدالا مملوءة أعمالا صالحة، فدونك أن تلقيها عنك قبل دخولك فيه، وإلا لامتنع عليك الدخول بالباب الضيق.. إن الذين نراهم حاملين الأعمال الصالحة هم أشبه بالسلاحف، فإنهم أجانب عن الكتاب المقدس. وأصحاب القديس يعقوب الرسول، فمثل هؤلاء لا يدخلون أبدا)

ويرد عندما سئل عن حقيقة الإيمان فيقول: (إن السيد المسيح كي يعتق الإنسان من حفظ الشريعة الإلهية قد تممها هو بنفسه باسمه، ولا يبقى على الإنسان بعد ذلك إلا أن يتخذ لنفسه، وينسب إلى ذاته تتميم هذه الشريعة بواسطة الإيمان، ونتيجة هذا التعليم هو أن لا لزوم لحفظ الشريعة، ولا للأعمال الصالحة)(1)

ليس هذا فقط.. بل أصبح هم القديسين والمبشرين الدعوة إلى الخطيئة والتحلل من الدين:

يقول ميلا نكتون في كتابه (الأماكن اللاهوتية):(إن كنت سارقا أو زانيا أو فاسقا لا تهتم بذلك، عليك فقط أن لا تنسى أن الله هو

1) هل افتدانا المسيح على الصليب ؟ لمنقد محمود السقار، ص 125.

شيخ كثير الطيبة، وأنه قد سبق وغفر لك خطاياك قبل أن تخطئ بزمن مديد)

ويقول القس لبيب ميخائيل: (الأعمال الصالحة حينما تؤدى بقصد الخلاص من عقاب الخطيئة تعتبر إهانة كبرى لذات الله، إذ أنها دليل على اعتقاد من يقوم بها، بأن في قدرته إزالة الإساءة التي أحدثتها الخطيئة في قلب الله عن طريق عمل الصالحات.. وكأن قلب الله لا يتحرك بالحنان إلا بأعمال الإنسان، وياله من فكر شرير ومهين)(1)

بينما الكتاب المقدس الذي جاء به محمد ﷺ، بل كل الكلمات التي نطق بها تحض على تعظيم الشريعة، وتحذر من التحقير لها.

اسمع هذا النص الذي ورد في القرآن الكريم :﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:32)

واسمع لهذه القصة التي تبين لك حرص محمد ﷺ على تطبيق الشريعة، ولو على أهل بيته.

لقد ورد في التواريخ الصحيحة أن قريشا قوم محمد ﷺ سرقت امرأتان منهم من أشرافهم من بني مخزوم، فأهمهم شأنها، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: (أتشفع في حد من حدود الله)، ثم قام فاختطب فقال: (أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)(2)

وقد امتلأ القرآن الكريم، ومثله السنة المطهرة بكل ما يوفر في المؤمنين دواعي التزام الشريعة من الخطابات التوجيهية، والأحكام التشريعية التي تضمن استمرار تعظيم الشرعية والمحافظة على تطبيقها.

بل إن المسلمين الآن مع بعدهم عن دينهم أحسن حالا بكثير من جميع أصحاب الأديان الذين لم يبق لهم من أديانهم إلا طقوس يحتفلون بها، ثم ينشغلون بعدها بما تمليه أهواؤهم.

نبوءة عن مكة:

فتح الكتاب المقدس على سفر إشعيا، ثم قال لي: اقرأ لي هذه البشارة الجديدة من بشارات إشعيا.

---

1) المسيح ﷺ بين الحقائق والأوهام - محمد وصفي،ص 67.

2) البخاري ومسلم.

أخذت أقرأ: (ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل، قال الرب أوسعي مكان خيمتك، ولتبسط شقق مساكنك لا تمسكي أطيلي أطنابك وشددي اوتادك لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربة لا تخافي لأنك لا تخزين ولا تخجلي لأنك لا تستحين فإنك تنسين خزي صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس اسرائيل إله كل الأرض يدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب وكزوجة الصبا اذا رذلت قال إلهك لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة وباحسان أبدي أرحمك قال وليك الرب لأنه كمياه نوح هذه لي كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب: أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية ها أنذا أبني بالاثمد حجارتك وبالياقوت الازرق أسسك وأجعل شرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيرا بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك ها إنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندي من اجتمع عليك فإليك يسقط ها أنذا قد خلقت الحداد الذي ينفخ الفحم في النار ويخرج آلة لعمله وأنا خلقت المهلك ليخرب كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب) (إشعياء: 45 : 1-17)

قال: هذه النبوءة تخاطب مكة المكرمة.. البلد الذي ولد فيه محمد ﷺ وتربى فيه.. وفيه بدأت دعوته..

إنها تبشرها، وتدعوها إلى الفرح والغناء، وتسميها العاقر، لعدم ظهور نبي فيها بعد إسماعيل عليه السلام.

لقد نص القرآن الكريم على هذا العقر، فالله تعالى يقول : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (السجدة:3)، ويقول :﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص:46)

أما (بنو المستوحشة)، فهم أولاد هاجر، كما في سفر (التكوين

16: 11-12)، أما (بنو ذاتٍ رجل)، فهم هم أولاد سارة.
وأما (ويرث نسلك أمماً) فقد حصل هذا، بما فتح الله على هذه الأمة لا يشك أحد فيها.. وهي لم تتحقق لأي نبي من الأنبياء.
أما قوله: (لا تخافي لأنك لا تخزين ولا تخجلي لأنك لا تستحين) وما بعدها، فيشير إلى استمرار الأمن والإسلام في مكة المكرمة.
وأما قوله: (كل آلة صورت ضدك لا تنجح)ن ففيه إشارة إلى حماية مكة المكرمة، كما حدث لأبرهة الأشرم حين غزاها فهزمه الله تعالى شر هزيمة.
قلت: يمكنك تطبيق جميع النبوءة على مكة.. ولكني أتساءل عن سر اهتمام إشعيا بها.
قال: ليس إشعيا وحده.. ففي الكتاب المقدس النصوص الكثيرة التي تتحدث عن هذه المدينة المقدسة، ألم تقرأ في (المزمور84/2-10)، فقد ورد فيه:(تشتاق بل تتوق نفسي الى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالاله الحي. العصفور أيضا وجد بيتا والسنونة عشًّا لنفسها حيث تضع أفراخها مذابحك يا رب الجنود ملكي والهي. طوبى للساكنين في بيتك ابدا يسبحونك.سلاه طوبى لاناس عزهم بك. طرق بيتك في قلوبهم. عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعا.ايضا ببركات يغطون مورة)
أما السر في ذلك.. فقد نص عليه قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ (آل عمران:96)
فتح الكتاب المقدس في موضع آخر، وهو يقول: هناك إشارة أخرى لهذه المدينة المباركة في سفر إشعيا.. اقرأ.
أخذت أقرأ من الموضع الذي عينه لي: (شددوا الأيادى المسترخية، والركب المرتعشة ثبتوها، وقولوا لخائفى القلوب تشددوا لا تخافوا، هو ذا إلهكم، الانتقام يأتى، جزاء الله هو يأتى ويخلصكم، حينئذ تنفقح عيون العمى، وآذان الصم تنفتح، حينئذ يقفز الأعرج كالأيل، ويترنم لسان الأخرس، لأنه قد انفجرت فى البرية مياه، وأنهار فى القفر، ويصير السراب أجما، والمعطشة ينابيع ماء، فى مسكن الذئاب فى مربضها دار للقصب والبردى، وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة. لا يعبر فيها نجس بل هي لهم. من سلك فى الطريق حتى الجهال لا يضل، لا يكون هناك أسد، وحش مفترس لا يصعد إليها. لا يوجد هناك. بل يسلك المفديون فيها، ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدى على رءوسهم، ابتهاج وفرح يدركانهم، ويهرب

الحزن والتنهد) (إشعياء 3/35-10)

قال: إن هذه النبوءة لمن نظر إليها بقلب صادق لا يمكن أن تنطبق إلا على محمد وأصحاب محمد والبلدة التي جاء منها محمد.

أتعلم من هؤلاء المغلوب على أمرهم، أصحاب الركب المرتعشة، والقلوب الخائفة الوجلة، الذين لا يملكون من أمرهم شيئا.. إنهم أولئك المستضعفين من العبيد والموالى الذين كانوا أول من اتبع محمدا..

ابحث في دفاتر أصحاب الأنبياء.. هل تجد أسماء مثل بلال، وعمار، وياسر، وخباب، وسمية وزنيرة.. إن هؤلاء المستضعفين من البسطاء هم الذين قام عليهم الإسلام، وهم الذين تشير إليهم هذه النبوءة.

إن هذه النبوءة تكاد تصرح بمسالك المسلمين وطرقهم فى الصحراء العربية، برية فاران أثناء ذهابهم وإيابهم لحج بيت الله الحرام، الطرق المقدسة التى لايعبر فيها نجس، أممى مشرك.. إن القرآن الكريم يصرح بهذا، يقول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (التوبة:28)

أخبرني.. هل هناك مدينة في الدنيا تراعي ديانة الداخلين إليها عدا هذه المدينة المقدسة؟

قلت: ولكن النبوءة تتحدث عن الله، فهي تقول :(هو ذا إلهكم)

قال: أنت تعلم أن لفظ (الله) يطلق فى الكتاب المقدس على الله، وعلى الأنبياء، وعلى الملائكة، وعلى الملوك حتى ولو كانوا مشركين، وعلى العظماء، بل وعلى عامة الناس.

سلمت لما قال، ففي الكتاب المقدس الشواهد الكثيرة المثبتة لذلك.

رأى تسليمي، فراح يقول: إن النبوءة تنص على أن أتباع محمد لم يتقاعسوا عنه، لم يطلبوا الموت فقط، بل كانوا يتسابقون إليه، ويتنافسون فى الفوز به.. والتاريخ الإسلامي يثبت ذلك.. إنك لن تجد في التاريخ جميعا رجالا يقولون لنبيهم: (فوالذى بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد)

إن هذه النبوءة تعيد ذكرى اسم الصحابى الأعرج الجليل عمرو بن الجموح، الذي لم يتقهقر عند الموت، والذي قال لمحمد: (والله

إني لأرجو أن اطأ بعرجتي هذه أبواب الجنة)

وفي هـذه النبـوءة نلاحـظ المـؤمن المسـارع فى الطاعـات والعبادات، وأداء الفرائض والمناسك وعمل الصالحات.

ونلاحـظ فيهـا المؤمـنين، وهم يسـيرون في البريـة القاحلـة، الأرض القفر المعطشـة، الصـحراء الـتى تفجـر فيهـا ينبـوع المـاء، وفيهـا الطـرق الطـاهرة الآمنـة، الـتى ليس فيهـا أسـد ولا حيـوان مفترس، التى يقال لها الطرق المقدسة، وعودة الحجيج المفـديين (أى المغفور لهم) إلى الديار بفرح وابتهاج عظيم.

أمية النبي:

قال: ليس هذا فقط ما جاء به إشعيا من بشـارات.. لقـد بشـر إشعيا بنبي لا يقرأ، ولا يعرف القراءة، فقد جاء في سـفر (إشـعياء 29:ـ 12) في نبـوءة عن شـخص يتلقى الـوحي وهـو لا يسـتطيع القراءة:(وعنـدما يناولونـه لمن يجهـل القـراءة قـائلين: اقـرأ هـذا، يجيب: لا أستطيع القراءة)

إن هذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على محمد ﷺ، فلم يكن ﷺ يقـرأ ولا يكتب، بـل أخـبر اللـه تعـالى عن وجـود هـذا الوصـف لمحمـد ﷺ في الكتب السـابقة، فقـد قـال تعـالى:﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُـونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـاهُمْ عَنِ الْمُنْكَـرِ وَيُحِـلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَـاتِ وَيُحَـرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِـهِ وَعَـزَّرُوهُ وَنَصَـرُوهُ وَاتَّبَعُـوا النُّورَ الَّذِي أُنْـزِلَ مَعَـهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (لأعراف:157)

بل إن هذا الوصف يكاد يصور ما حصل لمحمد ﷺ في أول يوم نزل عليه الوحي، وقد صورت لنا الأسانيد الكثيرة: أن رسـول اللـه ﷺ كان يأتي حراء فيتحنث فيه ـ وهو: التعبد ـ الليالي ذواتَ العـدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فَتُـزَوِّد لمثلهـا حـتى فَجَـأه الحـق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، فقال رسول اللـه ﷺ: (ما أنا بقارئ)، قال: فأخذني فَغَطَّني حتى بلغ مني الجهـد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فَغَطَّني الثانية حـتى بلـغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنـا بقـارئ. فغطـني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسـلني فقـال :﴿ اقْـرَأْ بِاسْـمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(العلق: 1)حتى بلغ :﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

اقرأ هـذه القصـة على الجاحـدين من بـني قومـك لينـالوا هـذا الشـعاع من أشـعة محمـد.. أتـرى هـذا الرجـل الـذي يقـول هـذا،

والرجل الذي يفعل هذا، كاذبا ؟.. لا والله.

علامات النبوة:

أخذ يبحث في سفر إشعيا على موضع محدد، وهو يقول: ليس هذا فقط.. إن سفر إشعيا يكاد يكون مختصا بوصف محمـد.. اقـرأ هذا الموضع.

قرأت ما طلب مـني: (لأنـه يولـد لنـا ولـد، ونعطى ابنـا وتكـون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا، الها قديرا ابا ابـديا رئيس السلام. لنمـو رياسـته، وللسـلام لا نهايـة على كرسـي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الأبد غـيرة رب الجنود تصنع هذا)(اشعياء9 : 6-7)

قال: هذه النبوءة تكاد تنطق باسم محمد.

قلت: لا.. هذه النبوءة عن المسيح.. إنها تـذكر داود.. والمسـيح من نسل داود.

قال: لا.. إن هذه النبوءة تتحدث عن نبي تكون له رئاسة، وهـذا لا يتحقق في المسيح، فهو لم يملـك على قومـه يومـاً واحـداً.. بـل كان فاراً من بني إسرائيل حتى بعد قيامته التي تؤمنون بها.. خائفاً من بطشهم كما هرب من قومه حين أرادوه أن يملك عليهم، كمـا في يوحنا: (وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يـأتوا ويختطفـوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده)(يوحنا 6/15)

ثم إن إشـعيا يتحـدث عن رئيس السـلام، وهـو لا ينطبـق على الذي نسبت إليه الأناجيل أنه قال: (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً) (مـتى 10/34 – 36)، ويقـول في انجيل (لوقا 12: 49-53): (جِئْتُ لأُلْقِيَ نَاراً عَلَى الأَرْضِ فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟ وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا وَكَيْفَ أَنْحَصِـرُ حَتَّى تُكْمَـلَ؟ أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَـلاَماً عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ أَقُـولُ لَكُمْ! بَـلِ انْقِسَاماً)

و إشعيا يتحدث عن قدير، وليس عن بشر محـدود أخـذه بعض اليهود والرومان وصلبوه وهو لا يقدر أن يصنع من نفسه شـيئاً كمـا قال عن نفسه: (أنا لا أقدر أن أفعـل من نفسـي شـيئاً كمـا أسـمع أدين)(يوحنا 5/30)

وفوق هذا كله.. فإن الكتاب المقدس يمنـع أن يكـون المسـيح ملكاً على بني إسرائيل، فقد حرم الله الملـك على ذريـة يهويـاقيم (الياقيم)وهو أحد أجداد المسيح فقد ورد في العهد القديم: (هكـذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا: لا يكون له جالس على كرسي

داود.. وأعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم)(إرميا 36/30 – 31)، والمسيح ابن مريم بحسب الأناجيل من ذرية هذا الملك الفاسق كما في سفر الأيام الأول:(بنو يوشيا: البكر: يوحانان، الثاني: يهوياقيم، الثالث: صدقيا، الرابع: شلوم. وابنا يهوياقيم: يكنيا ابنه، وصدقيا ابنه) (الأيام الأول 3/14-15)، فيهوياقيم أحد أجداد المسيح.

قلت: فما في هذه النبوءة عن محمد؟

قال: إن هذه النبوءة تقول: (سيولد لنا نحن نسل ابراهيم، والذي أعطاه الله عهدا أبديا له ولنسله لتتبارك به الأمم.. هذا الإبن يكون على كتفه خاتم النبوة، ولم يتسم باسمه أحد من قبل.. سيدا قويا يقول أفشوا السلام بينكم)

أتدري أهم ما في هذه النبوءة؟

صمت، فقال: إنه ما نص عليه بقوله: (وتكون الرياسة على كتفه)، هذه إشارة مهمة ابحثوا عنها في بطون التواريخ.. فلن تجدوا شخصا تصدق عليه إلا محمد.

إنها دليل حسي ينفي كل شبهة.. ولهذا كان رجال الدين من اليهود والمسيحيين من الصادقين يبحثون في جسم محمد عن هذه العلامة.. والتي اصطلحوا على تسميتها بخاتم النبوة(1).

وسأنقل لك بعض النصوص.. وهي تشير إلى غيرها.. وفي إمكانكم أن تبحثوا في بطون الأسانيد لتروا صدق هذه العلامة التي لا يكذبها إلا جاحد.

ولنبدأ بأول من تحدث عن هذا الخاتم الذي أشار إليه إشعيا.

إنه راهب من بني قومك آثر العزلة في طريق التجار لينتظر النبي المنتظر.. وقد عرفه من ختم النبوة الذي وصفه إشعيا.. ووصفته الأسفار التي محاها قومك.. اسمع حديثه.. وليكن لك به قدوة:

لما بلغ محمد ﷺ اثنتى عشرة سنة ارتحل به أبو طالب تاجرًا إلى الشام، حتى وصل إلى بُصْرَى ــ وهي معدودة من الشام، وقَصَبَة لحُورَان، وكانت في ذلك الوقت قصبة للبلاد العربية التي كانت تحت حكم الرومان ــ وكان في هذا البلد راهب عرف بَبحِيرَى، واسمه ـ فيما يقال ــ جرجيس، فلما نزل الركب خرج

---

1) خاتم النبوة في ظهره ﷺ هو قطعة مرتفعة من اللحم، قال القرطبي: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن الخاتم كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر قدره إذا قلل كبيضة الحمامة وإذا كثر جمع اليد.

إليهم، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك، فجعل يتخلّلهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، وقال: (هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين)، فقال له أبو طالب وأشياخ قريش: (وما علمك بذلك؟ فقال: (إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدًا، ولا يسجدان إلا لنبى، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا)، ثم أكرمهم بالضيافة، وسأل أبا طالب أن يرده، ولا يقدم به إلى الشام؛ خوفًا عليه من الروم واليهود، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة(1).

وثانيهم رجل كتب الله له أن يكون باحثا عن الدين الحق.. وقد نقل لنا من الشهادات الكثيرة ما يبين الجو الديني الذي كان في ذلك العصر، والذي كان في لهفة لانتظار النبي المنتظر.

إنه سلمان الفارسي الذي نقتصر من شهادته هذا المشهد المرتبط بختم النبوة:

قال سلمان يحكي قصته: لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي. فأقمت مع رجل على هدى أصحابه وأمرهم. قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له: يا فلان إني كنت مع فلان فأوصي فلان إلى فلان، وأوصي بي فلان إلى فلان، ثم أوصى فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال:(أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي وهو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإذا استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل)

ثم يحكي سلمان في قصة طويلة رحيله إلى المدينة المنورة حيث نزل محمد ﷺ بعد هجرته إليها، وبعد سماعه بالنبي ﷺ جمع شيئا ليختبره به، ولندعه يتحدث عن لقائه به، قال: ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له: أنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان

---

1) رواه الترمذي،وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ورواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة من حديث العباس بن محمد عن قراد بن نوح،وقال العباس لم يحدث به يعني بهذا الإسناد غير قراد وسمعه يحيى وأحمد من قراد قال البيهقي أراد أنه لم يحدث بهذا الإسناد سوى هؤلاء فأما القصة فهي عند أهل المغازي مشهورة.

عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت: في نفسي هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئت به فقلت: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه معه، قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد، وقد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رأى رسول الله ﷺ أنى استدرته عرف أني استثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ:(تحول!!)، فتحولت فقصصت عليه حديثي.

إلى آخر قصته.. هل ترى في هذا الحديث أي إمارة من إمارات الكذب.. إنه يفوح بالصدق.. إن كل لفظة منه دليل قائم بذاته.

صمت قليلا، ثم قال: إشعيا لا يتحدث في هذه النبوءة عن الخاتم فقط.. هو يتحدث عن علامات أخرى.. لا يمكن أن تنطبق على غير محمد ﷺ.

إن في هذه النبوءة إخبارا بصفة من صفات رسول الله ﷺ، وخلق من أخلاقه العظيمة، وهو مشاورته ﷺ لأصحابه، فقد ورد في البشارة: (ويدعى اسمه عجيبا مشيرا)

وقد وردت النصوص الكثيرة المؤرخة لسيرته ﷺ وحياته مع أصحابه وكثرة مشورته لهم.. فإن كنت صالحا، فسيقيض الله من يدلك على ذلك، ويعلمك علمه.

وسأكتفي من دلالتك على هذه الصفة، بما ورد في القرآن الكريم من حض النبي ﷺ على الشورى.. فالله تعالى يقول لنبيه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:159)

وقد ائتمر النبي ﷺ بهذا الأمر، فكان يستشير أصحابه في كل شيء، ومما نقلته لنا الأخبار الصحيحة في ذلك:

ومن ذلك مشاورته لهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، فقالوا: (يا رسول الله، لو استعرضت بنا عُرْض البحر لقطعناه معك، ولو

سرت بنا إلى بَرْك الغَمَاد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (المائدة: 24)، ولكن نقول: اذهب، فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون.

ومن ذلك مشاورته لهم في المحل الذي ينزل فيه يوم بدر، فأشار المنذر بن عمرو، بالتقدم إلى أمام القوم.

وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهُورُهم بالخروج إليهم، فخرج إليهم، مع أنه لم يكن يحب الخروج.

وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ، فأبى عليه ذلك السَعْدَان: سعدُ بن معاذ وسعدُ بن عُبَادة، فترك ذلك.

لقد كان ﷺ يستشيرهم في كل شيء حتى في شؤون بيته.. فهل تجد وصفا لنبي ينطبق عليه هذا غير محمد ﷺ؟

بشارات مكتومة:

صمت قليلا، ثم قال: فلنكتف بهذه البشارة.. ولنذهب إلى بشارات أخرى سأكتفي بقراءتها عليك.. لتعرف أن إشعيا كان نورا من الأنوار التي تهدي إلى شمس محمد.

أنتم تسلكون سبيلا من سبل التحريف لن أشرحه لك الآن، بل لن أشرحه أبدا، وإن كنت صادقا فسيقيض الله من يشرحه لك(1).

أنتم تتلاعبون بالترجمات.. فتغيرون منها ما لا يوافق أمزجتكم.. لن أجادلك في هذا.. بل سأكفتي بنقل بعض الترجمات التي لم تعد موجودة.

لقد نقل العلامة رحمة الله الهندي عن حيدر القرشي صاحب كتاب (خلاصة سيف المسلمين) قوله:(إن القسيس أوسكان الأرمني ترجم كتاب إشعياء باللسان الأرمني في سنة ألف وستمائة وست وستين، وطبعت هذه الترجمة في سنة ألف وسبعمائة وثلاث وثلاثين في مطبعة أنتوني بورتولي، ويوجد في هذه الترجمة في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة: (سبحوا الله تسبيحاً جديداً، وأثر سلطنته على ظهره، واسمه أحمد)(إشعيا 42/10 – 11)

ومن الترجمات السابقة ما ورد في الإصحاح الأول من هذا السفر:(اسمعي يا سموات، وقرّي يا أرض، ولماذا تقلقي؟ سيبعث

1) انظر (الكلمات المقدسة) من هذه السلسلة.

عليك نبي به ترحمي)

ومنها ما ورد في الفصل الثالث:(إني رافع آية للأمم، من بلد بعيد، وأصفر لهم من أقاصي الأرض صفيراً، فيأتون سراعاً عجالاً، ولا يميلون ولا يتعثرون ولا ينعسون ولا ينامون ولا يحلون مناطقهم، ولا ينقطع معقد خفافهم، سهامهم مسنونة، وقسيهم موترة، وحوافر خيلهم كالجلاميد صلابة، وعجلهم مسرعة مثل الزوابع، وزئيرهم كنهيم الليوث، وكشبل الأسد الذي يزأر وينهم للفريسة، فلا ينجو منهم ناج، ويرهقهم يومئذ مثل دوي البحر واصطكاكه، ويرمون بأبصارهم إلى الأرض فلا يرون إلا النكبات والظلمات، وينكشف النور عن عجاج جموعهم)

وقد استنبط أحد إخواننا المهتدين بنور الله، وهو الشيخ زيادة من هذا النص دلالات كثيرة عليه ﷺ، بل لا تصح دلالته إلا عليه، بدليل قوله:(رافع آية للأمم)، ومحمد ﷺ هو العلامة المرفوعة لسائر الأمم.

ومنها أن قوله: (من بلد بعيد)، إشارة إلى أن هذه العلامة ترفع للأمم من خارج أرض بني إسرائيل، ويتضح ذلك من قوله بعده: من أقاصي الأرض. فكأنه قال: إن أقصى أرض إسرائيل هي الأرض التي يخرج منها ذلك النبي.

ومنها نفى التعب والإعياء والنوم عن جيوشه، وإثبات السرعة، وذلك برهان ظاهر على أن المراد بهذه النبوة محمدا ﷺ، لأن الملائكة كانت تشارك في جيوشه، وهم الذين لا ينامون ولا يسأمون.. كما أن نفي النوم عنه يدل على محمد ﷺ، لأنه كان يقضي الليل في العبادة والذكر والصلاة، حتى تورمت قدماه.

ومنها الشهادة لحوافر خيله بأنها مثل الصوان، وهو مطابق لوصف الله لها في القرآن بقوله تعالى: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً (العاديات:1 ـ 2)، ولا يمكن أن تنطبق هذه البشارة على المسيح عليه السلام، لأنه لم يكن له خيل.

زيادة على هذا، فإن قوله:(وأصفر لهم من أقاصي الأرض، فيأتون سراعاً عجالاً) إشارة إلى النداء بالحج إلى بيت الله الحرام الوارد في قوله تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (الحج:27)، والتعبير بالصفير عن النداء والأذان ليس ببعيد ولا مستغرب.

ومن هذه البشارات قول إشعياء في الفصل الخامس مفسراً ما تقدم من نبواته:(إن الأمة التي كانت في الظلمات رأت نوراً

باهراً، والذين كانوا في الدجي وتحت ظلال الموت سطع عليهم الضوء، أكثرت من التبع والأحزاب، ولم تستكثر بهم، فأما هم فإنهم فرحوا بين يديك كمن يفرح يوم الحصاد، وكالذين يفرحون عند اقتسام الغنائم، لأنك فككت النير الذي كان أذلهم، والعصا التي كانت على أكتافهم، وكسرت القضيب الذي كان يستبعد بهم مثل كسرك من كسرت في يوم مدين)

وقد استنبط أحد إخواننا المهتدين من القرون السابقة، وهو علي الطبري بشارة بالنبي ﷺ، فقال: (وذلك شبيه بما وصف الله تعالى عن النبي في القرآن حين قال :﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (لأعراف: 157)

وهذا النص يصور حال أمته قبل بعثته، فقد كانت ترتع في ظلمات الجهل والشرك، ثم أضاء لها نور الوحدانية فاتبعته، وبعد أن كانت أمة مستضعفة، كثر أتباعها، وفرحوا بانضمامهم إليها، وبسبب هذه الرسالة رفع الله عنهم استبعاد الأمم لهم، وانقلبت حالهم فإذا هم المسيطرون على بني البشر.

ومثل ذلك قول اشعياء في الفصل العاشر:(هكذا يقول الرب إنك تأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، ومن أرض البادية مسرعاً، مقداً مثل الزعازع من الرياح، ورأينا منظراً رائعاً هائلاً ظالماً يظلم، ومنتهياً ينتهب.. ولتقم السادة والقادة إلى أترستهم، فيدهنوها لأن الرب قال لي: هكذا أمض فأقم الربيئة على المنظرة، ليخبر بما يرى، فكان الذي رأى راكبين: أحدهما راكب حمار، والآخر راكب جمل.. فبينما أنا كذلك إذ أقبل أحد الراكبين وهو يقول: هوت بابل وتكسرت جميع آلهتها المنجورة على الأرض، فهذا الذي سمعت من الرب إله إسرائيل العزيز قد أنبأتكم)

وهذا النص له دلالات كثيرة على نبوة محمد ﷺ:

منها ذكره بأنه سيأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، من أرض البادية، وذلك لئلا يدع حجة لمحتج، لأنه لم يأت أحد بهذه النوبة من أرض التيمن الواقعة في البادية البعيدة عن أرض إسرائيل سوى محمد ﷺ.

ومنها أنه قال: (هوت بابل وانكسرت جميع آلهتها)، ولم تزل الأوثان تعبد في بابل حتى ظهر محمد ﷺ، فأطفأ نيرانهم، وهدم أوثانهم، واذعنوا لدين الله طوعاً أو كرهاً.

ومنها ذكره لراكب جمل... وهو لا ينطبق إلا على محمد ﷺ، وقد أورد المهتدي الإسكندراني النص العبري المتعلق براكب الحمار

وراكب الجمل، ثم اتبعه بالترجمة العربية وجاء فيه: (فرأى ركب رديف خيل، ركب رديف حمار، ركب رديف جمل)، وقال: (هذه حال جيوشه ﷺ، خلاف عساكر الملوك، لأن الملوك لا تركب جيوشها مراديف، ولا يركبون الحمير والجمال)

بل إن النجاشي أشار إلى هذه النبوءة عندما قال: (أشهد بالله أنه لنبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة زكريا براكب الحمار كبشارة أشعياء براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر)

ومنها قول إشعياء في الفصل العشرين: (يا آل إبراهيم خليلي الذي قويتك، ودعوتك من أقاصي الأرض، ومن نجودها وعواليها، ناديتك وقلت لك: إنك عبدي وأنا اجتبيتك، ولم أستر ذلك، فلا تخف، لأني معك، ولا ترهب فها أنا إلهك أيدتك ثم أعنتك، وبيميني العزيزة البرة مهدت لك، ولذلك يبهت ويخزي المستطيلون عليك، ويضمحل ويتلاشى الذين يمارونك ويشاقونك، ويبيد القوم المنازعون لك، وتطلبهم فلا تحس منم أثراً، لأنهم يبطلون، ويصيرون كالنسئ المنسي أمامك لأني أنا الرب قويت يمينك، وقلت لك لا تخف، فإني أنا عونك ومخلصك، هو قدوس إسرائيل، يقول الله الرب: (أنا جاعلك مثل الجرجر الحديد الذي يدق ما يأتي عليه دقاً، ويسحقه سحقاً، وكذلك تفعل أنت أيضاً، تدوس الجبال، وتدقها، وتجعل المدائن والتلال هشيماً تذروه العواصف، وتلوى به هوج الرياح، وتبتهج أنت حينئذ، وترتاح بالرب، وتكون محمداً بقدوس إسرائيل)

وقد استبدل أول هذا النص بـ (وأما أنت يا إسرائيل عبدي، يا يعقوب الذي اخترته من نسل إبراهيم). كما استبدل آخره بـ (وأنت لتبتهج بالرب بقدوس إسرائيل تفتخر)

ومع هذا التبديل، فقد ورد في البشارة ما لا يصدق إلا عليه ﷺ :

ومنها قوله: (فلا تخف لأني معك، ولا ترهب فها أنا إلهك أيدتك ثم أعنتك)، وهذا يتفق مع ما وعد الله به نبيه ﷺ من الحماية والعصمة، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:67)

ومنها قوله:(يبهت ويخزي المستطيلون عليك)، وهو يتفق مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر:95)، وقوله تعالى:

 فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (البقرة:137)، كما أنه يتفق مع حال المناوئين له والمخالفين لأمره ممن كانوا أمما أو أفراداً.

ومنها قوله:(تدوس الجبال وتدقها)، فالجبال تشير إلى الملوك والجبابرة، وقد سحقوا أمام جيوشه وجيوش أصحابه، وأصبحوا هشيماً تذروه الرياح.

ومن البشارات التي تلاعبت بها الترجمات، قول اشعياء في الفصل الثالث والعشرين:(اسمعي أيتها الجزائر، وتفهمي يا أيتها الأمم، إن الرب أهاب بي من بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، جعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن، وأحاطني بظل يمينه، وجعلني في كنانته كالسهم المختار وخزنتي لسره، وقال لي: إنك عبدي. فصرفي وعدلي قدام الرب حقا، وأعمالي بني يدي إلهي، وصرت محمداً عند الرب، وبإلهي حولي وقوتي)

وقد ذكر علي الطبري هذه البشارة، ثم قال: (فإن أنكر منكر اسم محمد في الباب، فليكن محموداً، فلن يجد إلى غير ذلك من الدعاوي سبيلاً)

ومنها قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين مخاطباً مكة وهاجر: (أنا رسمتك على كفي فأسوارك أمامي في كل وقت، وسيأتيك ولدك سراعا، ويخرج عنك من أراد أن يتحيّفك ويخرّبك، فارفعي بصرك إلى ما فوقك، وانظري فإنهم يأتونك ويجتمعون عن آخرهم إليك يقول الله مقسماً باسمه: إني أنا الحي، لتلبسنهم مثل الحلة، ولتتزينين بالإكليل مثل العروس، ولتضيقن عنك قفارك وخراباتك، والأرض التي ألجئوك إليها، وضغطوك فيها من كثرة سكانها والراغبين فيها، وليهربن منك من كان يناويك ويهتضمك، وليقولن لك ولد عقمك: أيتها النزور الرقوب، إنه قد ضاقت بنا البلاد فتزحزحوا وانفرجوا فيها لتتسع في فيافيها، وستحدثين فتقولين: من رزقني هؤلاء كلهم، ومن تكفل لي بهم)

وهذه البشارة لا تقبل أن تؤول على غير مكة أو هاجر، فمن الذي تكفل الله بحمايتها غير مكة؟ ومن الذي تكاثر عددها ونسلها، وضاقت عنهم أرضها، سوى هاجر؟

ومنها قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين: (من الذي أقبل من أدوم؟ وثيابه أشد حمرة من البسر، وأراه بهياً في حلله ولباسه، عزيزاً لكثرة خيله وأجناده، وإني أنا الناطق بالحق

والمخلص للأقوام، وإن لدينا ليوم الفتنة نكلاً، ولقد اقتربت ساعة النجاة، وحانت ساعة تخليصي، لأني نظرت فلم أجد من يعينني، وتعجبت إذ ليس من ينيب إلى رأيي، فخلصني عند ذلك ذراعي، وثبت بالغضب قدمي، ودست الأمم برجزي، وأشقيت حدودهم بغيظي واحتدامي، ودفنت عزهم تحت الأرض)

فهذه النبوءة تورد بعضاً من صفاته ﷺ في هيبته وجلاله، وطرفاً من ذكر بهائه، وإشارة إلى كثرة خيله وأجناده، وأن بمقدمه تتخلص الأقوام من قيد العبودية لغير الله، وتقترب ساعة نجاتها.

كما تضمنت هذه النبوءة وصفا لحال البشرية قبل مبعثه ﷺ، وأنها لا تسمع لكلام الله، ولا تنصر المؤمنين به، فاستحقت بذلك غضب الله ومقته، فكانت بعثته ﷺ عقاباً لأمم الكفر، إذ ناصبهم العداوة، وشهر السيف في وجوههم، وأرغمهم على الإذعان له، ودفن مجد الكافرين تحت الأرض.

قلت: ولكن هذه البشارة ذكرت أنه أقبل من أدوم، ومحمد كان في أرض الحجاز، فكيف تنطبق عليه هذه النبوة؟

قال: إن الصفات الواردة في بقية النبوة لا تنطبق إلا عليه ﷺ وعلى وأمته، زيادة على أن المتحدث في هذه البشارة هو أحد أنبياء بني إسرائيل المقيمين في أرضها، و(أدوم) إقليم يقع بين الحجاز وفلسطين، إذ القادم من الحجاز إلى فلسطين لا بد أن يعبر من خلال (أدوم)، ويجب أن لا نغفل أن المتحدث – وهو إشعياء – يتحدث عن أمر غيبي مستقبلي فلا يمكن أن يقول: من الذي أقبل من الحجاز. لأنه سيقال له: أين منا الحجاز؟ ولكنه يتحدث عن هذا النبي القادم بيقين لا شك فيه، حتى لكأنه يراه في أطراف أرض إسرائيل فيقول لهم: من هذا الذي أقبل من أدوم؟ وهو على يقين منه، لأنه ذكر صفاته، ولكنه طرح الخبر بصيغة التساؤل حتى تستشرف النفوس، وتهفو الأرواح للقائه.

ومنها قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين عن الله عز وجل أنه قال مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: (إني جعلت اسمك محمداً، فانظر من محالك ومساكنك يا محمد، يا قدوس،.. واسمك موجود منذ الأبد)

فذكر اسمه مرتين في هذه النبوة، وهذه مماثلة لما ورد في نبوة داود عنه في المزامير من قول داود: (في جبله قدوس ومحمد)

وقد قال الطبري ــ وهو أحد السابقين من المهتدين ــ هذه

البشارة، ثم قال:(إن القدوس في اللغة السريانية: الرجل البر الطاهر.. فإن غالط مغالط فقال: (يا محمد يا قدوس)، إنما يقع على المساكن التي ذكرها. فإن الكتاب السرياني يكذبه، لأنه لو أراد بذلك المساكن لقال: يا قدوسين ومحمدين. ولم يقل قدوساً ومحمداً)

ومنها قول إشعياء في الفصل الثامن والعشرين: (إني أقمتك شاهداً للشعوب، ومدبراً وسلطاناً للأمم، لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم، وتأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشداً، من أجل الرب إلهك قدوس إسرائيل الذي أحمدك، فاطلبوا ما عند الرب، فإذا عرفتموه فاستجيبوا له، وإذا قرب منكم فليرجع عن خطيئته، والفاجر عن سبيله، وليرجع إليّ لأرحمه، ولينب إلى إلهنا الذي عمّت رحمته وفضله)

وقد قال الطبري في هذه البشارة: (فقد سمي النبي ﷺ باسمه، وقال: إن الله جعلك محمداً. فإن آثر المخالف أن يقول: ليس بمحمد، بل محمود وافقناه فيه، لأن معناهما واحد)

أما قوله: (أقمتك شاهداً للشعوب)، فهو مماثل لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (البقرة: 143)

أما قوله: (سلطاناً للأمم)، فيحتمل أن يكون المراد منه المعنى المتبادر للذهن وهو السيادة والقيادة، وقد تحققت له هذه على الأمم في حياته.

أما قوله: (لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم)، فقد تحقق ذلك بإرساله ﷺ الرسل والكتب إلى الملوك كهرقل وكسرى والمقوقس وغيرهم ممن لا يعرفهم كما هو مشهور في كتب السنة والسيرة.

أما قوله: تأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشداً، فمصداق ذلك في انضواء الأمم التي لم تكن تعرفه من قبل، والتي لا تعد ولا تحصى تحت لوائه، والإذعان لأمره، كما أن هذه البشارة لا تنطبق على الأنبياء قبله، لأنهم دعوا أقوامهم وهم يعرفونهم، واستجابت لهم الأمم التي تعرفهم، أما محمد ﷺ فقد دعا من لم يعرفه، واستجاب له من لا يعرفه.

وبقية النص تتعلق بالرحمة والمغفرة والتوبة، وهي معان ظاهرة في شريعته، ولا يمكن أن تكون هذه البشارة دالة على اليهودية أو على المسيحية، لأن اليهودية تعتقد أنها دين خاص ببني

إسرائيل، وهذه البشارة قد تضمنت أنـه يـدعو الأمم، وتأتيـه الأمم، وهذا يناقض اعتقادها، زيادة على أن هذه البشارة تخبر أن صـاحب هذه الرسالة يبشر بالتوبة والمغفرة والرحمة، وهذا يخـالف اعتقـاد اليهود والمسـيحيين: فـاليهود تعتقـد أن من حـق الكـاهن المغفـرة ومحو الخطايا، كما أن المسـيحية تعتقـد أن البشـرية كـانت مثقلـة بالخطيئة الموروثة التي رفعت عنهم بعد صلب المسـيح، ثم غفلت النصرانية عن كونها محت الخطيئة الموروثة فمنحت رجـال الـدين حق مغفرة الخطايا.

ومنها قول إشـعياء مخاطبـاً هـاجر عليهـا السـلام وبلادهـا وهي مكة: (قومي وأزهري مصباحك فقد دنا وقتك، وكرامة اللـه طالعـة عليــك، فقــد تخللت الأرض الظلام، وغطي على الأمم الضــباب، فالرب يشرق عليك إشـراقاً، وتظهـر كرامتـه عليـك، وتسـير الأمم إلى نـورك، والملـوك إلى ضـوء طلوعـك، ارفعي بصـرك إلى مـا حولـك وتـأملي، فـإنهم سـيجتمعون كلهم إليـك ويحجونـك، ويأتيـك ولدك من بلد بعيـد، وتحج إليـك عسـاكر الأمم حـتى تعمـرك الإبـل المربلة، وتضيق أرضك عن القطـرات الـتي تجتمـع إليـك، ويسـاق إليك كباش مدين وكباش أعفا، وتأتيك أهل سبأ ويتحدثون بنعم الله ويمجدونه، وتسير إليك أغنام قيدار كلها، وتخـدمك رخلات نبـايوت، ويرفع إلى مذبحي ما يرضيني، وأحدث حينئذ لبيت محمدتي حمداً)

فذكر في هذه البشارة هـاجر وذكـر البلـد، وصـرح بـالحج ومـا يصاحبه من توافد الأمم، وسـوق الهـدي، كمـا صـرح بأسـماء بعض هذه الأمم الوافدة إلى الحج كأهل سبأ ومدين وغيرهما.

وقد أورد المهتدي الترجمان وغـيره هـذا النص بصـورة أطـول، واشتمل على صفات هي ألصق بمحمـد ﷺ من غـيره وهـو قولـه: (إن الرب سـبحانه وتعـالى سـيبعث في آخـر الزمـان عبـده الـذي اصطفاه لنفسه، ويبعث له الروح الأمين، يعلمه دينه، ويعلم النـاس ما علمـه الـروح الأمين، ويحكم بين النـاس بـالحق، ويمشـي بينهم بالعدل، وما يقول للناس هو نور يخرجهم من الظلمات الـتي كـانوا فيها، وعليها رقود، وقد عرّفتكم ما عرفني الـرب سـبحانه قبـل أن يكون)

فمحمد ﷺ هو المبعوث في آخر الزمان، وهو الـذي نـزل عليـه الـروح الأمين، وهـو الـذي حكم بين النـاس بالعـدل وأخـرجهم من الظلمات إلى النور.

***

كان إشعيا يتحـدث بروحانيـة عميقـة تجـذب المسـتمع جـذبا لا يملك معه إلا الاستماع والتسليم..

بعد أن أنهى حديثه التفت إلي، وقال: هـذه أشـعة من النـور، لا تزال تضيء الكتاب المقدس.. فاحمل شعاعا منهـا، وسـر بـه نحـو شمس محمد.

لم أرد عليه بشيء.. بل قمت وانصـرفت، وفي وجهي ترتسـم ظلال حيرة عظيمة.. ويرتسم معهـا بصـيص من النـور اهتـديت بـه بعد ذلك على شمس محمد ﷺ.

بشارة إرميا

في اليوم السابع خرجت من غرفتي صباحا كعـادتي.. فوجـدت رجلا ممتلئا حزنا.. كانت عيناه تذرفان، وكان قلبه يكاد يتفطر.

اقتربت منه، وفي عيني دموع لا أكاد أملـك حبسـها، وقلت لـه: ما بالك يا أخي.. لقد فطرت قلبي بحزنك، وأسلت عيني بدمعك.

قال: وما لي لا أبكي.. وأنا الحزين الـذي لا يتقن فنـا كمـا يتقن الرثاء.

قلت: ومن ترثي؟.. إن مات لك عزيـز، فـالموت كـأس.. وكـل الناس شاربها.. ثم إنك يوشك أن تنسى كما نسي غيرك.. فلسـت أرق منهم قلبا، ولا أغزر منهم دمعا.

قال: أنا لا أبكي على قريب، ولا على بعيد.. أنا أبكي على هـذه الأمة التي ضيعت وصايا ربهـا.. وخانتـه، وأخـاف أن يحيـق بهـا من العذاب ما حاق ببني إسرائيل من قبلهم..

لقد صاح فيهم إرميا كثيرا.. وندبهم.. ولكنهم لم يسمعوه.. لقـد كان يقول لهم (مراثي أرميا:1/1 ـ 4):

كيف جلست وحـدها المدينـة الكثـيرة الشـعب.. كيـف صـارت كأرملــة، العظيمــة في الأمم، السـيدة في البلــدان صــارت تحت الجزية.

تبكي في الليل بكاء ودموعهـا على خـديها.. ليس لهـا معـزّ من كل محبيها. كل أصحابها غدروا بها، صاروا لها أعداء.

قد سبيت يهوذا من المذلة ومن كثرة العبودية، هي تسـكن بين الأمم لا تجد راحة، قد أدركها كل طارديها بين الضيقات.

طرق صهيون نائحة لعـدم الآتين إلى العيـد.. كـل أبوابهـا خربـة كهنتها يتنهدون.. عذاراها مذللة وهي في مرارة.

أتدري سر كل ما حاق بها؟

قلت: لا شك أنها الذنوب.

قال: أجل.. لقد ذكر إرميا ذلك.. اسمع إليه، وهو يبكي، ويقــول (مراثي أرميا:1/5 ـ 10):

صار مضايقوها رأسا.. نجح أعـداؤها لأن الـرب قـد أذلّهـا لأجـل كثرة ذنوبها، ذهب أولادها إلى السبي قدام العدو.

وقد خرج من بنت صهيون كل بهائها، صارت رؤساؤها كأيائل لا تجد مرعى، فيسيرون بلا قوة أمام الطارد.

قد ذكرت أورشـليم في أيـام مـذلتها وتطوّحهـا كـل مشـتهياتها

التي كانت في أيام القدم. عند سقوط شعبها بيد العـدو وليس من يساعدها. رأتها الاعداء ضحكوا على هلاكها.
قد أخطأت أورشليم خطية من أجل ذلـك صـارت رجسـة. كـل مكرميها يحتقرونها لأنهم رأوا عورتهـا وهي أيضـا تتنهـد وترجـع إلى الوراء.
نجاسـتها في أذيالهـا. لم تـذكر آخرتهـا وقـد انحطت انحطاطـا عجيبا. ليس لها معزّ. انظر يا رب الى مذلتي لأن العدو قد تعظم.
بسط العـدو يـده على كـل مشـتهياتها فإنهـا رأت الامم دخلـوا مقدسها الذين أمرت أن لا يدخلوا في جماعتك.
كان يقرأ كلام إرميا بألم شديد.. أعاد إلى نفسـي ذكـرى إرميـا وآلامه ومراثيه.
قلت: كف عنك يا أخي.. ذلك زمن بعيد.
قال: ولكنه يعود كل يوم من جديد.
قلت: أرى أنك تدمن على قراءة سفر إرميا.. فلهذا أرى تـأثيره عليك.. فأحزانه تغمرك بالكآبة.. ألك علاقـة بإرميـا جعلت لـك كـل هذا الاتصال به؟
قال: أجل.. لقد كان إرميا هـو النافـذة الـتي أطللت منهـا على الوجود.
قلت: لم أفهم ما تقصد؟
قال: أنا إرميا.
قلت: مرحبا بك.. أنا أسألك عن سر علاقتك بإرميا.
قال: لقد ذكرت لك أنه النافـذة الـتي أطللت منهـا على جمـال الوجود.
قلت: أي جمال؟
قال: جمال الشمس التي تغمر بأشعتها الكائنات.
قلت: أي شمس؟
قال: وهل هناك شمس غير شمس محمد؟
أصابتني صدمة مما قال، فقلت: أنت أيضا أصابتك العدوى.
قال: ما تقصد؟
قلت: لا أقصد شيئا..
قال: اسمع لي.. لقد ارتحت إليك.. ولهذا سأحدثك عما جـذبني إلى دين محمد.
قلت: كلي آذان صاغية.
قال: لقد كان أول ما جذبني من خلال قراءتي لسفر إرميـا هـو

اسم قيدار.. أنت تعلم أنه من ذرية إسماعيل.

قلت: أجل.. لا شك في ذلك.. فالكتاب المقدس يدل عليه.

قال: لقد قرأت في سفر إرميا.. ذلك النبي الذي سماني والدي باسمه قوله:(قال الرب: قوموا اصعدوا إلى قيدار) (إرميا 49/ 28)

لقد كان هذا النص هو الفاتحة التي ابتدأ بها بحثي.. إنه يشير إلى أن لبني قيدار شأنا.. فما ذكرهم الكتاب المقدس إلا لعلة عظيمة.

قلت: أهذا كل ما جذبك من سفر أرميا؟

قال: لا.. هذا أول ما شد انتباهي.. ولهذا لما أعدت قراءته شعرت أنه يتكلم عن محمد.. إنه يكاد يصرح باسمه.

لقد ورد فيه.. بل في الإصحاح الأول منه: (قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك، جعلتك نبيا للشعوب)(إرميا: 1/5)

إن هذه الفقرة تشير إلى محمد.. بل تنطق باسمه..

قلت: كيف ذلك؟

قال: أنتم تعلمون بأن كل الأنبياء الذين جاءوا بعد إرميا جاءوا لبني إسرائيل خاصة.

قلت: ولكن المسيح جاء لغيرهم.. بدليل أن المسيحية تنتشر في العالم أجمع.

قال: لا.. لقد اكتشفت أن هذا الانتشار أعظم خرافة.. فالمسيح يصرح بأنه لم يرسل إلا إلى بيت إسرائيل.. بل إن المسيح عندما أرسل تلاميذه لينشروا دعوته بين اليهود كرر لهم الوصية في أن يقصروا الدعوة على اليهود، بل إنه حذرهم من دخول مدن الأمم الأخرى، ولو كانوا جيراناً لليهود، وقد ذكر إنجيل متى ذلك، فقال: (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)(متى: 10 : 5)

ليس ذلك فقط.. بل إن المسيح لما بدأ الدعوة إلى الله أعلن أنها قاصرة على بني إسرائيل، ولا تمتد إلى غيرهم، لذلك تجدونه يقول في متى(15 ـ 24):(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)

ألا تعلمون أن (إلا) أداة للحصر، وهي تدل على انحصار رسالة المسيح ضمن الشعب الاسرائيلي؟

قلت: ولكن.. ألم تقرأ مـا ورد في إنجيـل (مـتى: 38):(اذهبـوا وتلمذوا جميع الأمم)

قال: إن هذا النص معارض بكل النصوص الـتي سـبق ذكرهـا.. ولهذا ذهب المحققون إلى أن هـذه العبـارة إلحاقيـة بإنجيـل مـتى، لأنها لم تذكر في بقية الأناجيل.

ألا ترى من الغرابة أن يختص متى بهذه الرواية دون غيره؟

لقـد اتفقت الاناجيـل الثلاثـة على إيـراد قصـة دخـول المسـيح أورشليم راكباً على جحش، فهل كـان ركوبـه على جحش أهم من عالمية الرسالة!؟

بل إن الكثير من النصوص في إنجيل متى يشير إلى أن رسالة المسيح مختصة بإسرائيل، فقد ورد في إنجيل متى (2 : 1):(ولما ولـد يسـوع في بيت لحم اليهوديـة في أيـام هـيرودس الملـك إذا مجـوس من المشـرق قـد جـاءوا إلى أورشـليم قـائلين: أين هـو المولود ملك اليهود ؟)

وينقل متى أن التهمة التي وجهت للمسيح هي أنه ملك اليهود: (فوقف يسوع أمام الـوالي، فسـأله الـوالي: (أأنت ملـك اليهـود؟) فقال له يسوع: (أنت تقول) (متى 27: 11)

قلت: فقد ورد في إنجيل يوحنا مـا يـدل على عمـوم تخليصـه، ألم تقرأ:(ولي خراف أخرى ليست من هـذه الحظـيرة، وينبغي أن آتي بتلـك)(يوحنـا: 16:10).. وجـاء في نفس الإنجيـل (32:12): (وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلي الجميع)

قال: من قصد بالخراف الذين من الحظائر الأخرى ؟

قلت: قصد بهم كل من يؤمن به من جميع الأمم؟

قال: لا.. إن مقصد المسيح واضح.. إنه يقصد ما ورد في إنجيل متى (24:15):(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)

قلت: ولكن خراف إسرائيل من حضيرته.

قـال: لا.. لقـد كـان كـل سـبط من إسـرائيل يشـكل حضـيرة خاصة.. فلهذا كان قصده من سائر الحظائر، أي الأسـباط الإحـدى عشر الأخرى.

قلت: فهل ينطبق هذا النص على محمد؟

قال: أجل.. فهو الوحيد الذي يخبر أنه أرسل إلى الناس كافـة.. وقرآنه يثبت ذلك.. ورسـائله الـتي أرسـلها إلى ملـوك زمانـه تثبت ذلك.

سكت قليلا، ثم قال: ليس هذا فقـط.. إن صـدر هـذه النبـوءة،

وهو قول إرميا: (قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك) ينطبق تمام الانطباق على محمد.

قلت: كيف؟

قال: لقد أخبر القرآن الكريم أن الله تعالى أخذ الميثاق على كل نبي بعثه من لدن آدم، إلى المسيح أنه مَهْمَا آتى الله أحدَهم من كتاب وحكمة، وبلغ أيّ مبلَغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنَنَّ به ولينصرَنَّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته.

وقد نص على هذا الميثاق قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: 81)

ومحمد ﷺ هو الذي جاء بالحق مصدقاً لما معهم بدليل قوله تعالى عنه :﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات:37)، وقوله تعالى:﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران:3)

ساد صمت خاشع المحل الذي نجلس فيه، فقال: ليس هذا فقط.. لقد ورد في نبوءة إرميا قوله بعد قوله السابق: (فقلت آه يا سيد الرب: إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد، فقال الرب لي: لا تقل: إني ولد لانك الى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به) (إرميا: 6 ـ 7)

قلت: أهذه الفقرات تشير إلى محمد؟

قال: بل تكاد تنطق باسمه.

قلت: كيف ذلك؟

قال: أنت تعلم أن محمدا كان أميا.. وكان لا يعرف القراءة والكتابة كالأولاد الصغار.. ولهذا ذكر عدم قدرته على القيام بما كلف به.

قلت: أجل.. أعلم ذلك.. والتاريخ يثبت ذلك بالأسانيد الصحيحة.

قال: فهذا النص يثبت هذه الصفة، ويجعلها دليلنا إليه.

زيادة على هذا.. فإن النص يبين خاصية ذكرت لمحمد وهي أنه يتكلم بكل ما أمر به.. وهو يدل على أن كل كلامه وحي من الله، وقد ثبت ذلك في قرآنه، فقد ورد فيه:﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ

هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (النجم:3 ـ 4)

وهو يشير إلى شيء آخر له أهميته، وهو أن هذا المبشر به أكمل رسالة ربه، وأداها أحسن أداء، وقد ورد في كتاب محمد ما يشير إلى هذا، فقد جاء فيه : الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً (المائدة: 3)

قلت: صدقت.. هذا واضح تماما.. إن الكتاب المقدس الذي ندين به يفتقر إلى مثل هذا النص.

قال: وفي النص بشارة أخرى تلي ما سبق، لقد ورد فيه:(لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأنقذك يقول الرب)(أرميا: 1/8)

ألا ترى في هذا النص بشارة صريحة بما أمد الله محمدا من نصر على أعدائه؟

إن أعداء كثرين لا حصر لهم اجتمعوا على حرب محمد ودين محمد في مهده.. لكنهم لم يطيقوا.. واجتمع أعداء آخرون في كل الأزمان.. فلم يملكوا إلا أن يستسلموا أو يسلموا؟

قلت: ولكن المسيحية انتصرت على أعدائها.

قال: أنت تعلم كيف انتصرت.. وبماذا ضحت لتنتصر؟

لقد ضحت المسيحية بالمسيح لتصل إلى العالم.

لولا أن رجال الدين من المسيحية في مجمع نيقية أرضوا الامبراطور بتنازلاتهم ما قام للمسيحية دين.

لقد بحثت في ذلك بحوثا مستضيفة.. ربما أعلمك علومها في يوم من الأيام.

صمت، فقال: وفي النص بشارات أخرى.. اسمع هذه البشارة: (ومد الرب يده ولمس فمي وقال الرب لي ها قد جعلت كلامي في فمك) (أرميا:1/9)

هل تعرف كتابا في الأرض يمكن نسبته إلى الله غير كتاب محمد؟

إن كل الكتب يتحدث مؤلفوها، ويسمون أنفسهم، ويذكرون أنسابهم وتواريخهم ما عدا كتاب محمد، فإنه كله كلام الله من أوله إلى آخره.

بل إن الله يعتبر كتاب محمد كلامه، فهو يقول : وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ (التوبة:6)، ويقول : سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ

قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً (الفتح:15)

صمت، فقال: وفي النص بشارة أخرى تقول:(انظر قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس) (أرميا: 1/10)

إن هذا النص لا ينطبق إلا على محمد.. فهو النبي الوحيد الذي سار نحو الشعوب المختلفة لينقذ المستضعفين من نير المستكبرين.

أخبرني.. هل في بني إسرائيل نبي سار نحو الرومان أو الفرس أو الهنود؟

أخبرني.. هل قامت حضارة على أساس ديني في عهد أي نبي من أنبياء بني إسرائيل لتشمل العالم أجمع؟

ألم يكن الإسرائيليون منشغلون بأنفسهم عن كل العالم؟

حتى المسيح لما جاء ترك ما لقيصر لقيصر.. تركه لجبروته وطغيانه وعتوه.

قلت: ونبي المسلمين؟

قال: لم يترك قيصرا.. ولا غير قيصر..

لقد كتب محمد إلى ملك الروم هرقل، الذي كانت ترتعد الفرائص عند ذكره، هذه الرسالة التي تمتلئ بالقوة:(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدي، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(آل عمران:64)

وكتب إلى جُرَيْج بن مَتَّي الملقب بالمُقَوْقِس ملك مصر والإسكندرية يقول:(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(آل عمران:64)

وكتب إلى إلى كسرى ملك فارس: (بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدي، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك)

وكتب إلى ملك عمان جَيْفَر وأخيه عبد ابني الجُلَنْدَي: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدي، أما بعد.. فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما [أن تقرا بالإسلام] فإن ملككما زائل، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما)

صمت، فقال: أنا أعرف ما يتلاعب به قومي حين يترجمون النصوص المقدسة.. لقد مارست ذلك يوما، بل أياما.

وأنا الآن سأقرأ لك نصا من سفر إرميا.. في نسخة قديمة منه.. ذكرها علي بن ربن الطبري.. وهو مسيحي هدته دراسة الموضوعية الصادقة للكتاب المقدس ليستنير بشمس محمد.

لقد ذكر هذا المهتدي أنه كان في الفصل التاسع عشر من سفر إرميا قوله حاكيا عن الله تعالى: (إني جاعل بعد تلك الأيام شريعتي في أفواههم، وأكتبها في قلوبهم، فأكون لهم إلها، ويكونون لي شعبا، ولا يحتاج الرجل أن يعلم أخاه وقريبه الدين والملة، ولا إلى أن يقول له أعرف الرب، لأن جميعهم يعرفونه صغارهم وكبارهم، وأنا أغفر لذلك ذنوبهم، ولا أذكرهم بخطاياهم)

وقد قال هذا المهتدي معلقا على هذه النبوءة: (وقد صدق وعد الله، وازدرع حبه في قلوب هذه الأمة صغارها وكبارها، وأنطق ألسنتهم بشرائعه وتحاميده، وكل عارف بالله مؤمن به.. واقرأ قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً ﴾ (المائدة: 3)، وقوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: 110)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ (البقرة: 165) حبا لله)، وتأمل ما وصف الله به هذه الأمة في هذه النصوص من صفات خيّرة مباركة، فستجد أنها مماثلة لما وصفها الله به على لسان أرميا.

قال هذا، ثم انصرف إلى بكائه.

قلت: ما بالك يا رجل.. إن المبشرات التي ذكرتها تــدعوك إلى الفرح لا إلى الحزن.

قال: يحزنني أن نكون من هـذه الأمـة الـتي شـرفت كـل هـذا الشرف.. وأنارت عليها تلك الشمس العظيمة.. ثم نرغب عنها إلى المستنقعات نشرب مياهها، وإلى الجحيم نحرق أنفسنا بها.

قلت: أنت حزين على قومك.

قال: وحزين على قومك.. وقد ورثت هذا الحزن من الشــمس التي أستنير بأشعتها.. فقـد كـان محمـد ﷺ مملـوءا رحمـة ولطفـا ومودة.. فلذلك كان يحزن لإعراض الخلق عن اللـه حـتى قـال لـه ربه :﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء:3)، وقال له :﴿ وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْـرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُـرُّوا اللَّهَ شَـيْئاً يُرِيـدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَـلَ لَهُمْ حَظّـاً فِي الْآخِـرَةِ وَلَهُمْ عَـذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران:176)، وقال له :﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَـرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (لقمان:23)

كان يقرأ بخشوع تتصدع له القلوب..

تركته.. وقد امتلأت بحيرة جديـدة.. أنشـأت بصيصـا جديـدا من النور اهتديت به إلى شمس محمد ﷺ.

بشارة المسيح

في اليوم الثامن سرت في البريـة المقدسـة الـتي سـار عليهـا المسيح، وهو يبشر بدين الله.. شـعرت بشـوق عظيم يشـدني إلى المسيح..

ولكن المسيح الذي اشتاقت نفسـي إليـه يختلـف عن المسـيح الذي لقنت صفاته في الكتاب المقدس.. لم أكن أدري كيف جاءني ذلك الشوق، ولا أي مسيح تحركت أشواقي إليه؟

لكني ـ مـع ذلـك ـ شـعرت بلـذة عظميـة، وروحانيـة عميقـة.. أتذوقها، ولا أتعقلها.. أعيشها، ولكن لا أستطيع أن ألمسها، أو أدرك سرها.

بينما أنا في تلك الحال إذا بي أرى رجلا له هيئـة المسـيح الـتي أعرفها.. قسمات وجهه، وألوان ثيابه، وطريقة سيره.. وفـوق ذلـك أشياء أشعر بها جعلتني أنجذب إليه، كما أنجذب إلى المسيح.

اقتربت منه، وقلت له: أنت تريد أن تقطع هذه البرية المباركـة التي سار عليها المسيح، فهلم لنقطعها جميعا.. ونتبرك بآثـار خطى المسيح.

قال: شكرا.. أنا الآن سائر في مهمة من المهام التي سـار من أجلها المسيح، فهلم لنتعاون عليها.

قلت: كيف هذا؟

قال: أعرفك بنفسي أولا.. أنا عيسى.. وتستطيع أن تطلق علي يسوع.. كلاهما اسمان لي..

قلت: تشـرفت بمعرفتـك.. وأنـا محب للمسـيح جـاء من البلاد التي تغرب منها الشـمس، ليشـم عطـر الهـواء الـذي كـان يشـمه المسيح.

قال: أنت ممتلئ بحب المسيح إذن؟

قلت: ومن لا يمتلئ بحب المسيح؟

قال: أعداؤه الذين يظهرون وده.. وهم أخطر من أعدائه الذين يظهرون عداوته.

قلت: أيمكن أن يكون هناك أعداء يظهرون المودة؟

قال: اثنان: ضال، ومنافق.

قلت: فهل وجد الاثنان؟

قال: أما الثاني منهما.. فقد لا يوجد الآن..

قلت: والأول؟

قال: كثيرون هم.. كثيرون جـدا.. لا يمكنـك أن تحسـبهم.. فهم ينتشرون في القارات السبع.

قلت: دعني من الإلغاز وأخبرني ما تقصد.

قـال: في قلبـك أشـواق للمسـيح.. فـأخبرني أي المسـيحين اشتقت إليهما؟

قلت: هناك مسيح واحد.. ذلك الـذي صـلب من أجـل خلاصـنا.. ذلك الذي أرسله اللـه ليطهرنـا على خشـبة الصـليب من الخطيئـة التي أوقعنا فيها آدم.. إنه ابن اللـه الوحيـد، المولـود من الأب قبـل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غـير مخلـوق، مساوٍ للأب في الجوهر الذي به كـان كـل شـيء، الـذي من أصـلنا نحن البشر، ومن أجل خلاص نفوسنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وصار إنسـاناً، وصـلب في عهـد بيلاطس النبطي، وتـألم، وقـبر، وقـام من بين الأمـوات في اليـوم الثالث كما في الكتب، وصـعد إلى السـماء وجلس عن يمين الأب، وأيضاً أتى في مجـده ليـدين الأحيـاء والأمـوات، الـذي ليس لملكـه انقضاء.

كنت أقرأ من قانون الإيمان الذي يحفظه كل مسيحي بخشوع، ولم أكن أقصد من ذلك إلا أن أؤثر في مـرافقي، وأدخلـه حضـيرة الإيمان الذي لا يكاد عقلي يتقبله.

قال: هناك مسـيح آخـر هـو نفس هـذا المسـيح، ولكنـه مسـيح بسيط لا يحمل كل هـذه الألغـاز الـتي تحملونهـا.. إنـه إنسـان ولـد بمعجزة، وتحققت في حياته معجـزات كثـيرة، لتكـون برهانـا على صدقه، وعلى صدق البشارة التي جاء بها.

قلت: هذه إهانة للمسيح لا رفعة له.

قال: لست أدري من الذي يهينه.. من يعتقد إنسـانيته الرفيعـة، أم الذين يتصورون أنهم يرفعونه.. ولكنهم، وفي كتـابهم المقـدس، يحملون صورا مهينة له.. لا يمكن لعاقل أن يعتقدها.

قلت: في كتابنا المقدس هذه الصورة المشوهة للمسيح؟

قـال: أجـل.. أليسـت هي الكتب الـتي تظهـر المسـيح بصـورة المسارع إلى الشتم واللعنة.. يشتم كل من يقابلـه، ويلعن كـل من لا يقبله؟

قلت: كيف تقول هذا؟.. إن المسيح هو مثال الرحمـة والسـلام والمحبة.. أليس هو الذي يقول: (أريد رحمـة لا ذبيحـة)(مـتى: 9 : 13)؟

قال: أنتم تنقلون عنه هـذه الكلمـات القليلـة لتجملـوا صـورته، ولكنها أضعف من أن تقاوم الصـورة الـتي شـوهتموها بمـا نسـبتم إليه من أقوال وأفعال.

أنتم تجلعون لسانه الممتلئ بذكر الله، الغارق في التبشـير بـه، لسـانا ممتلئـا سـبابا وشـتائم ولعنـات مـع أنكم تعلمـون بــ (أن الشتامين لا يرثون ملكوت الله) كما صرح بذلك بولس في رسالته الأولى الي كورنثوس(6 : 10)

ألستم الذين نسبتم إلى المسيح شـتمه لتلـك المـرأة الكنعانيـة الطيبـة، بـل جعلتمـوه يعتبرهـا من زمـرة الكلاب؟.. ألسـتم الـذين تررون في مـتى (15 :ـ 26) أنـه عنـدما جـاءت المـرأة الكنعانيـة تسترحمه بأن يشفى ابنتهـا رد عليهـا قـائلاً:(لا يجـوز أن يأخـذ خـبز البنين، ويرمى للكلاب)؟

وبعدما أراقت هذه المرأة المسكينة آخر نقطة من ماء وجههـا، وأقامت الحجة بقولهـا للمسـيح: (والكلاب أيضـاً تأكـل من الفتـات الذي يسقط من مائـدة أربابهـا)، حقـق لهـا أملهـا، وشـفيت ابنتهـا (متى 15 : 27)

أنتم تروون هذا، وتتباهون به، بل وتجعلونه من دلائـل ألوهيتـه.. مـع أنـه لـو وقـف مثـل هـذا الموقـف أي إنسـان، فـإنكم تتهمونـه بالعنصرية، وبقساوة القلب، وبسوء الأدب.

ليس ذلك فقط.. فموسوعة الشتائم التي نسبتموها للمسـيح لا تقف هنا:

فالمسيح ــ على حسـب كتـابكم المقـدس ــ يمتـد إلى الأنبيـاء الكرام ليصفهم باللصوص.. ألستم تقرأون في يوحنا (10 :ـ 7) أن المسيح قال: (أنا باب الخراف، وجميع الذين جاءوا قبلي سـارقون ولصوص)

أنتم تجعلون المسيح رمزا للسلام، وتروون عن المسيح وصيته للتلاميذ بمحبة الاعداء والإحسان إليهم.. أليس كذلك؟

قلت: بلى..

قال: ولكنكم عندما تصورون حيـاة المسـيح تصـورونها بصـورة المناقض لأقواله، فهو لا يبغض أعـداءه فقـط، وإنمـا يبغض أقـرب الأقربين إليه، ويسبه، ويلقي الشتائم عليه.

ألستم تروون أنه أهان أمه وسط الحضـور، فقـال لهـا: (مـالي ولك يا إمرأة) (يوحنا:2 : 4)؟

ألستم الـذين تـروون إهانتـه لمعلمي الشـريعة بقولـه لهم: (يـا

أولاد الأفاعي)(متى:3 :ـ 7)؟.. وبقوله لهم: (أيها الجهال العميان) (متى:23 : 17)؟

ألستم الذين تروون إهانته لتلاميذه، وشتمه لهم، إذ قال لبطرس كبير الحواريين: (يا شيطان) (متى:16 :ـ 23)، وشتم آخرين منهم بقوله: (أيها الغبيان، والبطيئا القلوب في الإيمان) (لوقا 24 : 25).. مع أنه هو نفسه الذي قال لهم: (قد أعطى لكم أن تفهموا أسرار ملكوت الله)(لوقا: 8 : 10)؟

ألستم الذين جعلتموه يشتم أحد الذين استضافوه ليتغدى عنده، وجعلتموه يشتمه في بيته.. أليس في الكتاب المقدس: (سأله فريسي أن يتغذى عنده، فدخل يسوع واتكأ، وأما الفريسي فلما رأى ذلك تعجب أنه لم يغتسل أولاً قبل الغداء، فقال له الرب: (أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس، وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً يا أغبياء، ويل لكم أيها الفريسيون)، فأجاب واحد من الناموسيين، وقال له : يا معلم، حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضاً، فقال:(وويل لكم أنتم أيها الناموسيون) (إنجيل لوقا:11 : 39)؟

ألستم الذين نسبتم إليه قوله لهيرودس:(قولوا لهذا الثعلب) (لوقا: 13 : 32)؟

ألستم الذين جعلتموه يطلب من تلاميذه عدم إفشاء السلام في الطريق(لوقا:10:4)؟

ألستم الذين قولتموه: (لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير)(متى:7 : 6)؟

ألستم الذين جعلتموه يكذب على إخوته.. لقد رويتم في إنجيل يوحنا(7 :ـ 3) أن إخوة المسيح طلبوا منه أن يصعد إلي عيد المظال عند اليهود، فرد عليهم قائلاً: (اصعدوا انتم إلي العيد، فأنا لا أصعد إلي هذا العيد.. ولما صعد إخوته إلي العيد، صعد بعدهم في الخفية لا في العلانية)؟

أنتم تروون وصيته لكم بأعدائكم، ولكنكم في نفس الوقت تجعلونه يقول بكل قسوة: (أما أعدائي الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي) (لوقا: 19 : 27)

نعم.. أنتم تتقنون الفرار.. فتهربون من قسوة هذا القول بشتى محاولات التأويل والتحريف، فتارة تذكرون أن هذا سيكون يوم القيامة مع أن النص واضح، فالمسيح يقول: (فأتوا بهم إلى هنا)، وليس فيه أي إشارة إلى يوم القيامة.. وتارة تقولون: إن هذا

مثـل، مـع أنكم تعلمـون أن المثـل انتهى عنـد الفقـرة السادسـة والعشرين من نفس الإصحاح..

أنتم لم تكتفوا بكل ذلك.. بل جعلتموه يتجرد من أبسط مظاهر الرحمة ليلعن شجرة مسكينة لا ذنب لها سوى أنهـا لم تثمـر.. ولم تثمر من عندها، بـل لأنـه لم يكن وقت الثمـر.. ألسـتم تـروون في (مرقس:11 :ـ 12):(وفي الغد، بعدما غادروا بيت عنيـا، جـاع. وإذ رأى من بعيد شجرة تين مورقة، توجـه إليهـا لعلـه يجـد فيهـا بعض الثمر. فلما وصل إليها لم يجد فيها إلا الورق، لأنه ليس أوان الـتين. فتكلم وقال لها: (لا يأكلن أحد ثمرا منك بعد إلى الأبد)؟

ولم تكتفوا بالشجر، بل رحتم تنسبون إلحـاق الأذى بالحيوانـات البريئة.. بل تجلعونه يتسبب بمقتـل ألفي حيـوان في وقت واحـد.. ألستم تروون في (مرقس: 5 :ـ 11):(وكان هناك قطيع كبـير من الخنازير يرعى عنـد الجبـل، فتوسـلت الأرواح النجسـة إلى يسـوع قائلة: أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها، فـأذن لهـا بـذلك، فخـرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنـازير، فانـدفع قطيـع الخنـازير من على حافة الجبل إلى البحيرة، فغرق فيها، وكان عدده نحو ألفين)؟

ألا تسألون أنفسكم: ما ذنب الخنـازير وصـاحب الخنـازير، حين أراد إخراج الشياطين من المجنون؟.. ألم يكن من الأجـدى إخـراج الشياطين دون الإضرار بالخنازير؟!

أنتم تجلعونه رمزا للسلام، لكنكم تشوهون السلام الـذي يـدعو إليه بما تنسبون إليه من سلوك.. ألستم تروون أنه صنع سوطا من الحبال، ودخل به الهيكل، وطرد جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه وبعثر دراهمهم وقلب موائدهم.. لا يمكنك أن تكذب ذلك.. فقد جاء في (يوحنا:2 :ـ 14):(وإذ اقترب عيد الفصـح اليهـودي، صـعد يسوع إلى أورشليم، فوجد في الهيكل باعة البقر والغنم والحمـام، والصـيارفة جالسـين إلى موائـدهم، فجـدل سـوطا من حبـال، وطردهم جميعا من الهيكل، مع الغنم والبقر، وبعثر نقود الصـيارفة وقلب مناضدهم)

ألا يحمل هذا السلوك عنفا غير مبرر؟.. كان في إمكـان يسـوع المحبة أن يتصرف بما تمليه المحبة والسلام اللذان يدعو إليهما.

ألستم تروون في سـفر الرؤيـا [2 :ـ 21 _ـ 23] أن مسـيح المحبة قال عن إمرأة اسمها إيزابل كانت تـدعي انهـا نبيـة: (فـإني سألقيها على فراش، وأبتلي الزانين معها بمحنـة شـديدة..وأولادهـا أقتلهم بالموت، فستعرف جميع الكنائس أني أنا هو الفاحص الكلى

والقلوب، وأجازي كل واحد منكم بحسب أعماله)

فهل من المحبة والرحمة أن يقتل الأطفال بذنب أمهم؟

نعم أنتم تروون وصيته لكم بأعدائكم، ولكنكم في نفس الوقت تجعلونه يأمركم بكل قسوة ببغض أقرب الناس إليكم.. ألستم تروون قوله في (لوقا:14: 26):(إن جاء إلي أحد، ولم يبغض أباه وأمه وزوجته وأولاده وإخوته وأخواته، بل نفسه أيضا، فلا يمكنه أن يكون تلميذا لي)؟

بل أنتم تناقضون أنفسكم حين تجعلون من رسول السلام يقول: (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض. ما جئت لألقي سلاما، بل سيفا.فإني جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه، والبنت مع أمها، والكنة مع حماتها) (متى: 10 : 34)

بل جعلتموه يقول: (جئت لألقي على الأرض نارا، فلكم أود أن تكون قد اشتعلت؟) (لوقا 12 : 49)

بل جعلتم الله نفسه نارا.. ألم يقل صاحبكم في رسالة العبرانيين [12 :ـ 29]:(لأن إلهنا نار آكلة).. بل جعلتموه يتجرد من الرحمة ويترك ابنه يلاقي أبشع أنواع العذاب دون ذنب وهو يصرخ بصوت عظيم: (إلهي إلهي لماذا تركتني ؟)(متى :27 : 46)

التفت إلي، وقال: هل تراني زدت شيئا في كتابكم ؟.. إن كل ما قرأته من كتبكم المقدسة.. إنها تحمل صورة مشوهة عن المسيح نرفضها ـ نحن المسلمين ـ رفضا شديدا.

قلت: فما الصورة التي تحملونها عنه؟

قال: لا تكفي كل هذه الطريق التي نقطعها في وصف روحانية المسيح وأخلاق المسيح كما وردت في القرآن الكريم، ولكنها صورة من أجمل الصور.. لعلها هي الصورة التي تحرك لها قلبك..

إن القرآن الكريم يعرض الصورة الحقيقية للمسيح من لحظة ولادته إلى نهاية وجوده على الأرض.. فهو يبين حقيقة هذه الشخصية.. ويصور أهداف دعوتها، وأركان رسالتها، وما أكرمها الله به من معجزات..

إن القرآن الكريم يصف المسيح بأشرف الأوصاف.. فهو عبد لله ليس إلها، ولا ابن إله.. إنه ابن امرأة طاهرة ظهرت براءتها على لسان رضيعها، الذي نطق في المهد، مبينا حقيقته ورسالته وسمو أخلاقه، قال تعالى: فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً وَبَرّاً

بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً (مريم:29 ـ 33)

وما كانت ولادته بهذه الصورة، إلا لأنه آية للناس على قدرة الله.. وقد سبقه في الولادة بهذه الطريقة المعجزة آدم أبو البشر، ولهذا قرن الله بينهما، فقال: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(آل عمران : 59)

والمسيح ــ في النظرة القرآنية ــ لا يختلف عن إخوانه من النبيين والمرسلين، فهو بشر مخلوق، ونبي مرسل، قال تعالى: إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (الزخرف: 59)

ولذلك هو يمتلئ تواضعا وعبودية لخالقه، بل يتشرف بذلك، قال تعالى: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (النساء : 172)

والقرآن الكريم يبرهن بالدلائل المختلفة على هذه العبودية التي لا تجد العقول بدا من الخضوع لها، قال تعالى: مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (المائدة : 75)

أما وظيفته، فهو لم يأت إلا بالحكمة التي تملأ القلوب بالإيمان، والسلوك بالرفعة، قال تعالى: وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (الزخرف : 63)

وقد أرسل كسائر النبيين برسالة خاصة إلى قوم مخصوصين، قال تعالى مبينا إرساله إلى طائفة محددة من البشر : وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ (الصف : 6)، وقال تعالى: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (آل عمران : 48)

وقد عرض القرآن الكريم بعض نواحي الرسالة التي جاء بها المسيح، والتي لا تزال بعض آثارها فيما لم يحرف من نصوص الأناجيل:

فمن رسالته ما نص عليه قوله تعالى: وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ

بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (المائدة : 469

ومن أهم ما جاء به في رسالته التبشير بمجيء النبي الخاتم ﷺ، كما قال تعالى: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (الصف:6)

التفت إلي، وقال: إن شئت أخبرتك بأن ما في أيديكم من الأناجيل تحمل هذه البشارة، رغم ما لحق بها من تحريف.

قلت: لا أرى في الأناجيل ما تذكر.

قال: لأنكم لا تقرأون الإنجيل بعقولكم.. فإن شئت أن تقرأه بعقلك.. فهلم أحدثك عن بشارات المسيح.. فليس لي من هم في هذه الطريق التي سار فيها المسيح إلا أن أبشر ببشارات المسيح.

قلت: أنا طوع أمرك.. حدثني.. ولكن لا تذكر لي من الأناجيل إلا ما أعرفها..

قال: لك علي ذلك.. لم يبشر المسيح بالنبي ﷺ ـ على حسب أناجيلكم ـ في موضع واحد، بل بشر به في مواضع كثيرة، سأقتصر على مواضع منها.

الفارقليط:

قلت: فما أولها؟

قال: أعظم بشارات المسيح ــ على حسب الأناجيل ــ هي نبوءات المسيح عن مجيء الفارقليط رئيس هذا العالم، وحسب نسخة الرهبانية اليسوعية (سيد هذا العالم)

وقد انفرد يوحنا في إنجيله بذكر هذه البشارات المتوالية من المسيح بهذا النبي المنتظر، حيث يقول المسيح موصياً تلاميذه: (إن كنتم تحبونني، فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر، ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم، ويكون فيكم.. إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً.

الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي، والكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني، بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء،

ويذكركم بكل مـا قلتـه لكم.. قلت لكم الآن قبـل أن يكـون، حـتى متى كان تؤمنون، لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً، لأن رئيس هذا العــالم يأتي، وليس له فيّ شيء) (يوحنا 14/15 – 30)

وفي الإصحاح الذي يليه يعظ المسيح تلاميذه طالباً منهم حفظ وصاياه، ثم يقول: (متى جاء المعزي الـذي سأرسـله أنـا إليكم من الآب، روح الحــق الــذي من عنــد الآب ينبثــق، فهــو يشــهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي في الابتداء.. قـد كلمتكم بهـذا لكي لا تعثروا، سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيهـا يظن كـل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله.. قد ملأ الحزن قلوبكم، لكني أقـول لكم الحق: إنـه خـير لكم أن أنطلـق، لأنـه إن لم أنطلـق لا يـأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيــة وعلى بــر وعلى دينونــة، أمــا على خطيــة فلأنهم لا يؤمنـون بي، وأمـا على بـر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونـني أيضـاً، وأمـا على دينونـة فلأن رئيس هـذا العـالم قـد دين.. إن لي أمـوراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تسـتطيعون أن تحتملـوا الآن، وأمـا متى جاء ذاك، روح الحق، فهـو يرشـدكم إلى جميـع الحـق، لأنـه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسـمع يتكلم بـه، ويخـبركم بـأمور آتيـة، ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم) (يوحنا 15/26 - 16/14)

ألا ترى أن المسيح يتحدث عن قادم يأتيهم؟

قلت: بلى.. هذه النبوءة تتحدث عن هـذا القـادم.. ولكنـه ليس الذي تزعم..

قال: فمن هو؟

قلت: إنه روح القدس الذي نـزل على التلاميـذ يـوم الخمسـين ليعزيهم في فقدهم للسيد المسيح، وهناك (صار بغتـة من السـماء صـوت كمـا من هبـوب ريح عاصـفة، وملأ كـل الـبيت حيث كـانوا جالسين، وظهرت لهم ألسـنة منقسـمة كأنهـا من نـار، واسـتقرت على كـل واحـد منهم، وامتلأ الجميـع من الـروح القـدس، وابتـدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا)(أعمـال 2/1 ـ 4)

قال: أهذا وحده ما تفسرون بـه هـذه البشـارة الخطـيرة الـتي كانت من أهم ما احتوته رسالة المسيح؟

قلت: لا تذكر أسفار العهد الجديد شيئاً سوى ما ذكرت لـك عن هذا الذي حصل يوم الخمسين من قيامة المسيح..

قال: أنا لا أكذب ما ذكره الحواريون.. ولكن هذه الكرامة الـتي حصلت لهم، والتي قد تحصل لأي ولي من أولياء الله في أي زمان وأي أمـة لا تسـتدعي تلـك البشـارة العظيمـة.. فلم نعهـد الأنبيـاء يبشرون بآحاد الكرامات، ويعتـبرون التبشـير بهـا أصـلا من أصـول رسالتهم.

ولنفرض أنهم فهموا البشارة بهذا الفهم.. فهل هذا يعني أن مـا فهموه صحيحا.. لو أنكم طبقتم الكثير من البشارات الـتي فسـرها هؤلاء التلاميذ أو غـيرهم لمـا وجـدتم انطبـاق الكثـير منهـا على مـا طبقوه؟.. فهذه من تلك.. وهم معذورون إن اجتهـدوا في التفسـير وأخطأوا في التوفيق للصواب.

إن هذه البشارة تنص على أمر عظيم يتعلق بالبشر جميعـا.. لا بتلاميذ محصورين.. فإن أذنت لي ذكرت لك من هذا المعزي الـذي هو رئيس هذا العالم.

لم أملك إلا أن أوافق على طلبه، فقد كـان لكلامـه من الحلاوة ما يأسر القلوب.. إن فيه نفحات كثـيرة من روح المسـيح تشـمها، ولكن لا تستطيع التعبير عنها.

قال: أولا.. أنت تعلم أن لفظة (المعزي) لفظة حديثة استبدلتها التراجم الجديدة للعهد الجديد، فيما كانت التراجم العربية القديمـة، كترجمة 1820م، وترجمة 1831م، وترجمة 1844م تضع الكلمـة اليونانية (البارقليـط) كمـا هي، وهـو مـا تصـنعه كثـير من الـتراجم العالمية.

أتدري ما معنى هذه الكلمة؟

قلت: إنها تعني العزاء.. فالبارقليط هو المعزي(1).

---

1) هذا معنى من المعاني المختارة في بعض ترجمات الكتاب المقدس، وفي بعضها الآخر نجد كلمة (شفيع) بدلها كما في الجدول التالي:

نسـخة فانـديك المعتمـدة ط 1977	**نسخة كتاب الحياة ط 1988**
يـا أولادى أكتب إليكم هـذا لكى لا تخطئـوا. وإن أخطـأ أَحَـدٌ فلنـا **شـفيع** (παρακλητον) عند الآب يسـوع المسـيح البار.	يا أولادى الصـغار أكتب إليكم هـذه الأمـور لكى لا تخطئـوا. ولكن إن أخطـأ أحـــدكم فلنـــا عنـــد الآب **شـــفيع** (παρακλητον) هو يسوع المسيح البار.
نسخة الكاثوليك ط 1993	**نسـخة الآبـاء اليسـوعين ط 1991**
يا أبنـائى أكتب إليكم بهـذه الأمـور لئلا تخطـأوا. وإن خَطِىء أحـد منـا فلنـا يســـوع المســـيح البـــار **شـــفيع** (παρακλητον) عند الآب.	يـــا بـــنىّ أكتب إليكم بهـــذا لئلا تخطأوا. وإن خَطِىء أحد فهناك **شـفيع** (παρακλητον) لنا عنـد الآب وهـو يسـوع المسيح البار.

قـال: قبـل أن أجيبـك عن معناهـا بحسـب مـا ورد في لغتهـا الأصلية أود أن أنبهك إلى أصل من أصول التحريف الـتي يمارسـها قومك، كما مارسها بنو إسرائيل من قبلهم.

قلت: ما هو؟

قال: أرأيت لو أن اسـمك يوحنـا أو بـولس أو أي اسـم ترضـاه لنفسك، فجئت، وترجمته، وترجمت اسم والدك، واسم البلـد الـتي تسـكن فيهـا، ثم وضـعت هـذه المعلومـات المترجمـة جميعـا على كتاب أنت ألفته.. لأقول للقارئين: إن مؤلف الكتاب هو فلان.. هـل ترضى بذلك؟.. وهل يعرف القارئون المؤلف الحقيقي للكتاب؟

قلت: لا.. فالأسـماء توضـع للدلالـة على المسـمى، وليسـت مقصودة لذاتها.

قال: وهل يمكن أن تتهم الذي فعل هذا بكتابك؟

قلت: أجل.. فقد يكون قصده خبيثا.

قال: هذا ما فلعه قومك، وبنو إسرائيل من قبلهم، فقـد عمـدوا إلى أسماء الأعلام يترجمونها، ويغمضون في الترجمة ليشـتد إلغـاز النبوءة.. وسأضرب لك أمثلة على ذلك:

فقد جـاء في المزامـير (84/6) عنـدما ذكـرت المزامـير اسـم

ففي هذا الجدول نلاحظ أنَّ الترجمات العربية اتفقت على ترجمة كلمة بارقليط إلى **شفيع** (وموقعها فى الجملة اليونانية هنا فى وضع المفعول به وتنطق **بارقليطون** مع ملاحظة أنَّ الحرفين الآخرين (ον) هما علامة الإعراب اليونانية هنا وليسا من أصل الكلمة وأنَّ حرفى القاف والطاء قد تحولا إلى الكاف والتاء)

وقد ذهب علماء المسيحية إلى القول بأنَّ أصل المصطلح بارقليط هو الكلمة اليونانية التى تنطق **باراكاليو** (παρακαλεω). وهذه الكلمة باراكاليو معناها يستغيث بـ أو يستنجد بـ. وأنَّ الاسم المشتق منها هو **براكليسس** (πρακλησις).

والشفاعة المقصودة هنا فى رسالة يوحنا معناها الوساطة التى يقوم بها المسيح ﷺ بين أتباعه وبين الآب الأقنوم الأول عندهم.

والكلمة اليونانية المُعَبِّرة عن تلك الوساطة هى (εντυγχανω) وكما يلاحظ القارىء أنها كلمة أخرى تختلف عن الكلمة التى استخدمها يوحنا وهى بارقليط (παρακλητον).

وهناك كلمات أخرى تؤدى معنى كل من الشفاعة والوساطة والمُحَاماه.. وكلها تختلف فى رسم حروفها وطريقة نطقها عن الكلمة التى استخدمها يوحنا، مما يدل على أنَّ المصطلح اليوحناوى ليس يونانيا فى أصل لغته.

وإذا ذهبنا إلى التراجم الإنجليزية، الأقرب إلى اليونانية من العربية نجد أنَّ المصطلح اليوحناوى قد تمت ترجمته فى ذلك الموضع إلى عدة كلمات إنجليزية ولم يتفقوا على كلمة واحدة أو كلمتين كما اتفقت الترجمات العربية. وأنهم لم يحاولوا أن يكتبوه كما هو فى أصله رغم أنهم يعلمون أنه اسم عَلَم مُذكر، **فقالوا** (Advocate) وذلك فى النسخ (KJV , PME , RSV , JB , NASB) بمعنى محام يدافع عنهم أمام الآب، **وقالوا** (Someone to plead for you) أى أنَّ هناك من يدافع أو يترافع عنهم أمام الآب، وقد وردت هذه الترجمة فى نسخة (LB) وقريبا منها فى نسخة (NEB). **وقالوا** (One who speaks to the Father) أى الذى يكلم الآب وذلك فى نسخة (NIV) (انظر: نبي أرض الجنوب)

مدينة المسيح القادم، أسمتها: وادي بكة [בְּעֵמֶק הַבָּכָא]، وتقرأ (بعيمق هبكا)، فترجمها المترجمون إلى العربية إلى وادي البكاء، وترجمتها نسخة الرهبانية اليسوعية إلى (وادي البَلَسان)؛ لتضيع دلالتها على كل عربي يعرف أن بكة هي بلد محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:96)

وقد ضرب رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) لهذا الصنيع من المترجمين ثلاثة عشر مثالاً قارن فيها بين طبعات مختلفة للكتاب المقدس، ليقف منها على أثر هذا الصنيع في ضياع دلالات النصوص:

منها أنه جاء في الطبعة العربية (1811م) سمى إبراهيم اسم الموضع (مكان يرحم الله زائره)(انظر التكوين 22/14)، فاسم المكان العبراني أبدله المترجم بمعناه، وفي طبعة (1844م) العربية قال: (دعا اسم ذلك الموضع (الرب يرى)، وبذلك ضاع الاسم الصحيح، واختلفت المعاني، ومثله كثير)

ثم قال: (فهؤلاء المترجمون لو بدلوا في البشارات المحمدية لفظ رسول الله بلفظ آخر، فلا استبعاد منهم)

وقد نقل هذا العلامة الجليل عن حيدر القرشي صاحب كتاب (خلاصة سيف المسلمين) قوله: (إن القسيس أوسكان الأرمني ترجم كتاب إشعياء باللسان الأرمني في سنة ألف وستمائة وست وستين، وطبعت هذه الترجمة في سنة ألف وسبعمائة وثلاث وثلاثين في مطبعة أنتوني بورتولي، ويوجد في هذه الترجمة في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة: (سبحوا الله تسبيحاً جديداً، وأثر سلطنته على ظهره، واسمه أحمد (إشعيا 42/10 – 11))(1)

قلت: ما علاقة هذا بما نحن فيه؟

قال: هل كان المسيح يتكلم باللسان الآرامي أم باللسان اليوناني؟

قلت: بل كان يتكلم الآرامية.. ألا تعلم أن المسيح كان إسرائيليا؟

قال: وإنجيل يوحنا.. ما هي اللغة الأصلية التي كتب بها؟

قلت: كتبه باليونانية..

قال: وبماذا يقرؤه المسيحيون الآن؟

قلت: كل يقرؤه بلغته.. فنحن نقرؤه بالألمانية، وأنتم تقرأونه

1) انظر : إظهار الحق، رحمة الله الهندي (4/1097 – 1107)، (4/1208 – 1209)

بالعربية.

قال: فالإنجيلي الرابع إذن يوحنا ترجم اسم المبشر به من الآرامية إلى اليونانية، بحسب طريقتهم في الترجمة من ترجمة المعنى، ثم ترجمتموه أنتم إلى العربية، أو إلى أي لغة أخرى.. ولم تحرصوا على الحفاظ على الاسم كما هو.

قلت: هذا صحيح.. ولا يمكن أن أجادلك فيه.. ولكن لا بد من هذا، فنحن لا نعتبر البارقليط علما، بل نعتبره وصفا.

قال: فسنبحث إذن في المراد من هذا الوصف على حسب اللغة اليونانية..

قلت: لا بأس.

قال: الكلمة اليونانية هي باراكليتوس (Paracletos) وهي تعني المحامي أو المؤيد أو الشفيع (Advocate) الذي يُدعى لمساعدة أو معاونة إنسان آخر، وتعني الصديق أو الولي الودود الحنون.. وقد ترجمتم هذه الكلمة بـ (المعزى) في اللغة العربية، وبكلمة (كومفورتر) (Comforter) في النسخة الإنجليزية.

أليس ذلك صحيحا؟

قلت: بلى..

قال: ألا تعلم أن كلمة (بيريكليتوس((Periclytos)، تعني المستوجب للحمد.. والتي قد تترجم في اللغة العربية بـ(محمد)

قلت: أعلم ذلك.. ولكن الكلمة التي جاءت في يوحنا هي باراكليتوس (Paracletos) لا (باراكليتوس) (Paracletos)

قال: ولكن الفرق بينهما يسير جدا، فهما تحملان نفس الحروف.. وليس هناك من فرق بينهما غير بعض الحركات التي قد يكون للزمن تأثير فيها.. زيادة على هذا، فقد ظهرت مثل تلك الأخطاء في كتابة أناجيل العهد الجديد لعدم وجود مسافات بين الحروف في النص اليوناني، وذلك قد ينتج عنه أن تغفل عين الكاتب كلمة تشبه أخرى أو تقاربها فى المكان.

ثم بعد ذلك ألا ترى أن للزمن تأثيره في اللهجات واللغات؟

صمت، فقال: لقد ذكر رحمة الله الهندي أنه وصلته رسالة صغيرة من رسائل القسيسين، وكانت هذه الرسالة قد طبعت في كلكته، وكانت في تحقيق لفظ بارقليط، وادعى مؤلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم في الغلط من لفظ بارقليط، وكان ملخص كلامه:(أن هذا اللفظ معرب من اللفظ اليوناني، فإن قلنا أن هذا اللفظ اليوناني الأصل باراكلي

طـوس، فيكـون بمعـنى المعـزي والمعين والوكيـل، وإن قلنـا أن اللفظ الأصل بيركلو طوس يكون قريباً من معـنى محمـد وأحمـد، فمن استدل من علماء الإسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ الأصل بيركلو طوس، ومعناه قريب من معنى محمـد وأحمـد، فـادعى أن عيسى أخبر بمحمد أو أحمد لكن الصحيح أنه باراكلي طوس)[1]

فهذا اعتراف من هذا القسيس بالتقـارب بين الكلمـتين.. وهـو تقارب يرجح أن لهذه الكلمة علاقة باسم محمد.

قلت: أنت ومن معك يرجح هذا.. ولكنا لا نزال نرى من أن هذه الكلمة وصف يشير إلى روح القدس الذي نـزل على التلاميـذ يـوم الخمسين ليعزيهم في فقدهم للسيد المسيح.

قـال: سـأرد على هـذا من وجـه آخـر.. ألا تعلم أن كثـيرا من المسلمين ادعى أنه المهدي.. وتسمى بذلك؟

قلت: أعلم ذلك.. وهو دليل على ضعف عقولهم.

قال: دعنا من الأحكام.. نريد فقط أن نبحث عن الحقيقة.

قلت: أتريــد أن نخــرج من البشــارة بالمســيح إلى البشــارة بالمهدي؟

قال: نريد أن نقيس.. أجبـني.. لـولا أن النصـوص النبويـة الـتي وصلت لهؤلاء تخـبر أن هنـاك مهـديا.. هـل كـان يفكـر أحـد في أن يدعي أنه المهدي؟

قلت: لا.. لقد كـانت الأقـوال الـتي قالهـا نـبيكم هي سـر هـذه الادعاءات.

قال: فقس هذا على البارقليط.

قلت: لم أفهم..

قال: ألا تعلم أن هناك نفـرا ادعـوا قبـل ظهـور محمـد ﷺ أنهم مصـاديق كلمـة (بارقليـط).. منهم ــ على سـبيل المثـال ــ منتنس المسيحي الذي كان في القرن الثاني من الميلاد، فقد ذكـر رحمـة اللــه الهنــدي أنــه ادعى قــرب ســنة 177 من الميلاد في آسـيا الصغرى الرسالة، وقال: (إني هو البارقليط الموعود به الذي وعــد بمجيئه عيسى)، وتبعه أناس كثيرون في ذلك، كما هـو مـذكور في بعض التواريخ.

وذكر وليم ميور حاله وحال متبعيـه في تاريخـه المطبـوع سـنة

---

1) وقد رد رحمة الله الهندي على هذا بقوله :« فأقول أن التفاوت بين اللفظين يسير جداً، وأن الحروف اليونانية كـانت متشـابهة، فتبـدل بـيركلو طـوس بيـاراكلي طـوس في بعض النسخ من الكاتب قريب القياس، ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسـخة على النسخ الأخر »

1848 من الميلاد هكـذا:(أن البعض قـالوا أنـه ادعى أني فارقليـط يعني المعزي روح القدس وهو كان أتقى ومرتاضـاً شـديداً، ولأجـل ذلك قبله الناس قبولاً زائداً)

وهـذا يـدل على أن انتظـار بارقليـط كـان في القـرون الأولى المسـيحية أيضـاً، ولـذلك كـان النـاس يـدعون مصـاديقه، وكـان المسيحيون يقبلون دعاواهم.

وقد ذكر رحمة الله عن صاحب لب التواريخ قولـه: (إن اليهـود والمسيحيين من معاصري محمد ﷺ كانوا منتظرين لنـبي، فحصـل لمحمد من هذا الأمر نفع عظيم، لأنه ادعى أني هو ذاك المنتظـر)، فهذا يـدل على أن أهـل الكتـاب كـانوا منتظـرين لخـروج نـبي في زمان محمد ﷺ.

وهــذا من الشــهرة والتــواتر بحيث لا يحتــاج منــا إلى كــثرة الشواهد.. ولعلك تظفر بمن يعدد لك شواهده.

أتراك اقتنعت بما قلت؟

قلت: ليس بهذه السـهولة أن أقتنـع.. فمـا ذكرتـه من الأدلـة لا يكفي لإثبات أمر خطير كهذا.

قال: ولكنكم أثبتم أن المراد من هذه النبوءة هو مـا نـزل على التلاميذ يوم الخمسين ليعزيهم في فقدهم للسيد المسيح بســهولة ويسر.

قلت: لأن ذلك هو المراد من النبوءة.

قال: فلندع كلمة (البارقليط).. ولنـذهب إلى سـائر مـا ورد في البشارة، ولنحاول المقارنة في تطبيقها بين محمد، ومـا نـزل على التلاميذ.

قلت: هذا منهج صحيح.. فالبشارات تحتاج إلى الدلائل القطعية لإثباتها.

قال: لقد ذكرت أن البشارة تنطبق على روح القدس.. فما هي براهينك على ذلك؟

قلت: كثيرة.. فاصبر معي لأعددها لك.

قـال :﴿ سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّهُ صَـابِراً وَلا أَعْصِـي لَـكَ أَمْـراً﴾ (الكهف:69)

قلت: أنت تعلم أن المسيح كـان معلم الحـواريين مـدة إقامتـه بينهم، وكان مرشدا ومعزيا لهم ومدافعا عنهم حتى تعلقت قلـوبهم به، وقد عرف أن فراقـه بسـبب المـوت سـيحزنهم جـدا.. وتحقـق أنهم في حاجة إلى مساعدة سماوية لتقويتهم وإرشادهم وتعزيتهم

بعد فراقه.. لهذا كله سبق، فوعدهم بالروح القدس المعزى الآخر.
هذه هي علة هذه النبوءة..
بالإضافة إلى هذا، فإن هناك وجوهـا كثـيرة تنفي انطبـاق هـذه البشارة على نبيكم:
منها أن الموعود بـه ليس ذا جسـم، فهـو روح الحـق، لـذلك لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه، وهـذا الوصـف لا يصـدق على محمد لأنه ذو جسم، وقد رآه العالم مؤمنهم وكافرهم.
ومنهـا أن هـذا الموعـود جـاء ليمكث مـع الحـواريين إلى الأبـد، وذلك لا يصدق على محمد، لأنـه لم يـأت في زمن الحـواريين، ولم يمكث في العالم أو معهم إلى الأبد.
ومنها أن الموعود به كان وقتئذ مع الحواريين فقـد قـال: (لأنـه مــاكث معكم)، وهــو لا يصــدق على محمــد، لأنــه لم يكن مــع الحواريين.
ومنها أن المسيح أوصى الحواريين (أن لا يبرحوا من أورشـليم، بـل ينتظـروا) ذاك المعـزى الـروح القـدس، وهم إطاعـة لسـيدهم انتظروا عشرة أيام في أورشليم حـتى جـاء ذلـك المُعـزى، (وامتلأ الجميع من الروح القـدس)، وهـذا لا يصـدق على محمـد، وإلا كـان يجب على الحواريين أن ينتظروا في أورشـليم نحـو سـتمائة سـنة إلى مجيء محمد، وليس لهم هذا العمر.
وهذا يتأكد بما ذكره المسيح من أنه وعدهم بإرسال هذا الـروح المعــزى على عجــل، وإلا فليس من فائـدة للتعزيــة، وهم مــوتى، فتعزية لهم قال: (وأما أنتم فستتعمدون بـالروح القـدس ليس بعـد هذه الأيام بكثير)(أعمال الرسل:1 : 5)
ثم بعد هذا كله، لقد أخبر المسيح أنـه هـو الـذى سيرسـل هـذا المعزي، فهل ترى أن المسيح هو الذي أرسل محمـدا.. فـإن كـان كذلك، فأنت تسلم لنا بألوهيته.
زيادة على هذا كلـه، فـإن المعـزى الـذى تحـدث عنـه المسـيح لتلاميذه، لم يكن نبيا آتيا بعده، وإنما كان الروح القدس كما أوضــح له المجد بفمه المبارك قائلا: (وأمـا المعـزى الـروح القـدس الـذى سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلتــه لكم)
ثم إن المسيحيين لم ينتظروا نبيا يأتى بعد المسيح، بل كان كل رجائهم ومازال فى عودة المسـيح ثانيـة بعـد صـعوده إلى السـماء كما وعدهم (وها أنا أتى سريعا وأجرتى معى لأجازى كل واحد كمـا

يكون عمله)

ولهذا فإن صلاة المسيحيين الحقيقيين فى كل العصور تركـزت فى الكلمات:(آمين. أيها الرب يسوع)، وهى آخر كلمات اختتم بهـا سفر الرؤيا، آخر أسفار الكتاب المقدس.

كنت أتكلم.. وكان يستمع بتركيز شديد لمـا أقـول.. ولم يظهـر على وجهه أي تغير رغم أني ألقيت بكل ما لدي من قوة لأفنـد مـا ذهب إليه، بل لم يقاطعني بكلمة واحدة.

عندما انتهيت، قال: هل انتهيت؟

قلت: أجل..

قال: بورك فيك.. لقد ذكرت وجوهـا كثـيرة.. أنت تراهـا أدلـة.. وأنـا أراهـا شـبها، فـأذن لي في أن أرد عليهـا.. لا بـالترتيب الـذي ذكرت، فذلك قد يوقعنا في الجدل.. بل بـذكر مـا يمكن أن يوضـح حقيقة هذه النبوءة.

قلت: سأسمع وأصبر.

قال: ما هو عدد ضمائر (هـو) أو (he's) باللغـة الإنجليزيـة الـتي استخدمت لوصف الباراقليط؟

صمت، فقال: سبعة ضـمائر مـذكرة في جملـة واحـدة(1).. ولا توجد آية أخرى في جميع الـ 66 سـفرا لإنجيل البروتسـتانت، أو الـ 73 سفرا لإنجيل الكاثوليك، بها سبعة ضمـائر مـذكرة.

وكل هـذه الضـمائر المـذكرة في آيـة واحـدة لا يمكن أن تـدل على شبح أو طيف أو روح (GHOST) سواء كان مقدسا أم لا(2).

صـمت، فقـال: لا بـأس.. هـل تعـرف الأصـل اليونـاني لكلمـة (الروح القدس)

قلت: أجل.. هي (بنيوما PENUMA)في الأصل اليوناني.

قال: فما تعني في هذا الأصل الذي ترجمت عنه الأناجيل؟

قلت: هي لفـظ مشـترك يعـني النفس أو الـروح أو الغـاز أو

1((Hom brit when **h**e the spirit of truth is come, **he** will guide you into all truth for **he** shall not speak of himself, but what so ever **he** shall hear that shall **he** speak and **he** will show you things to come.

2) يذكر ديدات أنه عندما نوقش في هذه النقطة الخاصة بالسـبعة ضـمائر المـذكورة في آية واحدة من الإنجيل في مناظرة في الهند بين المسـلمين والمبشـرين المسـيحيين غيرت النسخة الأردية من الإنجيل، قال ديدات :« وهو خداع معتـاد من المبشـرين خاصـة في اللغات الإقليمية، وآخر حيلة عثرت عليها في الإنجيل باللغة الإفريقيـة في هـذه الآيـة موضـع البحث، فقـد غـيروا كلمـة معـزى (مسـاعد COMFORTER) إلى كلمـة وسـيط (MEDIATOR) و أقحموا فيها جملة الـروح القـدس، وهي الـتي لم يجـرأ أي دارس إنجيلي في إقحامها إلى النسخ الإنجليزية المتعددة لا ولا حتى جماعـة شـهود يهـوا. وهكـذا يصـنع المسيحيون كلمات الله »

الهواء.

قال: فهي لا تدل على الروح وحدها.

قلت: أجل.. لا توجد كلمة واحدة منفصلة للتعبير عن الروح في الكتب المقدسة اليونانية.

قال: فكلمة (GHOST) التي ترجمتم بها كلمة PENUMA اليونانية، والتي تعني الطيف أو الشبح في نسخة الملك جيمس، والتي تعتبرونها النسخة المرجع ونسخة الرومان الكاثوليك مجرد اختيار فقط.

قلت: أجل..

قال: يمكنكم أن تضعوا بدل كلمة (GHOST)التي تعني الطيف أو الشبح كلمة SPIRIT التي تعني الروح.

قلت: يمكن ذلك.. ولكن المترجمين اختاروا (GHOST)

قال: لم يختاروها عن فراغ.. إن هناك فرقا كبيرا بين الطيف القدسي HOLY GHOST التي اخترتموها، وبين الروح القدسي أو الإلهي.

قلت: فما الفرق بينهما؟

قال: إذا كان المعزي أو المساعد هو الروح القدسي أو الإلهي، فإن الروح القدسي أو الإلهي هو النبي القدسي أو الإلهي، ونحن كمسلمين نؤمن بأن أي نبي مرسل من قبل الله تعالى هو نبي قدسي وبدون أي خطيئة (1).

ليس نحن فقط الذين نقول ذلك.. إن يوحنا ـ الذي ينسب إليه الإنجيل وثلاث رسالات تعتبرونها أجزاء من الإنجيل المسيحي ـ استخدم تعبير الروح الإلهي للدلالة علي النبوة الإلهية، كما قال: (أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح، هل هي من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلي العالم)(إنجيل يوحنا:4 : 1)

ألا ترى أن كلمة الروح استخدمت هنا مرادفة لكلمة النبي، فالروح الحقيقي هو النبي الحقيقي، والروح المزيف هو النبي المزيف؟

زيادة على هذا، فإن يوحنا لم يتركنا معلقين، لقد أعطانا اختبارا حاسما للتعرف علي النبي الحق، فقال: (بهذا تعرفون روح الله

---

1) في أناجيل العهد الجديد أطلقت هذه الكلمة أيضا على من يتلقى الوحي الإلهي، وعلى من يمتلك القدرة على الاتصال الروحي وبناء على ذلك، فروح الحق هو ذلك الشخص الذى لديه قوى اتصال روحيه، أى ذلك الشخص الذى يتلقى الوحي الإلهي، والذي يتميز بأنه مكرس للحق في حياته وسلوكه وشخصيته.

كل روح يعترف بيسوع المسيح أنـه قـد جـاء في الجسـد فهـو من الله) (إنجيل يوحنا:4 : 2).

وتبعا لكلمات يوحنا التفسيرية السـابقة فمعـنى (روح) مرادفـة لكلمة (نـبي)، وعلى هـذا، فمعـني (روح اللـه) في الآيـة هي (نـبي الله) ومعني (كل روح)هو (كل نبي)

وبذلك يكون المساعد أو المعزي المـذكور في إنجيـل يوحنـا لا يمكن أن يكون هـو الـروح القدسـي (HOLY GHOST) لأن المسـيح قال: (وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيـا آخـر ليمكث معكم إلي الأبد)

سكت، قليلا، ثم قال: ألا تلاحظ أن كلمة آخر تسترعي الانتباه؟

قلت: ما تعني؟

قال: لقد استخدم النص اليونانى كلمه allon، وهى مفعـول بـه مـذكر من كلمـه (allos) الـتى معناهـا (آخـر من نفس النـوع)، أمـا الكلمة التى معناهـا (آخـر من نفس مغـاير) فهى (hetenos)، وهى غير مستخدمة فى النص اليونانى.

وهـذا يعـني أن هـذا البارقليـط آخـر من نفس النـوع، أي أنـه شخص خلاف الأول، أو هو شخص إضافي، ولكنه من نفس النـوع، وإن كـان يختلـف بوضـوح عن الشـخص الأول.. فمن هـو المعـزي الأول، حتى نعرف المعزي الموعود؟

إنـه ليس الـروح القـدس بكـل تأكيـد، لأن قـدوم المعـزي لـه شروط لا تنطبق علي الروح القدس كما نلاحـظ من النبـوءة الـتي تقول: (لكن أقول لكم الحق إنـه خـير لكم أن أنطلـق، لأنـه إن لم أنطلـق لا يـأتيكم المعـزي، ولكن إن ذهبت أرسـله إليكم)(إنجيـل يوحنا:16: 7)، أي أنه إذا لم يذهب لا يأتي، ولكن إذا ذهب المسيح جاء هذا الموعود.

فمجيء هذا الموعود رهن بذهاب المسيح.. فأجبني واصدقني.. هل كان الروح القدس يساعد المسيح في وظائفه أم لا؟

لم أملك إلا أن أجيب بالإيجاب، فقال: بـل كـان الـروح القـدس يساعد الحواريين أيضا في مهامهم التبشيرية الوعظيـة والانتقاليـة، أليس ذلك صحيحا؟

قلت: بلى..

قـال: ولا يمكنـك أن تقـول غـير ذلـك.. فـأنت تقـرأ في إنجيـل يوحنـا، نفس الإنجيـل الـذي وردت فيـه هـذه النبـوءة: (فقـال لهم يسوع أيضا سلام لكم، كما أرسلني الأب أرسلكم أنا، ولما قال هذا

نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس) (إنجيل يوحنا:20 : 21 ـ 22)
صـمت قليلا، ثم قـال: ألم يـرد في البشـارة أن ذلـك الموعـود سوف يكشف عن أمور يجهلها المسيح نفسه؟
ولو كان المسيح قد جاء بجميع الحق لما كانت هناك حاجة لأن يأتى نبى من بعده يحل للنـاس جميـع الحـق.. وهـذا يعـني أن هـذا البارقليط الموعود سيكون مثل المسيح، بشرا نبيا، وليس روحا.
التفت إلي، ثم قال: ألا ترى أنه بالعودة إلى اللغة الأصلية الـتي ألف بها الإنجيل تتضح أمور كثيرة.. صدقني.. لقد عبثت الترجمـات كثيرا بشرف الكتاب المقدس(1).
مع أن كلامه في غاية الوضوح إلا أني حاولت الفرار بما تعلمتـه من أساليب، فقلت: أرى أن ما ذكرته من العودة إلى الترجمات، لا يكفي للدلالة على الأمر الخطير الذي ذكرته..
قاطعني، وقال: لا بأس.. فنلتمس سبيلا آخر.. فمـا أكـثر سـبل الحق.
أنتم تعتبرون البارقليط هو الروح القدس.. أليس كذلك؟
قلت: ولا نشك في ذلك.
قال: ثم تعتبرونه شخصا قائما بذاته.
قلت: لا نعتبره شخصا فقط، بل هو الأقنـوم الثـالث من أقـانيم الإله الواحد.
قال: هذا ما تقولونه.. لكن ما يقوله الكتـاب المقـدس مختلـف تمامـا، فالعهـد الجديـد يصـف الـروح القـدس بأنـه شـئ آخـر غـير شخصى، أي أنه ليس شخصية مستقلة، وما دام كـذلك، فهـو ليس (الأقنوم الثالث) للثالوث.
قلت: أين ترى هذا في الكتاب المقدس؟
قال: ألستم تقرأون في لوقا: (فإن كنتم وأنتم أشـرار تعرفـون أن تعطــوا أولادكم عطايــا جيــدة، فكم بــالأحرى الأب الــذى فى السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه)(إنجيـل لوقـا (11/13)) فالروح القدس يمكن إعتباره حسب هذا النص هبة من الله.
وتقرأون: (ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الـذى من اللـه لنعـرف الأشـياء الموهوبـة لنـا من اللـه)(سـفر الكورنثـيين الأول (2/12)، فهنا يوصف الروح القدس بصيغه المجد الذى لا هو مـؤنث ولا مذكر (الروح من الله)
وتقرأون: (حيث أن روح المرء هى التى تمكنه من معرفة ذاتـه

1) انظر (الكلمات المقدسة) من هذه السلسلة.

كذلك فإن روح الله تمكن المرء من معرفة الأمـور الإلهية) (سـفر الكورنثيين: 2 (11/12)، فبولس يقول: كما أن الـروح الـتى فـى الإنسان تجعله يعـرف الأشـياء الـتى تخصـه، فـإن روح اللـه تجعـل الإنسـان يعـرف الأشـياء الـتى تخصـه، أي يعـرف الأشـياء الإلهيـة، وبالتالى فإن الروح القدس هنا ليس هو الله، ولكنه منفذ أو طريق أو وسـيط يختص اللـه بواسـطته من يشـاء من عبـاده بـالتعليم والتنوير والإلهام.

وتقـرأون: (أم لسـتم تعلمـون أن جسـدكم هـو هيكـل للـروح القـدس الـذى فيكم الـذى لكم من اللـه، وأنكم لسـتم لأنفسـكم) (الكورنثـيين الأول:6/19)، فهـذا النص يـدل على أن عبـاد اللـه الأتقياء يطلق عليهم (هيكل الـروح القـدس).. وهـذا دليـل على أن الروح الإلهي ليس شخصا أو ملاكا، ولكنه كلمة الله أو قداسة اللـه أو قوة الله ودينه.

وتقرأون فى الرسالة الموجهة إلى الرومان: (وأما أنتم فلسـتم فى الجسد، بل فى الروح، إن كان روح اللـه سـاكنا فيكم)(رسـالة بولس (8/9)، فهـذا النص يـدل على أن هـذه الـروح نفسـها الـتى تعيش داخل المؤمنين تعـني ببسـاطة الإيمـان ودين اللـه الحقيقى الذى نادى به المسيح، وبالتأكيد فإن هـذه الـروح لا يمكن أن تعـنى المثل الأعلى النصرانى للروح القدس أى (ثالث الثلاثة الأخير)

قلت: كل هذه فهوم فهمتها أنت من الكتاب المقـدس، والفهم شيء ذاتي مرتبط بالفاهم، لا بحقيقة الحال.

قـال: ولكنـه فهم مؤصـل.. وهـو فـوق ذلـك ليس خاصـا بي.. أتعرف ما كان يقول الآباء النصارى الأولون عن الروح القدس؟

لقـد اعتـبر هرمـاس الـروح القـدس هـو العنصـر الإلهي فى المسيح..

أمـا جوسـتين المسـمى بالشـهيد (100 -ـ 167 م) وتيفيلس، فهما يفهمان أن الروح القدس تعنى أحيانـا نوعـا غريبـا من إظهـار الكلمة وأحيانا صفة إلهية، ولكنها لا تعنى شخصا إلهيا أبدا.

أما أثيناغوراس (110 - 180 م) فهو يعتبر الروح القدس فيضا من الله يأتى منه، ويعود إليه كأشعة الشمس.

أما أيرينايوس (130 - 202 م) فهو يعتبر الروح القدس والابن خادمان لله، وأن الملائكة يخضعون لهما.

فهـذه النصـوص كلهـا يفهم منهـا أن الـروح القـدس لا يوصـف بصورة محددة كشخصية، بل هي قوة الله ونعمته وعطاؤه وعملـه

وإلهامه.
صمت قليلا، ثم قال: دعنا من كل هذا، فله محله المتعلق بنفي ألوهية هذا الأقنوم الذي تزعمونـه.. ولنعـد إلى النص.. ولنبحث في جمل النص عن الدلالات التي يحملها.
ألم يبـدأ المسـيح حديثـه بقولـه: (إن كنتم تحبونـني، احفظـوا أحكامي، وسأطلب لكم من الأب بارقليط آخر) (إنجيل يوحنـا (14 : 15)؟
قلت: بلى..
قال: ألا ترى أن في الطريقة التى تحدث بهـا المسـيح احتمـالا لعدم قبول البعض للشخص الذى سيأتي من بعده، والذي بشر به، لذا حاول المسـيح تحريـك العواطـف حـتى يـدفع ذلـك البعض إلى القبول، فجعل المحبة أول كلامه.
ألا ترى أن مثل هذه المقدمة لا يمكن أن تتعلق بروح القــدس، فروح القدس لا يحتاج لتهيئة الأرضـية للاقتنـاع بـه، لكونـه لا يحتـاج إلى ذلك.. فهو بعد النزول يكون له فى القلوب والأرواح أثر عميـق تزال معه كل الشكوك و الإنكارات.
إن هذه المقدمة لا تصـلح إلا للتبشـير بـالنبى الموعـود الـذي لا تأثير له إلا تأثير البيان لكسب القلوب والأرواح، وبناء على هذا فإن قسما منصفا ينجذب إليه، والقسم الآخر يبتعد عنه.. ولـذلك يحتـاج النبي إلى التمهيد له بخلاف الروح القدس.
ولم يكتـف المسـيح بتمهيـد الأرضـية، بـل أعـاد تأكيـدها، ففي الجملة 29 من الباب 14 يقول: (أما الآن، وقبل الوقـوع أخـبرتكم لكى يتسنى لكم الأيمان حين الوقوع).. فهل يحتـاج الإيمـان بـروح القدس إلى مثل هذه التوصية؟
إن هذا الإصرار من المسيح يدل على أن الوصية ليست بالروح القدس، وإنما هي بشخص يمكن أن يكذب، وليس ذلك إلا النبي.
ثم قال المسيح: (وسأطلب لكم من الأب بارقليط آخـر)، فـإذا قلنا إن المقصود من ذلك رسول آخر أصبح كلامنا معقولا وصحيحا، ولكن إذا قلنا بأن المقصود هو روح القدس الآخر سـوف لن يكـون كلامنا معقولا ولا صحيحا، لأن روح القدس واحد وغير متعدد.
صمت قليلا، ثم قال: فلنترك هذه الجملة.. ولنذهب إلى قولــه: (كل شئ قلته لكم سوف يذكركم به) (إنجيل يوحنا (14 : 26)
أجبني.. متى نزل الروح القدس الذي تزعمونـه أنـه البارقليـط على الحواريين؟

قلت: بعد خمسين يوما من صلب المسيح.

قـال: فهـل يجـوز أن يكـون هـؤلاء المنتخبـون الخلص الـذين تعتبرونهم رسلا قد نسوا جميع الأحكام التى علمها لهم المسيح فى هذه المدة القصيرة حتى يعلمهم روح القدس إياها مرة أخرى؟

صمت قليلا، ثم قال: لقد ذكر المسيح أن هذا البارقليـط يشـهد له.. أليس كذلك؟

قلت: بلى..

قال: هل يحتاج المسيح إلى شهادة أصحابه؟.. لقد كان أصحابه من الإيمان بحيث لا يحتاجون إلى من يؤيدهم.

إن المقصود بهذه الشهادة هـو الرسـول الموعـود، وقـد أجـاب الرسول محمد على عامة الأحكام التى ينبغي أن يعمل بهـا إضـافة إلى شـهادته على نبـوة عيسـى، وبـذلك تجتمـع كلا الجملـتين في الدلالة على محمد.

صمت قليلا، ثم قال: لقد قال المسـيح :(إذا لم أذهب لن يـأتى فارقليط)(إنجيل يوحنـا (15 :ـ 7)، فقـد ذكـر أن ذهابـه مشـروط بمجيء فارقليط، ومجيء فارقليط مشروط بذهاب المسـيح، فـإذا كـان المقصـود روح القـدس، فـإن نزولـه على المسـيح أو على الحواريين ليس مشروطا بذهاب المسيح، لأن روح القدس كان قد نزل حينما أرسل المسـيح حـواريه مـن أجـل نشر الدين.

وبناء على هذا فإن نزوله ليس مشروطا بذهاب المسيح، ولكن لو قلنا إن المقصود هو نبى وصاحب شريعة عالميـة، لأصـبح الأمـر منطقيا ومعقولا لأن مجيئه مشروط بذهاب المسيح لكونه سينسـخ رسالته.

صـمت قليلا، ثم قـال: لقـد قـال المسـيح عن الموعـود: (ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم)، ولم يمجد المسيح نـبى ظهـر بعده إلا نبى الإسلام (محمد) فهو قد أثنى عليه وبين فضله ومنزلته وأشاد بمكانته السامية بين الأنبياء والمرسلين كما سمعه من قبـل الله، وذلك عن طريـق الـوحى الـذى أوحـاه اللـه إليـه فى القـرآن الكريم أو فى الأحاديث النبوية الـتى تكلم فيهـا عن المسـيح، وأنـه كان يأخذ من نفس المعين المقدس الذى كان يأخـذ منـه المسـيح من الرب وهو معين التوحيد والآداب الفاضلة.

صمت قليلا، ثم قال: لقد قال المسـيح: (وأمـا أنتم فتعرفونـه)، وكان الصواب أن يقول :(وأما أنتم فترونه وتعرفونه) ولما كان قـد حذف الرؤية دل على أن المقصـود بالرؤيـة المعرفـة الحقيقيـة، لا

الرؤيا البصرية وهذا معناه أن النبى إذا جاء لن يعرفه أهل العالم معرفة حقيقية، بينما يعرفه التلاميذ معرفة حقيقية، لأن عندهم خبر عنه.

صمت قليلا، ثم قال: ومما جاء في النبوءة:(لا يتكلم من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما يأتي)، أليس هذا الوصف وصفا لمحمد؟.. فقد كان القرآن الكريم كلام ربه، وكان كلامه وحيا من الله، وقد قال تعالى في ذلك :﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم:3 ـ 4)

صمت قليلا، ثم قال: لقد قال المسيح: (ومتى جاء المعزي يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة)

إن كلمة (يبكت) جاءت بمعنى (يفحم) و(أفحمه)، أسكته فى خصومة أو غيرها، وهذا يدل على أن النبى الآتي سيكون من شأنه توبيخ العالم بحيث يفحمهم عن الرد عليه، ولا يستطيعون مع هذا التوبيخ مناقضة كلامه.

لست أدري كيف قلت: ولكن محمدا لم يجئ لتوبيخ العالم.. فأنتم تذكرون أنه جاء ﴿ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ (الأحزاب:45 ـ 46)

قال: إن الإنذار الذي ذكرته يدل على هذا التوبيخ.. فالتبشير للصالحين، والإنذار للفاسقين الكافرين.. وبكليهما يمتلئ كتاب المسلمين المقدس.

ثم إن المسيح ذكر أن هذا الموعود سيوبخ العالم، وهذا ما حصل، فرسالة محمد كانت رسالة عالمية.. وهذا لن ينطبق على الروح القدس لأنه لم يوبخ، ولم يبين مساوئ اليهود والأمم ؟

وقد قال المسيح :(أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي)، وهذا لا ينطبق على الروح الإله لأن التلاميذ ساعة نزوله كانوا مؤمنين بالمسيح نبيا، إنما ينطبق على نبى الإسلام، لأنه وبخ (بين مساوئ) اليهود فى عدم إيمانهم برسالة المسيح، ووبخ غير اليهود الذين ألصقوا بالمسيح صفة الربوبية، والذين أنكروه أصلا، وأنكروا رسالات السماء.

التفت إلي، وقال: ما الجديد الذي جاء به الروح النازل يوم الدار، والذي جعل المسيح يخاف عليهم أن لا تكون لهم القدرة على تحمله؟

قلت: لقد أمر الحواريين بعقيدة التثليث، وبدعوة أهل العالم كله.

قال: فأي أمر حصل لهم أزيد من أقواله التي قال لهم إلى زمان صعوده.

نعم بعد نزول هذا الروح، أسقطوا جميع أحكام التوراة التي هي ما عدا بعض الأحكام العشرة المذكورة في الباب العشرين من سفر الخروج، وحللوا جميع المحرمات، وهذا الأمر لا يجوز في حقه أن يقال أنهم ما كانوا يستطيعون حمله، لأنهم استطاعوا حمل سقوط حكم تعظيم السبت الذي هو أعظم أحكام التوراة، الذي كان اليهود ينكرون كون المسيح مسيحاً موعوداً به لأجل عدم مراعاته هذا الحكم.

فقبول سقوط جميع الأحكام كان أهون عندهم، نعم قبول زيادة الأحكام لأجل ضعف الإيمان، وضعف القوة إلى زمان صعوده كما يعترف به علماء بروتستنت، كان خارجاً عن استطاعتهم. فظهر أن المراد ببارقليط نبي تزاد في شريعته أحكام بالنسبة إلى الشريعة المسيحية ويثقل حملها على المكلفين الضعفاء.

بعد هذا اسمح لي أن أجيب على ما ذكرت من تساؤلات..

أنتم تذكرون أن البارقليط روح حقيقية، وذلك لا يمكن أن يتعلق بمحمد لكونه إنسانا وليس روحا.

قلت: أجل.

قال: والجواب عن ذلك هو أن لفظ (الروح) التى استعملت فى روح القدس يمكن استخدامها فى مطلق الإنسان الذى يمتلك روحا ملهمة بالفجور أوالتقوى.

وقد استعمل لفظ (الروح) بالمعنى الثانى في الكتاب المقدس كثيرا، ومن ذلك ما جاء فى الرسالة الأولى ليوحنا: (أيها الأحبة لا تصدقوا كل روح، بل عليكم اختبار الأرواح على أنها من الله أومن غيره، لأن الأنبياء الكذابين ازدادوا فى العلم فمن هنا نعلم أن كل روح تتجسد فى عيسى المسيح هى من الله، وكل روح تتنكر لتجسد عيسى ليست من الله وهكذا تلك الروح المخالفة للمسيح، وأن الدجال الذى سمعتم به بأنه سيأتي، موجود فى العالم نحن من عند الله وكل من يعرف الله يسمع حديثنا، ومن لم يكن من عند الله لا ينصت لنا، ومن هنا تمكن من التمييز بين روح الحق وروح الضلالة)(رسالة الأولى ليوحنا 4 / 12- 7)

فهذه الجمل تشير إلى استخدام لفظة (الروح) وإشاعتها فى غير (روح القدس) بل إن ذيل الآية يشير بصراحة إلى أن كل شخص يدعو إلى الحق والصواب، يكون روحا حقيقية وكل فرد

يدعو إلى الضلالة تكون روحه روح ضلال.

قلت: وما تقول في قول المسيح بحق البارقليط:(إن العـالم لا يتمكن من قبوله، لأنهم لن يرونه ولن يعرفونه)، فى الـوقت الـذى عرف فيه محمد وشاهده الآلاف من الأشخاص؟

قال: المقصود من المشـاهدة أو الرؤيـة هـو المعرفـة ببصـيرة الفؤاد، وهذا ما حصل بالفعـل للمسـيحيين الـذين لم يتعرفـوا على رسول الإسلام أو لم يروه.

واسـتعمال الرؤيـة بهـذا المعـنى معـروف ويـرى بكـثرة فى العهـدين، فمن ذلـك أننـا نقـول:(إن فلانـا يمتلـك فهمـا ولا يفهم، ويمتلـك عينـا، ولكنـه لا يبصـر بهـا)، وقـد قـال أشـيعا بحقهم: (ستسـمعون باتصـالهم ولكن لن تفهمـوا، نظـروا ولكنهم لم يـروا شيئا، أو يسمعوا شيئا)(إنجيل متى (13 / 13 – 14)

وهكذا بالنسبة للمعرفـة حيث لم يتعـرف على حقيقـة رسـول الإسلام بشكل كامل كـل أولئـك الـذين يعيشـون في العـالم، وفى أغلب الأحيان لم يتقبلوه، أى لم يتعرفوا عليه..

وهذا الاستعمال موجود بكثرة فى كل اللغات، وحتى فى نفس الإنجيل، كما ورد:(لا يعرف الابن غير الآب)(إنجيل متى (11 / 27) على الرغم من أن المسيحيين كلهم عرفوه.

ومن ذلك مـا ورد في يوحنـا: (قـالوا لـه : أيهـا الأب أين أنت ؟ فأجاب يسوع أنتم لا تعرفوننى ولا تعرفون أبى، ومـتى مـا تعـرفتم على تعرفتم على أبى) (إنجيل يوحنا:8 / 19))، وبناء على هذا فإن القصد من عدم رؤية العالم للبارقليط تعنى عدم إدراكهم لحقيقتـه الكاملة.

قلت: لقد وعد المسيح الحـواريين وبشـرهم فى الـوقت الـذى جاء محمد بعد 600 سنة من ذلك الوعد، وفى زمانه لم يبـق أحـد من الحواريين.

قال: نعم ... هذا صحيح ... لقد كـان المخـاطب هم الحواريـون.. ولكن هل كل نص خاطب به المسيح الحواريين خاص بهم ... وينجم عن هذا أن كل نص خـاطب بـه المسـيح اليهـود أو غـيرهم، خـاص بـاليهود أو بغـيرهم.. وبـذلك يمكن أن نميت دعـوة المسـيح في مهدها، أو نميتها بموت من كان يخاطبهم.

ثم ألم تسمع المسيح، وهـو يقـول في (إنجيـل مـتى : 26/64)في خطاب رؤساء الكهنة والشـيوخ والمجمـع: (وأيضـاً أقـول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسـان جالسـاً عن يمين القـوة، وآتيـاً على

سحاب السماء) مع أن هؤلاء المخاطبن قد ماتوا، ومضت على موتهم مدة هي أزيد من ألفي سنة، وما رأوه آتياً على سحاب السماء، فكما أن المراد بالمخاطبين ههنا الموجودون من قومهم وقت نزوله من السماء، فكذلك فيما نحن فيه المراد الذين يوجدون وقت ظهور بارقليط.

قلت: صحيح هذا.. ولكن المسيح قال بصدد البارقليط (سيبقى معكم وفيكم)، فهل يمكن أن يبقى محمد فى شخص ما؟

نعم يمكن أن يكون شخص مع شخص آخر، ولكن كيف يكون أحد ما فى شخص آخر؟

قال: في هذه البشارة دلالة صريحة على أن هذا الموعود سيكون خاتما للرسل، ولذلك ستكون أحكامه وقوانينه معهم إلى الأبد بينهم وبين ظهورهم، وفي هذا دليل على أن أحكامه سوف لن تنسخ.. وكل ذلك مما لا يصدق إلا على محمد.

مثل الكرامين:

بعد تعب شديد نالنا من الجهد الذي بذلناه في الطريق، جلسنا نستريح أمام عين ماء، فسألني: (اذكر لي حديث الكرامين إن كنت تحفظه)

قلت: وكيف لا أحفظه.. أنسيت من أنا؟

قال: لا.. لم أنس.. فثيابك تدل عليك.. اسرده علي.

قلت: قال المسيح يوما لحواريه، وهو يشبه لهم الملكوت: (اسمعوا مثلاً آخر، كان إنسان رب بيت، غرس كرماً، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة وبنى برجاً، وسلمه إلى كرامين وسافر.

ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره، فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً، ثم أرسل إليهم أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك.

فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً:يهابون ابني، وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم، وقتلوه.

فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً رديا، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطون الأثمار في أوقاتها.

قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو

عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه.

ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم)(متى 21/33 - 45)، (وانظر لوقا 20/9 - 19)

قال: ألا ترى أن هذه النبوءة تكاد تنطق باسم محمد؟

قلت: كيف؟

قال: من تراها تكون الأمة العظيمة التي إذا غزت أمة سحقتها، وإذا أرادتها أمة نكصت على عقبيها؟

أليست هي أمة محمد التي هزمت أعظم دولتين في عصرها: الروم والفرس، وانساحت في الأرض، وملكت خلال قرن واحد ما بين الصين وفرنسا.. أليست هي أمة الإسلام؟

أليست هذه النبوءة تصديقا لنبوءة داود في المزامير عن الآتي باسم الرب، والتي تقول:(أحمدك لأنك استجبت لي، وصرت لي خلاصاً، الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، نبتهج ونفرح فيه، آه يا رب خلّص، آه يا رب أنقذ، مبارك الآتي باسم الرب)(المزمور 118/21-25)؟

ألا تعلم يا صاحبي أن محمدا ﷺ ضرب مثالا قريبا من هذا، وطبقه على نفسه، وهو الصادق الأمين، فقال: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً، فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون: ألا وضعت هاهنا لبنة، فيتم بنيانك، فقال ﷺ: فكنت أنا اللبنة)(1).. إن محمدا هو الحجر الذي رفضه البناءون.. إنه الحجر الذي تمت به النبوات.

فما تقول فيما قلت؟

قلت: لقد اعتبر بطرس ـ حواري المسيح ـ المسيح هو الحجر الذي رفضه البناؤون، فقال:(يسوع الناصري الذي صلبتموه أنتم.. هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون، الذي صار رأس الزاوية، وليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص)(أعمال 4/10-12)

قال: ألا ترى بطرس متكلفا في إلصاق هذه النبوءة بالمسيح؟

---

1) رواه البخاري ومسلم.

قلت: كيف تقول هذا عن بطرس.. القديس بطرس !؟

قال: دعك من التقديسات، ولنبحث عن الحقـائق.. ولـو شـئت لأوقرت لك بعيرا من أخطاء القديسـين.. فـدعنا من هـذا.. ولنقـرأ النبوءة حرفا حرفا لنرى على من تنطبق.

وأترك لك المجال لتطبقها على من تطبقها عليه.

قلت: هذه النبـوءة واضـحة في الدلالـة على المسـيح .. فـرب البيت هو الله، وابنه هو المسيح، وهو تكلم عن نفسـه كـأن اليهـود قتلوه، ومادام المسيح قائل هذه الأقوال يكـون هـو ابن اللـه، وأنـه مات عن خطايا العالم، وبعد إرسال الابن لم يرسـل رسـول آخـر، فقد كان الرسول الأخير هـو الابن، فليس من المعقـول أنـه بعـدما أرسل الابن يرجع، فيرسل العبيد.

أما البناءون، فكانوا يهود عصره، وقد قال المسيح المثل خطابا لليهـود: (ملكـوت اللـه يـنزع منكم ويعطى لأمـة تعمـل أثمـاره) (بطرس:2 : 9 – 10)

والعهد الجديد يـبين أنـه يعطى للـذين يؤمنـون بالمسـيح إيمانـا حقيقيـا، الـذين هم جنس مختـار، وكهنـوت ملـوكي، أمـة مقدسـة شعب اقتنـاء، وقـال لهم: (لكي تخـبروا بفضـائل الـذى دعـاكم من الظلمة إلى نـوره العجيب، الـذين قبلا لم تكونـوا شـعبا، وأمـا الآن فأنتم شعب الله، الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومـون) (إنجيل متى:21 : 43)

وهنا تلميح لطيف إلى الأثمار التى يطلبها رب الـبيت من الأمـة التى تتولى الكرم، ألا وهى الكنيسة المسيحية، والكرم ملكوت الله (متى 21 :ـ 43 يشرح عدد 41)، وعليه فقد ثبت أن الحجر الـذى رفضه البناؤون هو المسيح نفسه..

أما مقاومة المسيح وعدم الرضوخ له فهما سـبب سـخط اللـه وحـول نقمتـه على أعدائـه، وقـد تم شـئ من ذلـك عنـد خـراب أورشليم وتمثيل الرومان بـاليهود تمـثيلا فظيعـا (سـنة 70 م) بعـد صلب المسيح نحو أربعين سنة.

والمراد برب البيت هو الله، لأن المسيح فى عـدد 37 بحسـب ما جاء فى المثل هو ابن رب البيت.

لقد كنت ألاحظ التكلف الذي تفسر به هـذه النبـوءة، ولكنـه لم يكن لي بد من ذكره كما لقنته في دراستي.

ابتسم، وقال: هل أنت مقتنع بما تقول؟

قلت: كما أنت مقتنع بما تقول.

قال: لن أرد على كلامك حرفا حرفا، ولكني سأذكر للعقل ما يقتنع به، وأدع النفس وما ارتضت.

ولنبدأ بتفسير بطرس، فما أراكم جعلتم هذه النبوءة في المسيح إلا لقول بطرس، وأنا لا ألوم بطرس، فهو معذور في خطئه، لأنه عامي عديم العلم كما شهد له أولئك الذين استمعوا لحديثه، وتعجبوا من المعجزات التي صنعها، فقد قال عنه التلاميذ: (فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان، تعجبوا)(أعمال 4/13)

بعد هذا أعود إلى النبوءة، بل إلى ما أرى أنه محور النبوءة.. وهو قوله:(الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية)

من من ذرية إبراهيم رفض من الإسرائيليين مع أن إبراهيم دعا له بالبركات؟

صمت، فقال: أنت تعلم أنه إسماعيل، فهو الذي نال من بركات إبراهيم، ومع ذلك لا تقرون له أنتم ولا اليهود بأي نبي.. أليس إسماعيل الذي هو جد محمد من نسل إبراهيم؟

قلت: بلى..

قال: بل هو ابنه البكر.. فقد طلب إبراهيم من الله الصلاح في ابنه إسماعيل، ففي الكتاب المقدس: (قال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك)(التكوين 17/18)، فاستجاب الله له وبشره بالبركة فيه وفي ابن آخر يهبه الله له، فقد بشره بميلاد إسحاق من زوجه سارة فقال: (وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً، أباركها فتكون أمماً، وملوك شعوب منها يكونون.. وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة)(التكوين 17/16-20)

ومحمد هو الحجر الذي رفضه البناءون من اليهود والنصارى الذين كانوا يبشرون به.

ولتفهم هذا سأشرح لك المثل بحسب ما يدل عليه العقل والمنطق السليم:

هذا المثل العجيب من المسيح (مثل الكرامين) يحكي تنكر اليهود لنعم الله واصطفائه لهم بقتلهم أنبياءه وهجر شريعته، وهو الجزء الأكبر من هذه النبوءة، اسمع جيدا هذا المثل، من فم الحقيقة، لا من فم بطرس: كان إنسان رب بيت، غرس كرماً،

وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة وبنى برجاً، وسلمه إلى كـرامين وسافر.

ولمـا قـرب وقت الإثمـار أرسـل عبيـده إلى الكـرامين ليأخـذ أثماره، فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضاً وقتلـوا بعضـاً ورجمـوا بعضاً، ثم أرسل إليهم أيضاً عبيداً آخـرين أكـثر من الأولين، ففعلـوا بهم كذلك.

فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً:يهابون ابني، وأما الكرامـون فلمـا رأوا الابن قالوا فيمـا بينهم: هـذا هـو الـوارث، هلمـوا نقتلـه ونأخـذ ميراثه، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم، وقتلوه.

أليس كل ما ذكره وصف صحيح لا ينطبق إلا على اليهود؟.. قـد تجادلني، ولكن النص يرد عليك، فقد ورد فيـه: ولمـا سـمع رؤسـاء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم.

صمت، فقال: ثم يحكي المثـل انتقـال النبـوءة إلى أمـة أخـرى تقوم بأمر الله تعالى وتقوى على أعدائها وتسحقهم.

وقـد ذكـر المسـيح هـذا ليقنعهم بـأن النبـوة لن تبقي في بـني إسرائيل بعد ما فعلـوا مـا فعلـوا، ولهـذا تـرك الجـواب لهم، وكأنـه يحاول أن يملأهم بهذه القناعة.

اسمع جيدا بسمع العقل، لا بسمع بطرس: فمتى جـاء صـاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأرديـاء يهلكهم هلاكاً رديأً، ويسلم الكـرم إلى كـرامين آخـرين يعطـون الأثمـار في أوقاتها.

قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الـذي رفضـه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبـل الـرب كـان هـذا، وهـو عجيب في أعيننـا، لـذلك أقـول لكم: إن ملكـوت اللـه يـنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هـذا الحجـر يترضـض، ومن سقط هو عليه يسحقه.

قلت: قد أسلم لك بهذا.. لكن من قال لك بأن النبـوة سـتنتقل إلى العرب دون غيرهم من الأجناس؟

قـال: إن أول صـفات هـذه الأمـة على حسـب وصـف الكتـاب المقدس أنها أمة مرذولة محتقرة.. ألم يقل: (الحجر الـذي رفضـه البناؤون قد صـار رأس الزاويـة)، لكن اللـه ــ الـذي تسـتوي عنـده الأجناس ـ اختارها رغم عجب اليهود من تحول الملكـوت إلى هـذه الأمة المرذولة، لكنه قدر اللـه العظيم (من قبـل الـرب كـان هـذا، وهو عجيب في أعيننا)

بعد هذا نتساءل: هل كان العرب أمة مرذولة عند اليهود؟

والجواب من الكتاب المقدس نفسه يبدأ من موقفه من أم العرب، فهم أبناء الجارية هاجر، التي يزدريها الكتاب المقدس، فقد قالت سارة: (اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن الجارية لا يرث مع ابني إسحاق) (التكوين 21/10).

وقال ـ بعد ذلك بقرون طويله ــ بولس مفتخراً على العرب محتقراً لهم: (ماذا يقول الكتاب؟ اطرد الجارية وابنها، لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة، إذاً أيها الإخوة: لسنا أولاد جارية، بل أولاد الحرة) (غلاطية 4/30 - 31)

مثل العرس:

التفت إلي، فرآني صامتا، فقال: ليس هذا المثل وحده ما نطق به المسيح ليحضر الأمم لهذا النبي الموعود.. لقد ضرب لهم مثلا آخر، فقال ـ كما يروي متى ـ: (يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه، وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس، فلم يريدوا أن يأتوا، فأرسل أيضاً عبيداً آخرين قائلاً: قولوا للمدعوين: هو ذا غذائي أعددته، ثيراني ومسمناتي قد ذبحت، وكل شيء معد، تعالوا إلى العرس.

ولكنهم تهاونوا ومضوا، واحد إلى حقله، وآخر إلى تجارته، والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم.

فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده، وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم، ثم قال لعبيده: أما العرس فمستعد، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين، فاذهبوا إلى مفارق الطرق، وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس.

فخرج أولئك العبيد إلى الطرق، وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين، فامتلأ العرس من المتكئين، فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنساناً لم يكن لابساً لباس العرس، فقال له: يا صاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس؟ فسكت، حينئذ قال الملك للخدام: اربطوا رجليه ويديه وخذوه، واطرحوه في الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان، لأن كثيرين يدعون، وقليلين ينتخبون) (متى 22/1-14)

وهذا المثل كالمثل السابق يهيء النفوس لتقبل النبي الموعود من الأمة المحتقرة.

مثل الزرع:

لم أجد ما أجيبه به، فقال: وقد ضرب لهم المسيح مثلا آخر،

ذكر فيه أنواع النـاس في قبـول الملكـوت والإذعـان لـه، ودعـاهم لقبوله والإذعان له، فقال: (هوذا الزارع قد خرج ليزرع، وفيمـا هـو يزرع سقط بعض على الطريق، فجاءت الطيور وأكلته.

وسـقط آخـر على الأمـاكن المحجـرة، حيث لم تكن لـه تربـة كثـيرة، فنبت حـالاً، إذ لم يكن لـه عمـق أرض، ولكن لمـا أشـرقت الشمس احترق، وإذ لم يكن له أصل جف.

وسقط آخر على الشوك فطلع الشوك وخنقه.

وسـقط آخـر على الأرض الجيـدة، فـأعطى ثمـراً، بعض مائـة، وآخر ستين، وآخر ثلاثين، من له أذنان للسمع فليسمع..

فاسمعوا أنتم مثل الزارع، كـل من يسـمع كلمـة الملكـوت ولا يفهم، فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع في قلبه، هذا هو المزروع على الطريق.

والمزروع على الأماكن المحجرة هو الذي يسمع الكلمـة وحـالاً يقبلها بفرح، ولكن ليس له أصـل في ذاتـه بـل هـو إلى حين، فـإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالاً يعثر.

والمزروع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة، وهم هـذا العـالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة، فيصير بلا ثمر.

وأمـا المـزروع على الأرض الجيـدة فهـو الـذي يسـمع الكلمـة ويفهم، وهو الذي يأتي بثمر فيصـنع بعض مائـة وآخـر سـتين وآخـر ثلاثين)(متى 13/1-23)

ألا تعلم ـ يا صاحبي ـ أن هذا المثل الإنجيلي يتطـابق تمامـا مـع المثل الذي ضربه محمد ﷺ لأحوال الناس مـع دعوتـه، حيث قـال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثـل غيث أصـاب أرضـاً، فكان منها نقية قبلت الماء فـأنبتت الكلأ والعشـب الكثـير، وكـانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها النـاس، فشـربوا وسـقوا، وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني اللـه بـه فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بـذلك رأسـاً، ولم يقبـل هـدى اللـه الذي أرسلت به)(1)

مثل حبة الخردل:

واصل حديثـه قـائلا: وقـد ضـرب لهم مثلا آخـر ليهـيئهم لقبـول النبي الجديد، فقال: (يشبه ملكوت السـموات حبـة خـردل، أخـذها إنسان، وزرعها في حقله، وهي أصغر جميع البذور، لكن متى نمت

1) رواه البخاري ومسلم.

فهي أكبر البقول، وتصير شجرة، حتى إن طيور السماء تأتي وتتأوى في أغصانها.. قال لهم مثلاً آخر: يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع، هذا كله كلم به يسوع الجموع بأمثال، وبدون مثل لم يكن يكلمهم) (متى 13/31-34). (انظر مرقس 4/30-32).

مثل العاملين:

قال: وقد ضرب المسيح لهذا الموعود بمثل آخر تحدث فيه عن تأخر زمان ظهوره عن النبوات السابقة، لكن ذلك لن يمنع عظيم الأجر والثواب لأمته، فقال:(فإن ملكوت السماوات يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فَعَلة لكرمه، فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم وأرسلهم إلى كرمه، ثم خرج نحو الساعة الثالثة، ورأى آخرين قياماً في السوق بطالين، فقال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم، فمضوا.

وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل ذلك.

ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياماً بطالين، فقال لهم: لماذا وقفتم ههنا، كلَّ النهار بطالين؟

قالوا له: لأنه لم يستأجرنا أحد. قال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم.

فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله: ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئاً من الآخرين إلى الأولين.

فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر، فأخذوا هم أيضاً ديناراً ديناراً، وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت قائلين: هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر.

فأجاب وقال لواحد منهم: يا صاحب ما ظلمتك، أما اتفقت معي على دينار؟ فخذ الذي لك واذهب، فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك. أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي أم عينك شريرة لأني أنا صالح!

هكذا يكون الآخرون أولين، والأولون آخرين، لأن كثيرين يُدعَون، وقليلون ينتخبون)(متى 20/1 - 16)

إن المسيح ـ من خلال هذا المثال ـ يهيء النفوس لتقبل النبي الخاتم، فهو مع كونه خاتم الرسل إلا أن الله برحمته وهب له ولأمته من الفضل ما لم ينله غيره.. فالآخرون هم الأولون

السابقون كما قال المسيح.

وقد أكد ذلك محمد ﷺ فقال:(نحن الآخرون السابقون)[1]

وضرب مثالا على ذلك لا يختلف عن مثال المسيح، فقال: (مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء فقال: من يعمل لي غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط، فعملت النصارى، ثم قال من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم. فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: مالنا أكثر عملاً وأقل عطاءً؟ قال: هل نقصتكم من حقكم؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء)[2]

مثل الكنز:

قال: وضرب المسيح مثلا لهيمنة الشريعة الجديدة على سائر الشرائع السابقة ونسخها لها، فقال: (أيضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفياً في حقل وجده إنسان، فأخفاه، ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل.

أيضاً يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلئ حسنة، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وباع كل ما كان له، واشتراها)(متى 13/44-46).

الكامل:

قال: وقد قال المسيح مبشراً بالقادم الذي ينسخ الشرائع بشريعته: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل)(متى 5/17-18)، أتدري من هذا الذي له الكل؟

صمت، فقال: إنه ذات النبي الذي يسميه بولس بالكامل، ومجيئه فقط يبطل الشريعة وينسخها،(وأما النبوات فستبطل، والألسنة فستنتهي، والعلم فسيبطل، لأننا نعلم بعض العلم، ونتنبأ بعض التنبؤ، ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض) (كورنثوس (1) 12/8-10)

الأصغر:

---

1) هذا هو نص الحديث :« إن الله أدرك بي في الأجل المرجو واختارني اختيارا فنحن الاخرون ونحن السابقون يوم القيامة، وإني قائل قولا غير فخر : ابراهيم خليل الله وموسى صفي الله وأنا حبيب الله، ومعي لواء الحمد يوم القيامة، وإن الله وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاث : لا يفنيهم بسنة، ولا يستأصلهم عدو، ولا يجمعهم على ضلالة » رواه الدارمي، وابن عساكر عن عمرو بن قيس.

2) رواه مالك والبخاري والترمذي.

قال: وفوق هذا كله وردت بشارة أخرى على لسان المسيح تبشر بهذا النبي المنتظر، وتؤكد أنه أعظم الأنبياء، وأنه النبي المسمى إيليا، وأنه الذي تقاطرت النبوءات على البشارة به، يقول المسيح: (الحق الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه.. لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبؤوا، وإن أردتم أن تقبلوا، فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع)(متى 11/11 - 15)

فالأصغر في ملكوت السماوات هو إيلياء المزمع أن يأتي، الذي تنبأ به الأنبياء، نبياً تلو نبي، وكان آخرهم يوحنا المعمدان.

فمن هو إيليا، الأصغر في ملكوت السماوات؟

قلت: إنه المسيح.. المسيح هنا يتنبأ عن نفسه.

قال: لا.. أنتم أنفسكم لا تقرون بذلك.

قلت: كيف لا نقر بذلك؟

قال: إن الأصغر يشير إلى أن هذا الموعود سيختم رسالات الله.. فهل تحقق ذلك في المسيح؟

صمت، فقال: أنتم لا تقرون بذلك.. ذلك أنكم ترون نبوة التلاميذ والرسل الذين جاءوا بعد المسيح.

***

لم أشعر بتلك البرية المقدسة التي سرت بصحبة يسوع أو عيسى فيها رغم طول المسافة التي قطعناها، لقد كان لكلامه من الحلاوة ما يأسر القلوب، وكان فيه من المنطق ما يأسر العقول، وكان فيه من الروحانية ما يأسر الأرواح.

لم أكن أجسر على مقاطعته.. فقد كنت أشعر نحوه بتقديس عظيم لا يقل عن تقديسي للقديسين الذين كنت أقرأ عنهم، وأحن لهم.

بل لعلي كنت أشعر نحوه بتقديس أعظم من ذلك التقديس.. فقد كان بسيطا في مظهره.. ولكنه كان قمة لا أرى أن من نقلت لنا أنباؤهم من القديسين يمكن أن يصل إليها.

فجأة غاب عني.. ولا أزال إلى الآن أجهل كيف غاب، ولا أين ذهب..

سرت قليلا بصحبة نفسي التي امتلأت بالحيرة لما سمعت.. وببصيص النور الذي اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد ﷺ.

لاقاني في الطريق اثنان يلوح من عينيهما الشر، يحمل أحدهما

تاجا من الشوك، ويحمل الآخر صليبا..
كانت تظهر على وجهيهما القسوة والشدة، لكنهما لما لاحظا هيئة لباسي التي تدل على ديني ووظيفتي قدما لي قرابين الاحترام.. ومع ذلك استوقفاني، وجرى هذا الحوار بيني وبينهما.
قال أحدهما: أكنت تسير في هذه البرية؟
قلت: أجل.
قال: ألم تر فيها رجلا غريبا يمتلئ بالأنوار المظلمة؟
قلت: لم أفهم قصدكما.
قال: نحن نبحث عن رجل يسمى يسوع، ويسمى عيسى..
قلت: لم ؟.. ما الذي تريدان منه؟
قال الأول: لئن لاقيناه لنذيقنه من ألوان الهوان ما لم يذقه أحد في حياته.
قال الثاني، وهو يشير إلى تاجه: لنلبسنه تاج الشوك الذي يبشر به.
قال الأول، وهو يشير إلى صليبه: بل سنعلقه في الصليب، ثم نحرق جثته بعد ذلك، ثم نرميه في البحار السبعة..
قلت: أراكما تحملان حقدا عظيما.. ألستما من أتباع المسيح؟
قالا : بلى..
قلت: فلم تريدان قتل يسوع إذن؟
قالا: لا.. هذا ليس يسوعنا.. إنه أقرب إلى المسيح الدجال.. إنه يحول كل بشارات المسيح لتنزل على محمد..
قال الأول: بل إنه يحول الإنجيل إلى كتاب بشارة بمحمد.
قال الثاني: بل يحول من المسيح صوتا صارخا في البرية مبشرا بمحمد، وممهدا الطريق لنبوته.
قلت: وما يضيركما من كلامه هذا؟.. ردا عليه كلامه بالحجة، لا بتيجان الشوك، أو الصلبان.
قالا: بأي حجة نرد عليه.. وهو يحفظ الكتاب المقدس حرفا حرفا.. ويقرأ تفسيره تفسيرا تفسيرا.. وقد أوتي من البديهة وقوة الحجة وصفاء الذهن ما نرى أنفسنا نفتقر إليه.
قلت: فوفرا ما تحتاجان إليه من هذه الوسائل، لتنتصرا للحقيقة التي تؤمنان بها.
قالا: ولكنك لا تدري ما يفعل.. إنه لم يترك أحدا يمر على هذه البرية إلا أضله.. ولولا أن الله حماك من لسانه لصحبته الآن كما صحب الحواريون المسيح.

قلت: فهل يملك هذا الرجل معجزات المسيح؟
قال: لا.. ولكنه يحمل أشياء لا تقل خطرا.
قلت: فما هي؟
قالا: سمت المسيح.. وروح المسيح.. وصفاء المسيح.. وسـلام المسيح.. ومحبة المسيح.. إنه قريب جدا من المسيح.. حتى صورة جسده وطريقة مشـيه وصـفاء لونـه.. إنـه مبعث فتنـة عظيمـة لن نرتاح حتى نتخلص منها.
قلت: ولكن المسيح رسول سلام.. وأنتما تزعمـان أنكمـا أتبـاع المسيح..ألم تسمعا ما قال المسيح: (طوبى لصانعي السلام، لأنهم يدعون أبناء الله)(متى 5/9)؟
قالا: وهو القائـل: (جئت لألقي نـاراً على الأرض.. أتظنـون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض.. كلا أقول لكم، بل انقساماً)(لوقـا 12/49 -ـ 51)، وفي متى، قال: (لا تظنوا أني جئت لألقي سـلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً، بل سيفاً) (متى 10/34)
قلت: فأنتمـا تختـاران من أقـوال المسـيح مـا يتناسـب مـع أهوائكما.
قالا: لسنا وحدنا في ذلك.. الكتاب المقدس ـ يا صاحبي ـ كتاب لكـل شـيء.. إن أردنـا أن نـدعو للسـلام ذكرنـا قولـك، وإن أردنـا الحرب ذكرنا قولنا..
إنه يحمل الحب والبغض، والحرب والسلام، والتوحيد والوثنيـة، والشريعة والأهواء.. ليحمل كل واحد منه ما يشـتهي.. إنـه الكتـاب المقدس.. إنه أقدس كتاب.. فهل تريده وجها واحدا؟
لقـد كـان كلامهمـا أعظم خطـرا من كـل مـا حـاول يسـوع أن يقنعني به..
لقد استحييت من دين يدين به مثل هذين الرجلين..
انصرفا عني.. وهما يقولان: احذر من يسوع.. فليس في العالم أخطر منه.

بشارات من أسفار الأنبياء

في اليوم التاسع خرجت من بيتي.. وأنا مستغرب مما حصل لي في هذه الرحلة التي اتفق الكل على أن يلقنني فيها تعاليم واحدة، لقد كنت أقول لنفسي: لو أن هؤلاء جميعا اجتمعوا ودبروا وخططوا ما كان لخططهم أن تكون بهذه الدقة التي أراها..

لست أدري هل كان ذلك مجرد مصادفة، أو أن الله تعالى وفر لي ذلك الجو ليجذبني إلى الحقيقة التي كنت أفر منها بكل ما أوتيت من قوة، أو هي شمس محمد تأبى إلا أن تسطع، لتغمر كل ما تحتها بأشعتها المنيرة الدافئة !؟

سرت بهذه الحال، فصادفني ناد لم أشك في كونه ناديا مسيحيا، فقد كان الصليب على بابه، وبجانبه كثير من الشعارات والصور المسيحية.

دخلت إليه، لأمسح بعض آثار الشبهات التي امتلأت بها نفسي في الأيام السابقة التي قضيتها في تلك القرية.

رأيت داخل القاعة مجموعة رجال تجتمع على مائدة واحدة، لست أدري كيف ملت إلى الجلوس بجانبهم، ولست أدري كيف حنت نفسي إلى الاستماع لهم.. لقد كان هناك مغناطيس يجذبني إليهم، ولكني لا أراه، ولا أستطيع أن أفر منه.

لم أتكلم في ذلك المجلس كلمة واحدة، لقد كنت أكتفي بالنظر وباستراق السمع، وقد كان لهم من أدب الحديث ما جعلني أنجذب إليهم انجذابا تاما.

وسأقص عليك حديثهم من أوله إلى أن فارقت ذلك المجلس.

بشارة ميخا:

قال أحدهم، واسمه دانيال ـ على حسب ما علمت بعد ذلك ـ: ماذا تقول يا ميخا؟.. هل رأيت ذلك حقيقة؟

قال ميخا: أجل يا دانيال.. رأيته كما أراك الآن، وأنا الآن أعرفه كما أعرف أبنائي.. لقد صدق كتاب المسلمين المقدس حين قال : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ (البقرة: 146)

قال دانيال: وقد قال تتمة للآية :﴿ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 146)

قال ميخا: صدق كتاب محمد.. إن كثيرا من التحريفات واضحة

في الكتـاب المقـدس.. وأخطـر تلـك التحريفـات تلـك النصـوص الممحوة.. ولكن مع ذلـك يمكن للـبيب العاقـل أن ينتبـه لهـا.. بـل يراها من حجب الكتمان الكثيرة التي رانت عليها.

قال دانيال: حدثني عما رأيت، وعما ملأك بهذه القناعة.

قال ميخا: لقد رأيت النبي ميخا يخبر عن الوقوف بجبـل عرفـة الذي لا يقف عليه إلا المسلمون.

قالوا: أصحيح ذلك؟

قال ميخا: أجل.. أنتم تعرفون أن النـبي ميخـا شـاهد الهيكـل.. هيكل سليمان.. ولكنه في البشارة التي هـداني اللـه إليهـا يتحـدث عن أمم كثـيرة، وشـعوب من كـل بقـاع الأرض متوحـدة على دين واحد، وهي تسعى.. يستحيل أن يكون ذلك غير جبل عرفات.

سأقرأ لكم البشارة لتسمعوها بعقولكم، وتسمعوا معهـا ميخـا، وهو يبشر بمحمد.

أنصت الجميع بخشوع إليه، فراح يقرأ: (ويكون فى آخـر الأيـام أن جبـل بيت الـرب يكـون ثابتـا فى رأس الجبـال، و يرتفـع فـوق التلال، وتجرى إليه شعوب، وتسير أمم كثيرة. ويقولون هلم نصـعد إلى جبل الرب، وإلى بيت إله يعقوب. فيعلمنا من طرقـه، ونسـلك فى سبله، لأنه من صـهيون تخـرج الشـريعة، ومن أورشـليم كلمـة الرب)(ميخا: 4/1)

قالوا: ولكنا نرى النص يتحدث عن أورشليم.. وعن صهيون.

قال: هـذا من التحريـف.. تـأملوا الأوصـاف الـتي ذكرهـا.. هـل تنطبق على جبل صهيون.. أم ترونها تنطبق على جبل عرفات؟

قالوا: ولكن كيف نترك الاسم الواضح إلى الوصف المحتمل؟

قال: أنتم تعلمون أن إسماعيل كان بكرا لإبراهيم.

قالوا: ومن يشك في ذلك.. وما علاقة ذلك بنبوءة ميخا؟

قال: لقد أثبتوا في الكتاب المقدس.. أولئك المحرفون الذين لا يتورعـون.. مـا يـبين تناقضـهم.. ألم يضـيفوا إسـحق إلى النبـوءة.. فذكروا أن الله قال لإبراهيم: (اذبح ابنك بكرك إسحاق)، وهـذا من بهتهم وزيادتهم في كلام الله، فقد جمعوا بين النقيضين، فإن بكـره هو اسماعيل فإنه بكر أولاده، واسحاق انما بشر به على الكبر بعـد قصة الذبح.

قال ملاخي: لقد ذكرتني يا ميخا بنص قرأته في إنجيـل برنابـا.. ذلك الإنجيل الذي نطبق على تكذيبه.. ومع ذلك نشعر بـأن لـه من الصدق ما تفتقر إليه سائر الأناجيل.

هاهو الإنجيل معي.. وسأفتحه على الموضع الذي يؤكد فيه أن الذبيح هو إسماعيل.. ويذكر تلاعب قومنا بالكتاب المقدس.

اسمعوا ما يقول.

أخذ يقرأ عليهم بخشوع من إنجيل برنابا: (الحق أقول لكم إن كل نبي متى جاء فإنه يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده، فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه، وسيأتي بقوة على الظالمين ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان.. لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلا: (انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما هكذا سيفعل نسلك)

أجاب يعقوب: يا معلم، قل لنا من صنع هذا العهد؟ فإن اليهود يقولون بإسحق والإسماعيليون يقولون بإسماعيل.

أجاب يسوع: ابن من كان داود، ومن أي ذرية؟

أجاب يعقوب: من إسحق لأن إسحق كان أبا يعقوب ويعقوب كان أبا يهوذا الذي من ذريته داود.

أجاب التلاميذ: من داود؟!

فأجاب يسوع: لا تغشوا أنفسكم، لأن داود يدعوه في الروح ربا قائلا هكذا: قال الله لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك، يرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك.. فإذا كان رسول الله الذي تسمونه مسيا ابن داود فكيف يسميه داود ربا.. صدقوني لأني أقول لكم الحق، إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق..

حينئذ قال التلاميذ: يا معلم هكذا كتب في كتاب موسى أن العهد صنع بإسحق..

أجاب يسوع متأوها: هذا هو المكتوب ولكن موسى لم يكتبه ولا يسوع، بل أحبارنا الذين لا يخافون الله.. الحق أقول لكم إنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون حيث كتبتنا وفقهائنا لأن الملاك قال:(يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله).. أجاب إبراهيم: (ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كلم ما يريد الله)

فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا: (خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة)، فكيف يكون إسحق البكر وهو لما ولد وكان

إسماعيل ابن سبع سنين؟

أغلق الكتاب، وقال: إني أشـم روائح الصـدق من هـذا الإنجيـل أكثر من أي إنجيل آخر.

التفتوا إلى ميخا، وقالوا: عد بنا إلى بشارة ميخا.

قال: كمـا أن قومنـا حرفـوا اسـم الـذبيح، فـإنهم حرفـوا اسـم المكان المعظم الذي جرت فيـه أحـداث القصـة، فسـمتها التـوراة السامرية (الأرض المرشدة)، فيما سمته التوراة العبرانية (المريا)، ولعله تحريف لكلمة (المروة)، وهو اسم لجبل يقع داخـل المسـجد الحرام في مكة المكرمة، أي في المكان الذي درج فيه إسماعيل، وهو المكان الذي يوجد فيه جبل عرفات.

وقد اتفق النصان العبري والسامري على تسمية ذلك الموضـع (جبل الله)، ولم يكن هذا الاسم مستخدماً لبقعة معينة حينذاك، لذا اختلف اليهود في تحديد مكانه اختلافاً بينـاً، فقـال السـامريون: هـو جبل جرزيم، وقال العبرانيون: بل هو جبل أورشليم الذي بني عليه الهيكل بعد القصة بعدة قرون كما في (الأيام (2) 3/1).

وقـد أكـد البـاحثون هـذا الاختلاف، فهـذا الـدكتور بوسـت في قاموس الكتاب المقدس، يقول: (يظن الأكثرون أن موضع الهيكـل هو نفس الموضع الذي فيه أمر إبراهيم أن يستعد لتقديم إسـحاق، غير أن التقليد السامري يقول: إن موضع الذبح لإسحاق كـان على جبل جرزيم، وبعض العلماء يوافقونهم)

ويقول محققو نسخة الرهبانية اليسوعية: (يطابق سفر الأخبـار الثـاني (3/1) بين موريّـا وبين الرابيـة الـتي سيشـاد عليهـا هيكـل أورشليم.. غير أن النص يشير إلى أرض باسم موريّا لا يأتي ذكرهـا في مكان آخر، ويبقى مكان الذبيحة مجهولاً)

والحق الذي توصلت إليه هو أن المكان معروف غـير مجهـول، لأن قصـة الـذبح جـرت في الأرض المرشـدة، وهي أرض العبـادة، وهي مكة أو بلاد فاران.

وقد رأيت أن اختلافهم دليـل على صـحة ذلـك، واتفـاقهم على اسـم المكـان بجبـل الـرب صـحيح، لكنهم اختلفـوا في تحديـده لرجمهم بالظنون، وقد ربطوه بتسميات ظهرت بعد الحادثة بقرون عدة، وتجاهلوا البيت المعظم الذي بـني في تلـك البقعـة حينـذاك، ويسمى بيت الله، كما سمي الجبل الذي في تلك البقعة جبل الله.

وقــد بقي هــذا الاختلاف من أهم الاختلافــات الــتي تفــرق السامريين عن العبرانيين، وقد أدرك المسـيح هـذا الخلاف، فـذات

مـرة دخلت عليـه امـرأة سـامرية، وسـألته عن المكـان الحقيقي المعد للعبادة، فأفصح لهـا المسـيح أن المكـان ليس جبـل جـرزيم السامري، ولا جبل عيبال العبراني الذي بني عليه الهيكل.

لقد قرأتم ذلك بلا شك.. فقد جاء في إنجيـل مـتى: (قـالت لـه المرأة: يا سيد أرى أنك نبي، آباؤنـا سـجدوا في هـذا الجبـل، وأنتم تقولون أن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسـجد فيـه، قـال لها يسوع: يا امرأة صدقيني، إنه تأتي سـاعة لا في هـذا الجبـل ولا في أورشليم تسجدون للآب، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أمـا نحن فنسجد لما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهود.

ولكن تــأتي ســاعة، وهي الآن، حين الســاجدون الحقيقيــون يســجدون للآب بــالروح والحــق، لأن الآب طــالب مثــل هــؤلاء الساجدين له، الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحـق ينبغي أن يسجدوا)(يوحنا 4/19-24)

فمن هم الساجدون الحقيقيون الذين يسـجدون في غـير قبلـة السامريين والعبرانيين، إنهم الأمة الجديدة الـتي تولـد بعـد حين، إذ لم تدع أمة قداسة قبلتها سوى أمة الإسلام الـتي يفـد إليهـا ملايين المسلمين سنوياً في مكة المكرمة.

وقوله عن ساعة قدوم الساجدين الحقيقيين (ولكن تأتي ساعة وهي الآن) يفيد اقترابها لا حلولها، كمـا في مـتى: (أقـول لكم: من الآن تبصــرون ابن الإنســان جالســاً عن يمين القــوة، وآتيــاً على سحاب السماء) (متى 26/64)، وقد مات المخـاطبون وفنـوا، ولم يروه آتياً على سحاب السماء.

ومثله قول المسيح: (وقال له: الحق الحق أقول لكم، من الآن ترون السماء مفتوحـة، وملائكـة اللـه يصـعدون وينـزلون على ابن الإنسان)(يوحنا 1/51)، (وانظر صموئيل (1) 15/28).

قال حجي: بورك فيك يا ميخا.. لقد فهمت الآن نصـا من سـفر إشعيا طالمـا احـترت في تفسـره.. لقـد رمـز النـبي إشـعيا لمكـة بالعاقر، وتحدث عن الجموع الكثيرة التي تأتي إليها، ويعدها بالأمان والبركة والعـز، فقـال:(تـرنمي أيتهـا العـاقر الـتي لم تلـد، أشـيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض، لأن بـني المستوحشـة أكـثر من بـني ذات البعـل، قـال الـرب: أوسـعي مكـان خيمتـك ولتبسـط شـقق مساكنك، لا تمسكي، أطيلي أطنابك وشددي أوتادك، لأنك تمتـدين إلى اليمين والى اليسار، ويرث نسلك أمماً، ويعمـر مـدناً خربـة، لا تخافي لأنك لا تخـزين، ولا تخجلي لأنـك لا تسـتحين، فإنـك تنسـين

خزي صباك، وعار ترملك لا تذكرينه بعد..

قال راحمك الرب: أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية، هانـذا أبني بالإثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أؤسسـك، وأجعـل شـرفك ياقوتاً، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تخومك حجارة كريمـة، وكـل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيراً، بالبر تثبـتين بعيـدة عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك، ها إنهم يجتمعون اجتماعـاً ليس من عندي، من اجتمع عليك فإليـك يسـقط، هانـذا قـد خلقت الحداد الـذي ينفخ الفحم في النـار ويخـرج آلـة لعملـه، وأنـا خلقت المهلك ليخرب كل آلة صـورت ضـدك لا تنجح، وكـل لسـان يقـوم عليك في القضاء تحكمين عليه، هذا هو ميراث عبيد الـرب وبـرهم من عندي)(إشعيا 54/1-17)

ففي النص مقارنة لمكة بأورشليم، فسـمى مكـة بالعـاقر لأنهـا لم تلد قبل محمـد، ولا يجـوز أن يريـد بالعـاقر بيت المقـدس، لأنـه بيت الأنبياء ومعدن الوحي، وقد يشكل هنا أن نبوة إسماعيل كانت في مكة، فلا تسمى حينذاك عاقراً، لكن المراد منه مقارنـة نسـبية مع أنبياء أورشليم.

قال حبقوق: لقد تحدثت المزامير عن مدينة المسيح المخلص، المدينـة المباركـة الـتي فيهـا بيت اللـه، والـتي تتضـاعف فيهـا الحسـنات، فالعمـل فيهـا يعـدل الألـوف في سـواها، وقـد سـماها باسمها (بكة)، فجاء فيها:(طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك، سلاه، طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم، عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعاً، أيضاً ببركـات يغطـون مـورة، يـذهبون من قوة إلى قوة، يرون قدام الله في صهيون، يـا رب إلـه الجنـود اسمع صلاتي وأصغ يا إلـه يعقـوب، سـلاه، يـا مجننـا انظـر يـا اللـه والتفت إلى وجه مسيحك، لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف، اخترت الوقوف على العتبـة في بيت إلهي على السـكن في خيـام الأشرار) (المزمور 84/4-10).. فقـد ورد في الترجمـة الإنجليزيـة هكذا (through the valley of Ba'ca make it a well) فذكر أن اسمها بكة، وترجمته إلى وادي البكاء صورة من التحريف.

وقد سماها النص العبري بكة، فقال: [בְּעֵמֶק הַבָּכָא]، وتقـرأ : (بعيمق هبكا)، أي وادي بكة.

والنص كما جاء في ترجمة الكاثوليك هكذا: (يجتازون في وادي البكـاء، فيجعلونـه ينـابيع مـاء، لأن المشـترع يغمـرهم ببركاتـه، فينطلقـون من قـوة إلى قـوة، إلى أن يتجلى لهم إلـه الآلهـة في

صهيون)(7/83-8)

قال حجي: هذا الاسم (بكة) هو اسم بلد محمد، وهو الاسم الذي سمّى القرآن الكريم به مكة البلد الحرام، كما في القرآن : إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ (آل عمران:96)، وبركة هذا البيت بما جعل الله لقاطنيه وقاصديه من مضاعفة الحسنات عنده، فصلاة فيه كما يخبر محمد تعدل أكثر من ألف صلاة فيما سواه، فصدق فيه قول المزمور: (لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف)

بشارة دانيال:

التفت ميخا إلى دانيال، وقال له: لقد ذكرت البشارة العظيمة التي وجدتها.. فهل وجدت أنت شيئا؟

قال دانيال: أنتم تعلمون أن الكتاب المقدس نقل بعض نبوءات الأنبياء عن زمن ظهور هذا الملكوت.

قالوا: أجل.. لا شك في ذلك.

قال: ومن ذلك أن بختنصر رأى رؤيا أفزعته ولم يعرف العرافون ولا المنجمون تعبيرها، ففسرها له النبي دانيال فقال: (أنت أيها الملك كنت تنظر، وإذا بتمثال عظيم، هذا التمثال العظيم البهي جداً وقف قبالتك، ومنظره هائل، رأس هذا التمثال من ذهب جيد، وصدره وذراعاه من فضة، بطنه وفخذاه من نحاس، ساقاه من حديد، قدماه بعضها من حديد، والبعض من خزف.

كنت تنظر إليه إلى أن قطع حجر بغير يدين، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما، فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً، وصارت كعصافة البيدر في الصيف، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان.

أنت أيها الملك ملك ملوك، لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً، وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء.. فأنت هذا الرأس من ذهب.

وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض، وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد، لأن الحديد يسحق كل شيء، وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء، وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد، فبعض المملكة يكون قوياً والبعض قصماً، وبما رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس....

وفي أيام هؤلاء يقيم إلـه السـماوات مملكـة لن تنقـرض أبـداً، ومَلِكها لا يُترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد، لأنك رأيت أنـه قـد قطـع حجـر من جبـل لا بيـدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتي بعد هـذا. الحلم حـق وتعبـيره يقين)(دانيـال 2/21 - 45)

قالوا: فـأي دلالـة على محمـد يشـير إليهـا هـذا التفسـير الـذي فسره دانيال؟

قال: أنتم تعلمون أن هذه الرؤيا وتفسيرها يشـير إلى الممالـك التي ستقوم بين يدي بني الملكوت.

قالوا: أجل.. ذلك واضح.

قال: ولهذا حاولت أن أطبق تفسير هـذه الرؤيـا على الأحـداث التاريخية لأرى من تنطبق عليه.

قالوا: هذا جيد.. وهو منهج علمي صحيح.

قال: لقد رأيت أن أولها هي مملكة بابل التي يرأسـها بختنصـر، والتي يرمز لها في الحلم بالرأس الذهبي.

ثم مملكة فارس التي أقامهـا خسـرو، وتسـلط ملكهـا قـورش على بابــل ســنة (593 ق.م)، ورمــز لهــا في المنــام بالصــدر والذراعين من فضة.

ثم تلتهـا مملكـة مقدونيـة والـتي قضـت على مملكـة الفـرس، وأسسها الاسكندر المقـدوني (336 ق.م)، ويرمـز لهـا في المنـام بالبطن والفخذين من النحاس.

ثم تلتهــا امبراطوريــة الرومــان والــتي أسســها الأمــبرطور بوفـبيوس (63 ق.م)، ورمـز لهـا في المنـام بسـاقين من حديـد وقدمين إحداهما من خـزف وأخـرى من حديـد، ولعلـه أراد دولـتي فارس والروم أو انقسام الأمبراطورية الرومانية.

وفي أيام هذه الامبراطوريـة نصـت النبـوءة على أن اللـه يقيم المملكة التي لن تنقرض أبدا.. كما جاء في سفر دانيال: (وفي أيام هؤلاء يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً)

وقد جاء بقيامها الحجـر الـذي رذلـه البنـاؤون، وقـد قطـع بغـير يـدين، إذ جـاء من السـماء ليقضـي على الفـرس والـروم، وأقـام الملكوت الموعود في الدنيا قروناً طويلـة، ولم ينقطـع بـأس هـذه الأمة إلا في هذا القرن الأخير.

ولعل في هذه النبوءة ما يبشر بكون هذا الكسوف عرضـاً زائلاً

ما يلبث أن يزول، فتشرق شمس أمة محمد من جديد.
وقد أقر هودجكن في كتابه (المسيح في كل الكتب) بأن الحجر الذي قطع بغير يدين، ويسحق التمثال العظيم كناية عن مملكة (المسيا) أي المسيح المنتظر.. وليس المسيح المنتظر إلا محمد.
وفي التفسير التطبيقي: وأما الحجر المقطوع من الجبل، فيشير إلى ملكوت الله الذي يحكمه المسِيّا ملك الملوك إلى الأبد.
قال زكريا: لقد فهمنا هذه الرؤيا.. ودلالتها التاريخية صريحة جدا.. وقد قرأت رؤيا دانيال للحيوانات الأربع.. فهل لديك شيء في تفسيرها؟
قال دانيال: أجل.. وسأقص عليكم الرؤيا قبل أن أفسرها لكم..
قال دانيال: كنت أرى في رؤياي ليلاً، وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير، وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة هذا مخالف ذاك، الأول كالأسد.. وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب.. وإذا بآخر مثل النمر.. وإذا بحيوان رابع هائل وقوي وشديد جداً، وله أسنان من حديد كبيرة، أكل وسحق وداس الباقي برجليه، وكان مخالفاً لكل الحيوانات الذين قبله وله عشرة قرون.. كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى، وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه، فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً، لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض)(دانيال 7/3-18)
قال زكريا: لقد رأيت قومي يفسرون الممالك الأربعة بالمملكة البابلية ثم الفارسية ثم اليونانية ثم الرومانية، ويرون الملكوت متحققاً في ظهور دين المسيح وتأسيس الكنيسة في يوم الخمسين عندما نزل الروح القدس على التلاميذ المجتمعين في أورشليم.
قال دانيال: كنت أقول ذلك مثلهم.. لكني لما تخلصت من القيود التي كانت تحول بين عقلي وبين التفكير السليم وجدت أن المملكة الروحية التي أسسها الحواريون لا يمكن أن تكون الملكوت الموعود، لأن دانيال يتحدث عن أربع ممالك حقيقية، سحق آخرَها ملكٌ حقيقي، لا روحي، كما جاء فيها: (وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفني كل هذه الممالك)(دانيال 2/44)
وقال عن المملكة ونبيها: (لتتعبد له كل الشعوب والأمم

والألسنة)(دانيال 7/14)

وقد فهم التلاميذ من المسيح أن هذه المملكة القادمة زمنيـة لا روحية، فسألوه، وهم يظنون أنهـا تقـوم على يديـه: (هـل في هـذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟)(أعمال 1/6)، وقد اجتهد المسيح في إفهـامهم أن مملكتـه روحيـة، بينمـا المملكـة القادمـة مملكـة حقيقية.

ثم إن مملكة التلاميذ لم تقهر الدولة الرومانية، بل إن الرومـان قهروا المسيحية بعد حين، حين أدخلوا وثنياتهم فيها.

وكيف لنا أن نقول بأننا قهرنا الرومان، ونحن نزعم أن المسـيح مات على أعواد صليب روماني؟

أمـا المسـلمون فهم الـذين قضـوا على الدولـة الرومانيـة، واقتلعوها من أرض فلسطين، ثم بقية بلاد الشام ومصر.

بشارة حبقوق:

التفتوا إلى رجل منهم، اسمه حبقوق، فقالوا: مالنا نراك واجما يا حبقوق؟

قال: أنـا محتـار من نفسـي، ومن قـومي.. لطالمـا قـرأت في سفر حبقوق قوله:(يا رب قد سمعت خـبرك فجـزعت : اللـه جـاء من تيمان. والقدوس من جبل فاران) (حبقـوق 3/2) فلم نلـق لـه بالا على الرغم من أن فيه تبشيرا صريحا بمحمد.

قالوا: كيف؟

قال: أتعلمون سبب جزع النبى حبقوق؟

قالوا: لا.. لقد علم أن النبي الخاتم الموعـود سـيكون من بـني إسماعيل..

إن كل النبوءة تشير إليه.. سأقرأها عليكم كاملة.. اسمعوا.

فتح الكتاب المقدس على سفر حبقوق، ثم راح يقـرأ بخشـوع: (يـا رب قـد سـمعت خـبرك فجـزعت، يـا رب عملـك في وسـط السنين أحيه، في وسط السنين عـرّف.في الغضـب اذكـر الرحمـة الله جاء من تيمان والقـدوس من جبـل فـاران.سـلاه.جلالـه غطى السموات والارض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور. لـه من يده شعاع وهناك استتار قدرتـه. قدامـه ذهب الوبـاء، وعنـد رجليـه خـرجت الحمّى. وقـف وقـاس الارض.نظـر فرجـف الامم ودكّت الجبال الدهرية وخسفت اكام القدم.مسالك الازل لـه. رأيت خيـام كوشان تحت بلية.رجفت شقق ارض مديان. هل على الانهار حمي يا رب هل على الانهـار غضـبك او على البحـر سـخطك حـتى انـك

ركبت خيلـــك مركباتـــك مركبـــات الخلاص. عـــرّيت قوســـك تعرية.سباعيّات سهام كلمتك.سلاه.شققت الارض انهـارا. ابصـرتك ففزعت الجبال.سيل المياه طما.اعطت اللجّة صـوتها.رفعت يـديها الى العلاء. الشـمس والقمـر وقفـا في بروجهمـا لنـور سـهامك الطائرة للمعان برق مجـدك. بغضـب خطـرت في الارض.بسـخط دســـت الامم. خـــرجت لخلاص شـــعبك لخلاص من مســـحته ملكا.سحقت راس بيت الشرير معرّيا الاساس)(حبقوق 3: 2-14)

قالوا: فاشرح لنا منها ما هداك إلى محمد.

قال: ألا ترون في النص ذكرا لأمـاكن محـددة لا يمكن التلاعب بتأويلها؟

قـال يوحنـا: أجـل.. أرى جهـتين مـذكورتين فى مطلـع هـذا المقطع، وهما: تيمان، والتي تعنى اليمن، وجبل فاران، وهـو يعـنى جبل النور الذى بمكة التى هى فاران.

قـال حبقـوق: هاتـان الجهتـان عربيتـان، وهمـا ترمـزان لشـبه الجزيرة العربية التى كانت مسرحاً لرسـالة محمـد.. فالحـديث إن ليس عن نبي من بنى إسرائيل ؛ لأن رسل بنى إسرائيل كـانوا من جهة الشام شمالاً، لا من جهة بلاد العرب.

بالإضافة إلى أن هذه البشـارة أتت مؤكـدة للبشـارة المماثلـة لـتى وردت في سـفر التثنيـة، والـتي نصـت على أن اللـه تلألأ أو استعلن من جبل فاران.

قال حجي: ولكن.. نحن نعلم أن هناك بجوار سيناء بلدة اسمها فاران.

قال حبقوق: نعم.. لقد بحثت في هذا.. وهو لا يمنـع من وجـود فاران أخرى هي تلك التي سكنها إسماعيل وقامت الأدلة التاريخية على أنها الحجاز حيث بـنى إسـماعيل وأبـوه الكعبـة، وحيث تفجـر زمزم تحت قدميه، وهـو مـا اعـترف بـه عـدد من المـؤرخين منهم المؤرخ جيروم، واللاهوتي يوسبيوس، فقالا بأن فاران هي مكة.

بـل قـد ورد في الكتـاب المقـدس أن إسـماعيل وأبنـاءه قـد انتشـروا في هـذه المنطقـة حيث تقـول التـوراة: (هـؤلاء هم بنـو إسماعيل.... وسكنوا من حويلة إلى شور) (التكوين 25/16 – 18)، وحويلة كما جاء في قاموس الكتاب المقدس منطقــة في أرض اليمن، وشور في جنوب فلسطين.

وعلى هذا، فإن إسـماعيل وأبنـاءه سـكنوا هـذه البلاد الممتـدة جنـوب الحجـاز وشـماله، وهـو يشـمل أرض فـاران الـتي سـكنها

إسماعيل، والتي نصت عليها التوراة التي تقول: (كان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر)(التكوين 21/20-21)

صمتوا، فقال: ومع ذلك.. فأنا لا أرى في النبوءة إلا هذه البشارة وحدها.. إن في البشارة ناحية مهمة جديرة بالاهتمام، إن فيها حديثا عن الخيل والسهام والسيوف، وذلك لا ينطبق إلا على جيوش محمد، وقد قال أحد المرتدين عن المسيحية إلى الإسلام وهو علي بن ربن الطبري بعد أن أورد تطابق هذه النبوة مع حاله: (فإن لم يكن هو الذي وصفتا ــ أي محمد ــ فمن إذاً؟ لعلهم بنو إسرائيل المأسورون المسببون، أو النصارى الخاضعون المستسلمون. وكيف يكون ذلك وقد سمي فيها النبي مرتين ووصف عساكره وحروبه)

ألا ترون النبوءة ماذا تقول.. إنها تقول: (قاس الأرض كقائد يقف وينظر إلى ميدان الحرب، ويعين لفرق جيشه مراكزهم وأعمالهم فيعملون كما رسم القائد)

ترى أى نبى ذلك ؟ إنه نبى محارب، لقد كان حبقوق حوالى 605 ق.م. أى بعد داود وسليمان بقرون عديدة؟

ومع ذلك.. فإن هناك الكثير مما يستوقف الناظر الصادق:

لقد ورد في البشارة: (قام فمسح الأرض)، وهذه العبارة تحاكي ما جاء في حديث نبي المسلمين الذي يقول: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها..)(1)

وقد ورد في البشارة: (لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ تراث آبائك).. فمن أباؤه؟ إنهم إبراهيم وإسماعيل، وما هو إرثهم ؟ هل هو الملك أم الأموال أم ماذا ؟ إنه التوحيد والرسالة كما ورد في كتاب المسلمين المقدس :﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:68)، وقال تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة:4)

1) رواه أحمد.

وقـد ورد في البشـارة الإشـارة إلى كـثرة التسـبيح الـتي ملأت الأرض.. فأنبئوني عن الأمة التي تفـرد اللـه بالتسـبيح، وتكـثر منهـا بقدر ما تفعل أمة محمد.

وقـد ورد فيهـا دكـه لعـروش الظلم والطغيـان وقهـر الممالـك الجائرة، وذلك لم يتحقق إلا في رسالة محمد.

وقد ورد أن خيل جيوشه ركبت البحـر، وهـذا لم يحـدث إلا فى ظل رسالة الإسلام.

زيادة على هذا كله، فقد حصلت تحريفـات كثـيرة للنص بفعـل الترجمـة، وقـد حفـظ لنـا علي بن ربن الطـبري النص كمـا كـان مترجما في عهده، وهو (الـتيمن، والقـدوس من جبـل فـاران. لقـد انكسـفت السـماء من بهـاء محمـد، وامتلأت الأرض من حمـده، ويكون شعاع منظره مثل النور، يحوط بلـده بعـزه، وتسـير المنايـا أمامه، وتصحب الطير أجناده. قـام فمسـح الأرض، ثم تأمـل الأمم وبحث عنهـا، فتضعضـعت الجبـال القديمـة، واتضـعت الـروابي الدهرية، وتزعزعت ستور أهل مدين، ولقد حاز المساعي القديمة، وغضب الرب على الأنهار. فرجزك في الأنهار، واحتدام صولتك في البحار، ركبت الخيول، وعلوت مراكب الإنقاذ والغوث، وستترع في قسـيك إغراقـاً وترعـاً، وترتـوي السـهم بـأمرك يـا محمـد ارتـواءً، وتحرث الأرض بالأنهار. ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنـك شئويوب السيل، ونعرت المهاوي نعيراً ورعيـاً، ورفعت أيـديها وجلاً وخوفاً، وتوقفت الشمس والقمر عن مجراهما، وسـارت العسـاكر في بريق سـهامك ولمعـان نيازكـك، تـدوخ الأرض غضـباً، وتـدوس الأمم رجزاً، لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ شريعة آبائك)[1]

بشارة حجي:

قال ملاخي: وأنت يا حجي ما الذي وجدت في أسفار الأنبياء؟

قال حجي: لقد بحثت في سـفر حجي في النصـوص القديمـة، فوجدته يصرح باسم محمـد الـذي يطلـق عليـه (محمـاد) مشـتهى الأمم.

قالوا: أهذا صحيح؟

قال: لا أشك في ذلك.. كما لا أشك فيكم.. وسـأبدأ القصـة من أولها:

---

1) هذا النص أورده الطبري بهذه الصيغة، وورد لدى كل من الشيخ زيادة، والترجمـان، وإبراهيم خليل أحمد الذين اهتدوا إلى دين محمد بصور مختلفة طولاً وقصراً، مـع اختلاف يسير في العبارات، واتفاقهم على محتوى السطر الأول. واتفق أيضـاً كـل من الترجمـان والشيخ زيادة وإبراهيم خليل على أن المراد بجبال فاران هي جبال مكة.

بعد عودة بني إسـرائيل من السـبي، وتخفيفـاً لأحـزانهم، سـاق لهم النبي حجي بشارة من الله فيها:(لا تخافوا، لأنه هكذا قـال رب الجنـود، هي مـرة بعـد قليـل، فـأزلزل السـماوات والأرض والبحـر واليابسة، وأنزل كـل الأمم، ويـأتي مشـتهى كـل الأمم، فـأملأ هـذا البيت مجداً قال رب الجنود... مجد هذا الـبيت الأخـير يكـون أعظم من مجد الأول قال رب الجنـود، وفي هـذا المكـان أعطي السـلام يقول رب الجنود)(حجي 2/6 - 9)

هذه النبوءة تتحدث عن القادم الذي وعد به إبراهيم، وبشر بــه يعقوب وموسى ثم داود.

لقد حاولت التأكد من النص من لغاته الأصلية، فوجدتــه يصــرح باسم محمد.

قالوا: كيف ذلك؟

قال: أنتم تعلمون خبرتي باللغات القديمة.. وقــد وجــدت النص بالعبرانية هكذا: (لسوف أزلزل كل الأرض، وسوف يـأتي (محمـاد) لكل الأمم.. وفي هذا المكان أعطي السلام)

فقد جاء في العبرية لفظة (محماد) أو (حمدت) كما في قراءة أخرى حديثة، ولفظة (مِحِمْادْ) في العبرانيـة تسـتعمل عـادة لتعـني (الأمنية الكبيرة) أو (المشتهى)، والنص حسـب الترجمـة العبرانيـة المتداولة : (فباؤا حمدات كول هاجوييم).

لكن لو أبقينا الاسم على حاله دون ترجمة، كما ينبغي أن يكون في الأسماء، فإنا واجدون لفظة (محماد) هي الصيغة العبرية لاسم أحمد، والذي أضاعها المترجمون عندما ترجموا الأسماء أيضاً.

وجاء في تمام النبوءة الحديث عن البيت الأخير لله، والذي هــو أعظم مجـداً من الـبيت الأول، ثم يقـول: (في هـذا المكـان أعطي السلام)، وقد استخدمت الترجمة العبريـة لفظـة (شـالوم)، والـتي من الممكن أن تعـني الإسـلام، فالسـلام والإسـلام مشـتقان من لفظة واحدة.

وقوله: (في هذا المكان أعطي السلام)، قـد تتحـدث عن عقـد الأمان الذي عم تلك الأرض والذي أعطاه عمر لأهل القدس عندما فتحهــا، فتكــون النبــوءة عن إعطــاء الســلام، ولم تنســبه إلى المشتهى، ذلك أن الأمر تم بعد وفاته.

ولا ريب أن النبــوءة لا تتحــدث عن المسـيح، إذ لا تقــارب بين ألفاظ النبوءة واسمه، أو بين معانيه ومـا عهـد عنـه، إذ لم يسـتتب الأمن في القدس حال بعثته، بل بشـر اليهـود بخـراب هيكلهم بعـد

حين، كما كان رسولاً إلى بني إسرائيل فحسب، وليس لكل الأمم، والقادم هو مشتهى الأمم جميعاً، وليس خاصاً ببيت يعقوب كما جاء في وصف المسيح مراراً.

بشارة زكريا

قال ملاخي: وأنت يا زكريا.. هل ظفرت بأي نبوءة تبشر بمحمد؟

قال: أجل.. لقد شدني في سفر زكريا هذا النص: (ويكون فى ذلك اليوم، يقول رب الجنود: إني أقطع أسماء الأصنام من الأرض فلا تذكر بعد. وأزيل الأنبياء أيضاً و الروح النجس من الأرض، ويكون إذا تنبأ أحد بعد، أن أباه وأمه والديه يقولان له: لا تعيش لأنك تكلمت بالكذب باسم الرب، فيطعنه أبوه وأمه والداه عندما يتنبأ)(زكريا: 13 : 2-3)

قالوا: أهذه النبوءة تتحدث عن محمد؟

قال: أجل.. ويمكنكم إدراكها بسهولة إذا علمتم أن محمدا دخل مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها، وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام، ويقول : جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً (الاسراء: 81)، فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع، كما صعد بلال إلى ظهر الكعبة، فكسر ما عليها من الأصنام وهو يقول : الله أكبر، الله أكبر.

إن النبوءة تتحدث عن هذا كله.. وتتحدث عن مدعين للنبوة قتلا هما الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب.

صمتوا، فقال: إن هناك نبوءة أخرى في سفر زكريا تقول: (هكذا قال رب الجنود قائلا: هوذا الرجل (الغصن) اسمه، ومن مكانه ينبت ويبنى هيكل الرب فهو يبنى هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه، ويكون كاهنا على كرسيه) (زكريا 6/12-13)

إن هذه النبوءة تتحدث عن مشاركة محمد فى بناء الكعبة ونقل الأحجار إليها على كتفه بعد أن هدمها السيل، لقد بُنى بيت الله فى مكة منشأ ومنبت الرسول، لقد كان كل مؤمن يحتمي به لأنه كان أشجع الناس..

زيادة على هذا كله، فقد ورد في الإصحاح الثامن ــ حسب النسخة العبرية ـ هذه البشارة الصريحة: (هكذا يقول رب الجنود:

في تلك الأيام يجتمع عشرة رجال من كل لسانات الشعوب ويتمسكون بذيل رجل حميد، أعني أبو حيد، ويقولون: لنذهب معك، لأننا سمعنا أن الله معك)

لقد ذكر الشيخ زيادة الذي اختار طريق محمد هذه البشارة بلفظها العبري ثم ترجمها إلى اللغة العربية، وأطال الكلام حول هذه البشارة، واشتقاقات اسم حميد وأحمد، وبين أنه ظل سنين طويلة، وهو يقرأ هذه النبوة ويفهمها على وفق الترجمة اليهودية، حتى يسر الله له كتب أصول اللغة العبرية ـ وكانت شبه معدومة ـ فوقف من خلالها على حقيقة هذا اللفظ (يا أودي)، وأنه إذا ترجم إلى اللغة العربية صار (حميد)

بشارة ملاخي:

قالوا: وأنت يا ملاخي.. نراك تسألنا، ولا تفيدنا.

قال ملاخي: لقد رأيت في آخر أسفار التوراة العبرانية النبي ملاخي يتحدث في سفره القصير عن عصيان بني إسرائيل، وعن إيليا، أو إيلياء القادم الجديد، وهو غير إلياس الذي كان قد توفي منذ سبعة قرون.

يقول ملاخي حاكيا عن الله: (هأنذا أرسل ملاكي، فيهيء الطريق أمامي، ويأتي بغتة إلى هيكله السيدُ الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تسرون به، هو ذا يأتي، قال رب الجنود من يحتمل يوم مجيئه، ومن يثبت عند ظهوره، لأنه مثل نار الممحص، ومثل أشنان القصار)(ملاخي 3/1 - 2)

فالنص في سفر النبي ملاخي يتحدث عن اثنين، أحدهما الذي يهيئ الطريق أمام القادم من عند الرب.

والثاني هو الذي يأتي بغتة إلى الهيكل، ويسميه: السيد، وملاك العهد، وهو الذي يطلبه بنو إسرائيل وينتظرونه.

وفي آخر سفره يقول ملاخي، وحديثه مازال متصلاً عن هذا القادم، وعن تبديل بني إسرائيل وكفرهم، فيقول: (اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام، هأنذا أرسل إليكم إيّليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم، لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن)(ملاخي 4/4 - 5)

فقد سمى ملاخي النبي القادم إيليا بعد أن ذكرهم بوصية موسى على جبل حوريب والتي ذكر فيها موسى النبي القادم مثله من بين إخوة بني إسرائيل.

قـال صـفتيا: ولكن قومنـا يعتقـدون أن أن النـبي الـذي يمهـد الطريق هو يوحنا المعمدان المسمى بإيليا، كما قال مرقس: (كمـا هو مكتوب في الأنبيـاء هـا أنـا أرسـل ملاكي الـذي يهـيئ طريقـك قدامك.. كان يوحنا المعمدان يعمد في البريـة.. وكـان يكـرز قـائلاً: يأتي بعدي من أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أنحني وأحـل سـيور حذائه، أنا عمدتكم بالمـاء، وأمـا هـو فسـيعمدكم بـالروح القـدس، وفي تلك الأيام جاء يسوع)(مرقس 1/2 ـ 9)، وهو نفس ما نقله لوقا عن لسان المسيح: (بل ماذا خرجتم لتنظروا، أنبياً؟ نعم أقـول لكم: وأفضل من نبي، هذا هو الذي كتب عنه: هـا أنـا أرسـل أمـام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك، لأني أقـول لكم: إنـه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنـا المعمـدان، ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه)(لوقا 7/26)

فالممهِـد للطريــق على حســب هــذه النصــوص هــو يوحنــا المعمدان، والممهد له المنتظر هو المسيح.

وهم يعتبرون الأول (إيليا) لقول مـتى على لسـان المسـيح في سياق حديثه عن يوحنا المعمدان: (ماذا خرجتم لتنظروا: أنبيـاً؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبي، فـإن هـذا هـو الـذي كتب عنـه: هـا أنـا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك. الحـق أقـول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه.. لأن جميع الأنبيـاء والنـاموس إلى يوحنـا تنـبئوا. وإن أردتم أن تقبلـوا فهـذا هـو إيليـا المزمع أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع)(متى 11/9 - 15)

ويذكر متى أيضاً بأن المسيح قال:(إن إيليا يـأتي أولاً ويـرد كـل شيء، ولكني أقول لكم: إن إيليا قد جاء ولم يعرفـوه.. حينئـذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان)(متى 17/10 - 13)

قال ملاخي: لقد كنت أقـول هـذا.. لكـني عنـدما نـزعت حجب الوهم، ودرست الكتاب المقدس دراسة فاحصة اكتشفت الحقيقـة التي ذكرتها لكم.

قالوا: فسرها لنا.. فنحن لا نزال على مذهب قومنا.

قال: قبـل أن أشـرح لكم مـا توصـلت إليـه، أحب أن أنبـه إلى بعض ما تعرضت له هذه النصوص من تحريف، ففي ملاخي (ملاك العهد)، وهو في الترجمات القديمة (رسول الختان).. وفي الترجمة الحديثـة (أرسـل ملاكي)، وفي القديمـة (أرسـل رسـولي).. وفي بعض الطبعـات (يـأتي السـيد)، وفي بعضـها (الـولي)، وفي أخـرى

(إيليا)

زيادة على ذلك.. فإن في نصـوص الأناجيـل تحريـف للاقتبـاس من ملاخي الذي استعمل ضـمير المتكلم (الطريـق أمـامي)، وفي الأناجيل أصبح الضمير راجعاً على المسيح (يهيئ طريقك قدامك)

كما أن التحريف قد طـال كلام المسـيح والمعمـدان حين زعم الإنجيليون أن المسيح اعتبر المعمدان هو الممهد لدعوته: (هذا هـو الذي كتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك)(لوقا 7/26)، وأنه سماه إيليا المنتظر: (ولكني أقـول لكم: إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه.. حينئذ فهم التلاميـذ أنـه قـال لهم عن يوحنا المعمدان)(متى 17/12 - 13)

ومن التحريف قولهم أن المعمدان أخبر أن القـوي الـذي بشـر بقدومه بعده هـو المسـيح:(ولكن في وسـطكم قـائم الـذي لسـتم تعرفونه، هـو الـذي يـأتي بعـدي الـذي صـار قـدامي، الـذي لسـت بمستحق أن أحل سيور حذائه.. وفي الغد نظر يوحنـا يسـوع مقبلاً إليه فقال: هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العـالم، هـذا هـو الـذي قلت عنه: يأتي بعـدي رجـل صـار قـدامي، لأنـه كـان قبلي)(يوحنـا 1/26-40)

قالوا: ما بالك تجازف فتتهم الإنجيليين بالتحريف؟

قال: أنا لا أتهمهم.. ولكن مقارنة النصـوص أوصـلتني إلى هـذه النتيجة.. زيادة على أن يوحنا المعمـدان أنكـر أن يكـون هـو النـبي إيليا الممهد بين يدي السيد القادم، فقد نفى هو ذلك عن نفسه لما جـاءه رسـل اليهـود من الكهنـة واللاويين (ليسـألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر: إني لست أنا المسيح.. فسألوه إذاً مـاذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا.. النبي أنت؟ فأجاب: لا)(يوحنـا 1/19 - 21)، فهذا نص صريح ينكر فيه يوحنا أنه إيليا الممهد للطريق، كمـا أنه ليس المسيح المنتظر أو النبي القادم.

ويلزم من هذا تكذيب المسيح في قوله بأن إيليا قد جـاء، أو أن يكون المعمدان كاذباً حين أنكر أنه إيليا، أو يلزم القول بأن التلاميـذ لم يفهموا كلام المسيح، وهذا الأخـير هـو الأولى، فقـد أخطـأ مـتى حين قال: (حينئذ فهم التلاميذ أنه قـال لهم عن يوحنـا المعمـدان)، لقـد ظنـوا أنهم فهمـوا، بينمـا الحقيقـة أنهم لم يفهمـوا، لقـد كـان يحدثهم عن نفسه، فهو النبي القـادم الـذي يهـيئ الطريـق للقـادم المنتظر: (هأنذا أرسل ملاكي، فيهيء الطريق أمـامي، ويـأتي بغتـة إلى هيكله السيدُ الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تسرون بـه، هـو

ذا يأتي، قال رب الجنود)

زيادة على هذا، فإن صفات إيليا لا تنطبق على المعمدان، لأنه يأتي بعد المسيح، فقد قال المسيح عنه:(إيليا المزمع أن يأتي)، والمسيح والمعمدان متعاصران.

وعندما يأتي إيليا فإنه (يرد كل شيء)، و (فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم)، ومثل هذا لم ينقل عن المعمدان الذي عاش في الصحراء، طعامه الجراد والعسل، ولباسه وبر الإبل، وغاية ما صنعه تعميد من جاءه تائباً كما في (متى 3/1 - 5)

ولا يمكن التسليم بأن المعمدان كان تمهيداً للمسيح، إذ كيف يقال ذلك، والمعمدان قبيل مقتله ــ حسب الأناجيل ــ لا يعرف حقيقة المسيح، ويرسل تلاميذه ليسألوا المسيح: (أنت هو الآتي أم ننتظر غيرك؟)(متى 11/3)

فكيف يقال بأنه أرسل بين يديه، وهو لم يعرف حقيقته؟ ثم ماذا صنع يوحنا بين يدي مقدم المسيح؟ هل صنع شيئاً يتعلق بالمهمة التي تزعمها الأناجيل له؟

بشارة يوحنا:

قال يوحنا: صدقت يا ملاخي.. لقد كان لي اهتمام خاص بيوحنا.. وقد عرفت أن حقيقته هي ما ذكرته.. لقد كان يوحنا مثل المسيح كلاهما يبشران بمحمد.

اسمعوا إلى هذه البشارة التي نطق بها يوحنا، وهو يحذر بني إسرائيل من الغضب الآتي الذي سيسلطه الله عليهم: (والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار، أنا أعمدكم بماء التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار)(متى 3/10-11)

قال صفتيا: نحن نقرأ في هذه البشارة تبشيرا بالمسيح.

قال يوحنا: لا.. لقد كنت أقول ذلك، ولكني عرفت بعد ذلك أن المقصود هنا هو محمد.

قال صفتيا: فسر لنا ذلك.

قال يوحنا: أنتم تعلمون أن يوحنا المعمدان، وهو الذي يطلق عليه المسلمون اسم يحيى، كان نبياً معاصراً للمسيح، بل كان ابن خالته.

وقد كان المسيح يعظم يوحنا كثيرا، وكان يقول عنه: (الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا

المعمدان)(متى 11 : 11)

والكتاب المقدس ـ مع هذا الثناء الـذي يصـبه على يوحنـا ــ لم يذكر ليوحنا أي معجزات، ولا أي تعاليم خاصة به، لأنه لم يـأت بـأي شرائع أو قوانين جديدة.

فمصدر العظمة فيه هو أنه كان المبشر بالبشـارة السـارة عن قدوم الملكوت الذي اتفقت الأنبياء على البشارة به، كمـا جـاء في لوقا: (كان الناموس والأنبيـاء إلى يوحنـا، ومن ذلـك الـوقت يبشـر بملكوت الله)(لوقا 16/16-17)

ولهذا كان يوحنا يصيح في البرية بما صاح به جميع الأنبياء، كمـا في متى: (جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قـائلاً: توبـوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات)((متى 3/1 - 2)

وقد حفظ لنـا الإنجيليـون بعض مـا كـان يتحـدث بـه يوحنـا عن الملكوت القادم، ومن ذلك قولـه لليهـود، وهـو يتوعـدهم: (يـا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي.. والآن قـد وضـعت الفأس على أصل الشجر، فكل شـجرة لا تصـنع ثمـراً جيـداً تقطـع وتلقى في النار، أنا أعمدكم بماء التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هـو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بـالروح القدس ونار، الذي رفشه في يـده، وسـينقي بيـدره ويجمـع قمحـه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ)(متى 3/1 - 12)

وقد ذكر هذا الإنجيل أنه بينما يوحنا يلقي بهذه البشـارة (حينئـذ جـاء يسـوع من الجليـل إلى الأردن إلى يوحنـا ليتعمـد منـه)(مـتى 3/13)

قال صفتيا: فأنت ترى أن هذه البشارة تختص بمحمد.

قــال يوحنــا: لا أشــك في ذلــك.. فــالنص يــدل على أن هــذا الملكوت سينزع من بني إسرائيل، أو كما قال يوحنا: (فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار).. بل كما أنبأ المسـيح عن انتقاله عن أمة اليهود إلى أمة أخرى، فقال: (إن ملكوت الله يـنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره)(متى 21/43)

زيادة على هذا، فإن يوحنا كان يتحدث عن نبي يـأتي بعـده، ولا يمكن أن يكون هذا الآتي بعده هو المسيح الذي أتى في أيام يوحنا المعمدان.

زيادة على هذا.. فقد ذكر يوحنا أنـه قـوي، بـل إن قوتـه تفـوق قوة يوحنا المعمدان، ومثـل هـذا الوصـف لا ينطبـق على المسـيح الذي نزعم مصرعه على الصليب قريباً مما جرى ليوحنا المعمدان،

وأنى هذا من غلبة محمد على سائر أعدائه.. ثم إنه بلـغ من القـوة بحيث طهـر الأرض من رجس الوثنيـة بـالروح والنـار أي بدعوتـه العظيمة وقوته القاهرة، وكل ذلك لا ينطبق على أحد سوى محمد.

زيادة على هذا.. فـإن يوحنـا ذكـر أن الآتي بعـده يعمـد بـالروح والنار، أي يملك سلطان الدين والدنيا لتغيـير المنكـر والحفـز على التوبــة، فهــو لا يتوقــف عن حــدود الطهــارة الظاهريــة للجســد بالاغتسال بالماء، بل يهتم بطهارة الباطن، ووسيلته ما يأتي به روح القدس من وحي وبلاغ وبيان، كما قام بتطهير كثـير من الأرض من الوثنية بالنار، ومثل هذه المعمودية لم يفعلهـا المسـيح الـذي عمـد تلاميذه بالماء، فلم تختلف معموديته عن المعمدان في شيء، كمـا في (يوحنا 3/22 – 23).

واستمر تلاميذه بعده يعمدون بالماء كما كان المعمـدان يعمـد، ولما جـاء بـولس أفسـس، (فـإذ وجـد تلاميـذ قـال لهم: هـل قبلتم الـروح القـدس لمـا آمنتم. قـالوا لـه: ولا سـمعنا أنـه يوجـد الـروح القدس. فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا. فقال بولس: إن يوحنـا عمـد بمعموديـة التوبـة قـائلاً للشـعب أن يؤمنـوا بالذي يأتي بعده، أي بالمسيح يسوع، فلما سـمعوا اعتمـدوا باسـم الرب يسوع)(أعمال 19/1-5)، ولو كان للمسيح تعميد يخـالف مـا عليه تعميد المعمدان لعرف بين التلاميذ وشاع.

زيادة على هذا.. فـإن المسـيح لم يحقـق قـول المعمـدان عن النبي الآتي: (رفشه في يـده، وسـينقي بيـدره، ويجمـع قمحـه إلى المخزن، وأمـا التبن فيحرقـه بنـار لا تطفـأ)، وهـذه كنايـة يفسـرها الدكتور وليم أدي بقولـه: (كنايـة عن نهايـة العمـل كلـه، ويمكن أن يكـون القصـد من هـذا التشـبيه: الإشـارة إلى تـأديب اللـه للنـاس وقصاصه لهم في هذه الحياة)، بل هو كناية أبعد من ذلـك، إذ تـبين سلطانه الذي ينقي الأصل الذي أنـزله اللـه على أنبيائـه ممـا علـق فيه، فيحذف الترهات الدخيلة ويزيفها.

وعلى هذا، فالآتي المبشر به هو محمـد، فهـو وحـده الـذي أتى إلى أرض القدس والهيكل بغتة يوم أسـري بـه إلى بيت المقـدس، بينما نشأ المسيح ويوحنا في ربوع الهيكل.

قال حزقيال: ومما يؤكد كل ذلك أنه بعد وفاة يوحنـا المعمـدان جدد المسيح البشارة باقتراب الملكوت، ففي مـتى: (ابتـدأ يسـوع يكرز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات)(متى 4/17)

وكـان يسـوع يطـوف كـل الجليـل يعلم في مجـامعهم، ويكـرز

ببشارة الملكوت (متى 4/23) (كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله، ومعه الإثنا عشر)(لوقا 8/1)

قال يوحنا: لقد اعتبر المسيح البشارة بالملكوت مهمته الأولى، بل الوحيدة، فقد كان يقول لهم: (إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله، لأني لهذا قد أرسلت)(لوقا 4/34)

وأمر تلاميذه بأن يبشروا باقتراب الملكوت فقال: (اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السماوات)(متى 10/7)

ثم علم المسيح تلاميذه أن يقولوا في صلاتهم تلك العبارة التي ما زلنا نرددها إلى اليوم (أبانا الذي في السماوات.. ليأت ملكوتك) (لوقا 10/2)

قال صفتيا: لا شك في أن دعوة المسيح كدعوة يوحنا كدعوة كل الرسل كانت تطوف حول الملكوت.. لكن ما الملكوت؟

إن قومنا يقولون بأنه شيوع الملة المسيحية في جميع العالم وإحاطتها كل الدنيا بعد نزول المسيح.. وقال آخرون بأنه انتصار الكنيسة على الملحدين.. وفسره آخرون بأنه البشارة بالخلاص بدم المسيح، كما قال القمص تادرس يعقوب ملطي في تفسيره لإنجيل متى:(فإن الملكوت الذي أعلنه السيد المسيح هو بشارة الملكوت أو إنجيل الملكوت.. تعبر عن أخبار الخلاص المفرحة التي قدمها لنا الله في ابنه يسوع)

قال يوحنا: إن هذا التفسير بعيد تماما عن الحقائق المنطقية:

لقد انتصرت الكنيسة، وحكمت أوربا قروناً عدة، ولم نر ما يستحق أن يكون أمراً يبشر به المعمدان والمسيح والتلاميذ.

وأخبار الخلاص لا يمكن أن تكون هي البشارة التي كان المسيح يطوف مبشراً بها في المدن والقرى، ذلك أن أقرب تلاميذه لم يفهموا هذا المعنى.. فالتلميذان المنطلقان لعمواس بعد حادثة الصلب كانا يبكيان لفوات الخلاص بموت المسيح (فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين...كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك)(لوقا 24/17-21) لقد جهل التلميذان موضوع الخلاص بموت المسيح، فهما يبحثان عن خلاص آخر، وهو الخلاص الدنيوي الذي ينتظره بنو إسرائيل.

ليس ذلك فقط.. بل إن الجموع المؤمنة التي شهدت الصلب جهلت أن الصلب هو البشارة المفرحة التي كان يبشر بها المسيح،

فرجعوا وهم يبكون وينوحون:(وكل الجموع الـذين كـانوا مجتمعين لهذا المنظر لما أبصروا ما كـان، رجعـوا وهم يقرعـون صـدورهم) (لوقا 23/48 - 49)

أنتم ترون أنه لا يمكن أن يكون الملكوت الموعود هــو الخلاص بـدم المسـيح، لأن النصـوص ذكـرت أمـوراً تحـدث قبـل مجيء الملكوت، فهي علامـات تتحقـق قبـل حلـول الملكـوت، ومن بينهـا قيام أمة جديدة ومملكة جديـدة، وهـو مـا لم يتحقـق قبـل انتشـار المسيحية في العالم، ولا حين صلب المسيح، يقول متى: (فسألوه قائلين: يا معلّم متى يكون هذا؟ وما هي العلامة عندما يصير هذا؟

فقال: انظروا لا تضلوا، فـإن كثـيرين سـيأتون باسـمي قـائلين: إني أنا هـو، والزمـان قـد قـرب، فلا تـذهبوا وراءهم، فـإذا سـمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا، لأنـه لا بـد أن يكـون هـذا أولاً، ولكن لا يكون المنتهى سريعاً.

ثم قال لهم: تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكـة، وتكـون زلازل عظيمــة في أمــاكن ومجاعــات وأوبئــة، وتكــون مخــاوف وعلامات عظيمة من السماء..

وقال لهم مثلاً: انظروا إلى شـجرة الـتين وكـل الأشـجار، مـتى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قـرب، هكـذا أنتم أيضاً، متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا أن ملكـوت اللـه قريب..

الحق أقول لكم: إنه لا يمضـي هـذا الجيـل حـتى يكـون الكـل، السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يـزول، فـاحترزوا لأنفسـكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحيـاة، فيصـادفكم ذلـك اليوم بغتة، لأنه كـالفخ يـأتي على جميـع الجالسـين على وجـه كـل الأرض، اسهروا إذاً وتضرعوا في كل حين، لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكـون، وتقفـوا قـدام ابن الإنسـان)(لوقـا 21/6-36)

قال يوحنا: إن في قوله: (وتقفوا قدام ابن الإنسـان) مـا يربـط الملكـوت بشـخص ابن الإنسـان القـادم، فالمسـيح لا يتحـدث عن انتشار المسيحية، بل يتحدث عن ظهور النبي الخاتم ابن الإنسـان، ويدعوهم للاستعداد للقائه.

قـال ميخـا: الملكـوت ــ على حسـب مـا تـدل عليـه نصوصـنا المقدسة ـ هو أمة تعمل وفق إرادة ورضاء صاحب الملكوت، وقـد قال وليم باركلي في تفسيره لسفر الأعمال:(الملكوت هو مجتمـع

على الأرض، تُنفَّذُ فيه إرادة الله تماماً كما في السماء)

قال يوحنا: ولم يتحقق ذلك إلا لمحمد.. ولهذا كان يوحنا كالمسيح.. كلاهما يبشران بهذا النبي الجديد الذي يخرج الله على يديه الأمة الخاتمة.

لقد اختصر المسيح رسالته ـ كما في لوقا ـ بقوله: (إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله، لأني لهذا قد أرسلت) (لوقا 4/34)، فقد أرسل للبشارة بالملكوت القادم، فهو ممهد ومبشر بين يديه.

ومثل ذلك يوحنا المعمدان (جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات) (متى 3/1 - 2)

بشارة صفتيا:

التفتوا إلى صفتيا، وقالوا: وأنت يا صفتيا هل وجدت بشارة ترتبط بمحمد.. لقد سمعنا أنك تبحث عن ذلك.

قال: أجل.. وقد كان دافعي ما ذكرتم من أن كل الأنبياء بشروا بالملكوت.. وقد رأيت صفتيا يقول في سفره: (يقول الرب: أيها الناس ترجوا اليوم الذي أقوم فيه للشهادة، فقد حان أن أظهر حكمي بحشر الأمم كلها وجميع الملوك، لأصب عليهم رجزي، وأليم سخطي، فستحترق الأرض كلها احتراقاً بسخطي ونكيري. هناك أجدد للأمم اللغة المختارة، ليذوقوا اسم الرب جميعاً، ويعبدوه في ربقة واحدة معاً ويأتون بالذبائح في تلك الأيام من معابر أنهار كوش)

وقد رأيت علي الطبري الذي تحول إلى الإسلام يسوق هذه البشارة، ويعلق عليها بقوله: (وهذا صفنيا قد نطق بالوحي وأخبر عن الله بمثل ما أدى أصحابه، ووصف الأمة التي تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتجتمع على عبادته، وتأتيه بالذبائح من سواحل السودان ومعابر الأنهار واللغة المختارة هي اللسان العربي المبين.. وهي التي قد شاعت في الأمم فنطقوا بها)

بشارة حزقيال:

التفتوا إلى حزقيال، وقالوا: لم يبق إلا أنت يا حزقيال.. فهل وجدت شيئا من البشارات؟

قال: لقد رأيت في سفر حزقيال، وفي الفصل التاسع منه: (إن أمّك مغروسة على الماء بدمك، فهي كالكرمة التي أخرجت ثمارها وأغصانها من مياه كثيرة، وتفرعت منها أغصان كالعصى

قوية مشـرفة على أغصـان الأكـابر والسـادات، وارتفعت وبسـقت أفنــانهن على غــيرهن، وحســنت أقــدارهن بارتفــاعهن والتفــاف ســعفهن، فلم تلبث الكرمــة أن قلعت بالســخط، ورمى بهــا على الأرض، وأحــرقت الســمائم ثمارهــا، وتفــرق قواهــا، ويبس عصــي عزها، وأتت عليها النار فأكلتهــا، فعنــد ذلــك غــرس في البــدو وفي الأرض المهملة العطشى، وخرجت من أغصانه الفاضــلة نــار أكلت ثمار تلك حتى لم يوجد فيها عصا قوية بعدها ولا قضيب ينهض بأمر السلطان)

لقد رأيت هذه النبوءة مرات كثيرة.. إنها تشــبه الأمــة اليهوديــة إبان عزها وسؤددها عندما كانت تعيش تحت مظلة الأنبياء بالكرمة الحســنة، وبعــد أن نــزعت منهــا النبــوة، وأغضــبت ربهــا استأصــل شأفتها، واقتلع جذورها، فذرتها الرياح، وأكلتها النار، وانتهى مجدها. واستبدل الله بها أمة هي خير أمة أخرجت للناس، وشبهها بشجرة قد غرست في أرض البادية العطشى من الماء المعنوي والحسي، فأثمرت هــذه الشــجرة الأغصــان الفاضــلة الــتي قضــت على تلــك الشــجرة الأولى ولم تبــق فيهــا عصــا ولا قضــيباً. وهــذا حــال الأمــة اليهودية والأمة الإسلامية التي أشرق عزها، وتوسـع نفوذهــا، حــتى شمل العالم أجمع.

***

بعد أن انتهى بهم الحديث إلى هذا المحل، دب صمت مــوحش بينهم، قطعه يوحنا بقوله: ها قد رأيتم الحقائق أمام أعينكم.. فهــل ترغبون عنها، أم ترغبون فيها؟

قال ملاخي: ومن يرغب عن الحقائق؟

قال ميخا: لقد فعل اليهود ذلك.. وفعل قومنا مثل فعلهم.. لقــد صموا عن كل الحقائق التي تنطق بها كتبنا المقدســة، والــتي يــدل عليها العقل السليم.

قال زكريا: بل حاولوا أن يطمسوا الحقــائق بكــل مــا أوتــوا من صنوف الكيد.. فراحوا يتلاعبون بالترجمات.. ويتلاعبون بالنسخ.

قال حبقوق: اسمحوا لي أن أذكر لكم سرا لم أبح به لغيركم.

قالوا: ما هو؟

قال حبقوق: لقد كان الحائل الأكبر بيني وبين دين محمد هو ما أرى أمته عليــه في هــذا العصــر من انحطــاط وتخلــف.. كنت أعلم بعــدهم عن محمــد وعن دين محمــد.. ولكن نفســي.. وأخي الــذي تعرفونه.. كانا يحولان بيني وبين أن أشهد له بالشــهادة الــتي أوقن

تماما أنه يستحقها..
ولكني مع ذلك كنت أنفرد مع قرآن محمد أقرؤه وأبكي وأتـألم في نفس الـوقت، لأنـه ليس لي من القـوة مـا أخـرج بـه عن دين قومي لأدخل دين محمد.
ولكن الله من علي منذ سنة، فرأيت العـذراء.. وهي تشـير لي إلى شمس محمد.. وتدعوني إلى الاسـتنارة بأشـعتها.. ومنـذ ذلـك الحين قتلت نفسي التي حجبتني عن محمد.. وقاطعت أخي الـذي كان حجابا بيني وبين شمس محمـد العظيمـة.. وعـانقت محمـدا.. ودخلت دينه.
نظروا إليه مشدوهين، وقالوا: أحقيقة ما تقول؟
قال صفتيا: ولكن ما بالك لم تخبرنا؟
قال حبقوق: لقـد كنت أود أن تصـلوا إلى الحقـائق بأنفسـكم.. وقد خشيت أن تنشغلوا بعداوتي إن سـمعتم بإيمـاني عن محمـد.. فرحت أكتم إيماني.
قال صفتيا: أتعلم يا حبقـوق، أن مـا خطـر ببالـك هـو نفس مـا خطر ببالي، وما فعلته أنت قبل سنة، فعلته قبلك بسنوات.
قال ميخا: يا لله.. ما الذي يحصـل.. لقـد حصـل لي مـا حصـل لكما.
قال زكريا: وأنا أيضا..
قال يوحنا: وأنا أيضا..
قال دانيال: وأنا أيضا..
قال حجي: وأنا أيضا..
قال ملاخي: وأنا أيضا..
قال حزقيال: وأنا أيضا..
نهضـوا جميعـا يعـانق بعضـهم بعضـا، والفرحـة تملأ عيـونهم، وتنتشر من أرواحهم.
لم أتمالك نفسي في ذلك الموقف..
لقد خرجت بحيرة جديـدة.. وخـرجت معهـا ببصـيص من النـور اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد ﷺ.

بشارات من أسفار العالم

في اليوم العاشر، وهو اليوم الأخـير من رحلـتي إلى تلـك البلاد المقدسة خرجت من بيتي، وقد قررت أن لا أرى أحدا، ولا أجـالس أحدا.. لقد أرسلني أخي إلى هذه البلاد لأتزود من نسمات المسيح، فلم أشم فيها إلا عطر محمد.

كنت أفكر فيما سأقول له، وكيـف أقابلـه.. وبينمـا أنـا في هـذا التفكير إذ رأيت مقهى هندية لم أشك في كونها كذلك.. فقد كـانت روائح الهنود بلباسهم وموسيقاهم تفوح منها.

لست أدري كيف خطر على بـالي في تلـك اللحظـة أن أجلس فيها، وكأني أفر من شيء يطاردني، لم أعرف في تلك اللحظة ما هو.. لكني بعد ذلك علمت أنه صار لي خوف من كل قارئ للكتاب المقدس سواء كان مسلما أو مسيحيا.. لقد حولت الأيـام السـابقة الكتاب المقدس بالنسبة لي كتابـا للتبشـير بمحمـد، لا كتابنـا الـذي نفخر به، ونعبد الله بتلاوته.

لكني لم أنج في هذه المقهى مما لم أنج منه في غيرها.

لقد رأيت أربعة نفر من الهنود يتحـدثون، ورحت كعـادتي ــ من غير شعور ـ أسترق الاستماع لهم.. وهذا نص ما سمعت:

قال أحدهم: سأحدثكم بما ينقضي دون العجب.

قالوا: وما ذاك؟

قال: لقد كنت أقرأ البارحة في كتابنـا المقـدس (السـامافيدا).. فرأيت فيه شيئا شدني.. وكأني كنت أعمى لم أره من قبل.

قالوا: وما رأيت؟

قال: لقد رأيت اسم محمد.. اسم نـبي المسـلمين في كتابنـا.. وقد نقلت لكم النص الذي ورد فيه.. وهو من في الفقـرتين 6 وَ 8 من الجزء الثاني.

أخرج ورقة من جيبه، وقال: ها هو النص.. لقد كتبته بحروفه.

راح يقــرأ: (أحمــد تلقى الشــريعة من ربــه، وهي مملــوءة بالحكمة، وقد قبست من النور كما يقبس من الشمس)

قال الثـاني: أنت تـذكرني بنص قرأتـه قبـل سـنوات في كتـاب (أدروافيدم أدهروويدم) وهو ـ كما تعلمـون ــ كتـاب مقـدس عنـدنا معشر الهنـدوس.. لقـد قـرأت في الجـزء العشـرين منـه، الفصـل 127، الفقـرة 1-3 هـذا النص (أيهـا النـاس اسـمعوا وعـوا يبعث المحمد بين أظهر الناس.. وعظمته تحمد حتى في الجنـة ويجعلهـا

خاضعة له وهو المحامد)

قال الثالث: لقد ذكرني قولكما بنص ورد في (بفوشيا برانم) بهوشى برانم.. لقد قرأت في الجزء3، الفصل3، العبارة 5 وما بعدها هذا النص:(في ذلك الحين يبعث أجنبي مع أصحابه باسم محامد الملقب بأستاذ العالم، والملك يطهره بالخمس المطهرات).. فهذا نص صريح لا يمكن انطباقه إلا على محمد.

بل إن في قوله (الخمس المطهرات) إشارة إلى الصلوات الخمس التي يتطهر بها المسلم من ذنوبه كل يوم(1).

قال الرابع: وأنا مثلكم جميعا.. لقد رأيت بعض شعائر دينه في كتاب (بفوشيا برانم)، فقد ورد فيه وصف لأصحاب محمد.. فذكر أنهم (الذين يختتنون، ولا يربون القزع، ويربون اللحى، وهم مجاهدون، وينادون الناس للدعاء بصوت عال، ويأكلون أكثر الحيوانات إلا الخنزير، ولا يستعملون الدرباء(2) للتطهير، بل الشهداء هم المتطهرون، ويسمون بمسلي(3) بسبب أنهم يقاتلون من يلبس الحق بالباطل، ودينهم هذا يخرج منا، وأنا الخالق)

كان هناك رجل بعيد عنهم، وكان يتصنت لحديثهم، كما كنت أتصنت أنا، فجأة رأيته نهض، وقال: أحقا ما كنتم تتحدثون عنه؟

قالوا: ما بالك؟

قال: أنا زرادشتي..

قالوا: وما علاقة ذلك بالهندوس؟

قال: لقد وجدت في كتبنا القديمة التي سبقت محمد بقرون طوريلة مثلما وجدتم في كتبكم، لقد ورد فيها: (إن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون، وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس، ويخضع الفرس المتكبرين، وبعد عبادة النارفي هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من الأصنام، ويومئذ يصبحون هم أتباع النبي رحمة للعالمين، وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ(4)..وإن نبيهم ليكونن فصيحاً يتحدث بالمعجزات)(5)

نظروا إلى بعضهم، وفي عيونهم حيرة شديدة، قال أحدهم: ما الذي ننتظر.. إن شمس محمد تشرق علينا.. فلم نرغب عنها؟

---

1) انظر:كتاب التيارات الخفية في الديانات الهندية القديمة لمؤلفه: تى محمد.

2) الدرباء نبات يخرج به الهنود الدم من جسم الإنسان ويعدون هذا العمل تطهيراً من الخطايا.

3) أي يسمون بالمسلمين، دخل عليها شئ من التحريف.

4) وهي الأماكن المقدسة للزرادشتيين ومن جاورهم.

5) محمد في الأسفار العالمية: 47.

قالوا: صدقت.. هيا بنا نستنير بأشعتها، وننعم بدفئها..
ساروا فرحين.. وسرت خلفهم بحـيرة جديـد.. وببصـيص جديـد من النور اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد ﷺ.

الهداية

ختمت الأيام العشرة الـتي كـانت مقـررة لي في هـذه الرحلـة الأولى في حياتي إلى تلك البلاد المقدسة.

لا أخفيك أني قد رجعت بمشاعر متباينة لا أستطيع تمييزها..

هل كنت فرحا لأني اكتشفت أشياء جديدة لم أكن أعرفهـا.. أو لأني سـمعت حـوارا عقليـا، كـان أخي، وكـان الكثـير ممن لاقيتهم يحرص على أن لا أخوضه؟

أو كنت حزينا.. لأن معارفي التي كنت أبشر بها، وأحرص عليها بدأت تتسرب إليها تلك الأشعة التي أخمدت نـار فـارس، وحطمت أبراج قيصر.

لسـت أدري أي المشـاعر تغلب في تلـك اللحظـات الـتي امتطيت فيها الطائرة، وجلست فيها مسترخيا على كرسيها.

في تلك اللحظات خطر على بالي ذلـك الرجـل العجيب الـذي جلس بجـانبي.. كم تمـنيت أن يعـود ليجلس بجـانبي من جديـد.. لأسمع منه كلام العقل والحكمة.

ما خطر هذا الخاطر على خاطري حتى التفت، فوجدته أمـامي يقرأ الجريـدة، ففـرحت كثـيرا، وقلت: مرحبـا بـك.. هـا نحن نعـود جميعا.. كما سرنا جميعا.

ابتسم بهدوء، ثم عـاد ليغـوص في قـراءة جريدتـه، سـألته: مـا تقرأ؟

قال: أقرأ هذه الجريدة.

قلت: أرى ذلك.. ولكني أقصد أي موضوع هذا الذي ملأ فكـرك انشغالا به؟

قال: لقد أوردت هذه الصحيفة خبرا مهما، فأنا أفكـر في مـدى صدقه.

قلت: وما أوردت؟

قـال: لقـد نقلت عن وكـالات الفضـاء الأمريكيـة والأوروبيـة والروسية.. بل عن جميع وكالات الفضاء العالمية أخبارا مؤكدة بأن الشمس ستنكسف بعد أسبوع في أجزاء كثيرة من أرض اليونان.

قلت: هذا خبر أكيد.. فهذه جريدة محترمة.. والذين نقلت عنهم لا يقلون عنها احتراما.. ثم كيف اجتمعوا على إيراد مثل هذا الخبر؟

قال: ولكن ألا يمكن أن يكونـوا قـد اجتمعـوا على الكـذب علي وعلى الناس؟

قلت: وما يجديهم الكذب.. إن هؤلاء خبراء علماء.. لا يشك في صدقهم ولا علمهم إلا معاند، ثم إن سائر الأنباء التي ذكروها، والتي أثبتت الأيام صدقها تدل على صدقهم الدائم.

قال: ألا يمكن أن يكونوا قد اجتمعوا على الكذب في هذا الخبر خاصة؟

قلت: يستحيل ذلك.. فالجرائد الكثيرة نقلت ذلك.. ووكالات الفضاء كلها اتفقت على ذلك.. ولا عليك.. اصبر أسبوعا واحدا، وسيأتيك بالأخبار من لم تزود.

قال: ألوكالات الفضاء الأرضية كل هذه المصداقية؟

قلت: ألست من الأرض حتى تعبر عنها بوكالات الفضاء الأرضية؟

قال: نعم أنا من الأرض.. ولكني منشغل بالسماء.. أقول لنفسي: ما بال البشر يطبقون على تصديق وكالات الفضاء الأرضية.. ثم هم أنفسهم يطبقون على تكذيب وكالات الفضاء السماوية.

قلت: ما تقصد؟.. وهل هناك وكالات فضاء سماوية؟

لم تمهله المضيفة حتى يجيبني.. لقد جاءت وطلبت منه أوراقه، فسار معها.. أسرعت لأدركه، لأسأله عنه وعن سره، وعن وكالات الفضاء السماوية.. فلم أجده.. سألت المضيفة.. فابتسمت.. ولم تقل شيئا..

رجعت إلى مكاني.. وأنا أفكر في هذه الوكالات السماوية، وعن الأخبار التي جاءت بها.. فلم يخطر على بالي إلا ما استفدته من رحلتي من البشارات بمحمد ﷺ.

قلت في نفسي: نعم.. نحن نرمي بالجنون كل من كذب نبأ نطق به الخبراء في شأن من الشؤون الأرضية التي قد لا يضرنا الجهل بها كثيرا.. ولكنا في شؤون السماء.. بل في شؤون الحقائق الأزلية التي ينبني عليها الكون، وتنبني عليها حياتنا نمتلئ جهلا وغفلة وكبرياء.. ثم لا نضحك على أنفسنا، ولا نعود لنراجعها لنعرف ما وقعنا فيه من أخطاء.

عدت لأراجع كل ما سمعته من بشارات.. وقلت في نفسي: نعم.. قد يكون بعضها متكلفا.. وقد يكون بعض القائلين بها متكلفين.. ولكن كيف يجتمع كل أولئك.. وتجتمع معهم كل تلك الوكالات السماوية على شيء واحد هو التبشير بمحمد..

ألا يستدعي ذلك بحثا جادا عن محمد؟

ألا يستدعي بحثا في حياته، وفيما جاء به؟
نحن نبحث عن المجرمين، وتفاصيل حياتهم ومنجزاتهم.. فلم لا نتعامل مع محمد، ولو من هذا المنطلق، لنرى حقيقته من خلال المصادر الصحيحة، لا المصادر التي لا تريد إلا تشويهه..
سرني هذا الخاطر.. وما وصلت إلى بلدي، حيث استقبلني أخي التوأم، حتى رحت أسرد عليه هذا الخاطر، وأقول له: لم لا نبحث في حياتي محمد، كما نبحث في حياة غيره.. لنرى حقيقته.. فلا أرى شيئا ينفر من المجرم غير حياته الممتلئة بالإجرام.
انتفض أخي غاضبا، وقال: إياك أن تقترب من محمد.. إن شمسه حارقة.. لم يقترب منها أحد إلا أحرقته.. فإن شئت أن تعيش مسيحيا، وتموت مسيحيا، وتنعم بالخلاص الذي جاء به المسيح، فسد هذا الباب، ولا تأكل من شجرة محمد.. فمن أكل منها هبط من جنة المسيح، كما هبط آدم من جنة الخلد.
قلت: ولكن.. ما الذي يمنعنا من دراسته؟.. نحن ندرس الكثير من الفلاسفة والأباطرة.. بل والمجرمين..
قال: محمد مختلف.. إنه شيء مختلف تماما.. ولن أستطيع أن أقول لك غير هذا.
لم يجبني أخي التوأم بغير هذا.. لكنه لما رأى ما أصابني من حزن وألم لما أجابني به، قال: أنسيت الهمة العظيمة التي كنت تحملها.. وكنت أحملها معك.. أنسيت همتنا للترقي.. أنسيت البابا..
قلت: لا.. لم أنس.. فهل ترى محمدا يحول بيني وبين البابا؟
قال: ليس في العالم من يحول بينك وبين البابا غير محمد..
طأطأت رأسي.. ولم أجد ما أجيبه به، فقال: ارفع رأسك.. وهنئنا على أول نجاح حصل لنا..
قلت: أي نجاح؟
قال: لقد رقيت أنا وأنت درجة جديدة في سلم الكنيسة.. ونحن الآن سائران في السلم الذي نصعد به إلى كرسي البابا.
قلت: ما الذي تقصد؟
قال: نتيجة لنجاحك في المهمة التي كلفت بها.. فقد أرسلوا لي هذه الترقية.
قلت: ولكني لم أنجح في مهمتي التي وكلت بها.
قال: ألم تعد إلينا والصليب في رقبتك، والمسيح على شفتيك؟
قلت: بلى..
قال: فهذا نجاح لا يعدله نجاح.. لم يذهب إلى تلك البلاد أحد إلا

رمى صليبه، واحترق بشمس محمد.. فهنئ نفسك بنجاتك.

***

التفت إلي البابـا، وقـال: كـانت هـذه هي رحلـتي الأولى إلى شـمس محمـد ﷺ.. وقـد كـانت تنبيهـا مهمـا انطلقت منـه سـائر الرحلات، أو كـانت بـذرة نبتت منهـا شـجرة اهتمـامي بـالبحث عن حقيقة محمد ﷺ .. والتي انتهت بفضل الله بتلـك الهديـة العظيمـة التي أهداها لي ربي حين خلصني من نفسي ومن توأمي ومن كـل تلك الحجب التي كانت تحول بيني وبين محمد ﷺ.

من إصدارات هذه السلسلة [حقائق ورقائق]

1. الباحثون عن الله
2. الكلمات المقدسة
3. معجزات علمية
4. معجزات حسية
5. سلام للعالمين
6. عدالة للعالمين
7. رحمة للعالمين
8. أنبيـــاء يبشـــرون بمحمد ﷺ
9. ثمـــار من شـــجرة النبوة
10. كنوز الفقراء
11. مفاتيح المدائن
12. قلوب مع محمد ﷺ
13. النبي المعصوم
14. النبي الهادي
15. النبي الإنسان
16. دعـــاة على أبـــواب جهنم
17. اعترافات هـارب من سجون الوهابية
18. لحوم مسمومة
19. القـــرآن والأيـــدي الآثمة
20. شـــيخ الإســـلام في قفص الاتهـــــــام [جزءان]
21. أحقاد طائفية
22. إلى الـــذين ظلمهم التاريخ
23. أسرار الإنسان
24. أسرار الحياة
25. سنة بلا مذاهب
26. قرن الشيطان
27. حوارات حصـرية مـع قيادات عصرية
28. ابتسامة الأنين
29. أكوان الله
30. أسرار الأقدار
31. ذكريات وعبر

هذا الكتاب

هذا الكتـاب من الكتب الـتي حـاولت فيهـا – من خلال الأدلـة الكثيرة - أن أبين البراهين الدالة على صدق رسالة رسول اللـه ﷺ، وأن كل ما في الكون يدل عليها.

وهــو يختص بمــا ورد في الكتــاب المقــدس من النبــوءات الكثيرة المتعلقة برسول الله ﷺ، والتي حاول الكثـير من رجـال الدين أن يتكتموا عليهـا، أو يصـرفوها عن محلهـا، أو يهونـوا من شأنها.

ولذلك فإننا في هذه الرواية حاولنا أن ننـاقش تلـك النبـوءات من خلال حــوارات ومنــاظرات افتراضــية اعتمــدنا فيهــا على المصادر التي اهتمت بهذا الجانب ابتداء ممـا كتبـه الأولـون من المهتدين إلى الإسلام كعلي بن ربن الطـبري، وانتهـاء بمـا كتبـه المعاصرون كالشيخ أحمد ديدات وغيره.